مثيــر شـــوق الأنـام

إلى حج بيت الله الحرام

تأليف

محمد علاّن بن عبد الملك بن علان البكري الصديقي المكي

اسم الكتاب : مثير شوق الأنام
اسم المؤلف : محمد علان بن عبد الملك بن علان البكري الصديقي المكي
تقديم وتحقيق : الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة
رقم الطبعة : الأولى
السنة : ٢٠٠٦
رقم الإيداع : ١٧٦٥٢
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977 - 6048 - 33 - 1
اسم الناشر : دار القاهرة وزهراء الشرق
العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البلد : جمهورية مصر العربية
المحافظة : القاهرة
التليفون : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢ /٠٠٢٠٢٣٩٣٠٩٢٢
فاكس : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠

كتاب مثير شوق الأنام، إلى حج بيت الله الحرام تأليف محمد علاّن بن عبد الملك بن علان البكري الصديقي المكي.

ينتسب مؤلف الكتاب إلى عائلة بني علان المكية التي اشتهر أمرها وعُرف رجالها العلماء منذ القرن الثامن الهجري، وقد وصف السخاوي هذا البيت بأنه بيتٌ كبيرٌ ونسب أصلهم إلى قزوين (السخاوي: الضوء اللامع ٥: ٨٦)، كما يرجع نسبها إلى خليفة رسول الله أبي بكر الصديق. وقد أورد المحبي في خلاصة الأثر ١: ١٥٧ نسبَهم في نظم وضعه أحد مثقفي بني علان وهو أحمد بن إبراهيم وذكر سلسلة نسبهم.

كان من أقدم أفراد بني علان المعروفين والمترجم لهم عالم من رجال القرن الثامن الهجري اسمه علي بن مباركشاه الصديقي. ترجمه المحبي في خلاصة الأثر ٤: ١٨٤.

ويعده ابنه علي بن علي بن مباركشاه الصديقي المتوفّى سنة ٨٤١ هـ/ ١٤٣٧م وقد ترجمه السخاوي في الضوء اللاّمع ٥: ٢٦٢.

ثم ابنه عبد الملك بن علي بن علي بن مباركشاه الصديقي صاحب كتاب الحبل المتين في الأذكار. وكان قد أخذ على السخاوي بمكة ثم رجع إلى قزوين حيث مات بعد محنة أصابته من ملكها سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٩١م. ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ٥: ٨٦ -٨٧.

ثم ابن السابق وهو محمد علان بن عبد الملك البكري صاحب الكتاب الذي نقدّمه.

ومن رجالات هذه العائلة أيضا:

أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي المكي المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٤م. ترجمه المحبي في خلاصة الأثر ١: ١٥٧ - ١٥٨.

محمد بن أحمد بن علان الصديقي المكي، ذكره العجيمي في خبايا الزوايا.

محمد علي بن محمد علان الصديقي المكي المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧م، صاحب المؤلفات العديدة. انظر مصادر ترجمته في كتاب " التاريخ والمؤرخون بمكة " لمحمد الحبيب الهيلة ٣١٤ – ٣٣٠.

علان بن أحمد بن إبراهيم الصديقي المكي المتوفّى سنة ١٠٧٩ هـ/ ١٦٦٨م. ذكره المحبي في خلاصة الأثر ٢: ٢٣٧.

غياث الدين بن محمد علي بن محمد علي بن علان الصديقي من رجال القرن الحادي عشر الهجري. مرداد: المختصر من نشر النور والزهر ص ٣٨٦.

مؤلف الكتاب:

هو محمد علان بن عبد الملك بن علي بن علي بن مباركشاه الصديقي بنفس هذا الاسم ذكره ابنه محمد علي بن محمد علان الصديقي في الورقة التاسعة ب من كتابه طيف الطائف في فضل الطائف (نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ١٢٠ تاريخ) وفي نفس النص نسب إليه كتاب مثير شوق الأنام، مما لا يدع مجالاً للشك في ذلك. ولا اعتبار لما أورده حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٥٨٩ إذ نسب الكتاب إلى الابن محمد علي، وها نحن نرى أن الابن ذاته ينسب الكتاب لأبيه.

على رغم حرصنا الشديد والجهد الذي بذلناه فإننا لم نعثر على ترجمة خاصة بالمؤلف محمد علان بن عبد الملك الصديقي لذلك اكتفينا بالقليل من الإشارات والاستنتاجات. فنحن لا نعرف تاريخ ولادته. أما تاريخ وفاته فلم نجد نصا يحدده ويضبطه وإنما ألفينا ما يدل على أنه توفي قبل سنة ١٠٠٥ هـ إذ وجدنا

في النسخة "أ" من كتابه مثير شوق الأنام أن هذه المخطوطة استُنسخت من مسودة المؤلف وأنها كتبت سنة ١٠٠٥ هـ وأن كاتب نص المقابلة يترحم على المؤلف، وفي ذلك دلالة واضحة على أن المؤلف توفي قبل سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م.

هذا أقصى ما أمكنني جمعه من عناصر ترجمة الرجل.

أما مكانته العلمية وزاده الثقافي فإن قراءة كتابه ودراسة محتواه ومصادره تؤكد لنا درجته العلمية وعلو شأنه في علوم الحديث والفقه والتاريخ. ويكفي الباحث أن يطالع قائمة مصادره التي اعتمدها ونقل عنها اختياراته ونقدها وناقشها لتستبين له درجة رسوخ قدم الرجل في العلم والتأليف.

الكتاب:

يعتبر كتاب مثير شوق الأنام، إلى حج بيت الله الحرام من كتب التشويق وهي نمط من أنماط الكتابة التي اهتمت بالحج وجوانبه المتعددة، ومنها:

- كتب المناسك وهي التي تجمع الأحكام الشرعية الفقهية للحج فتتوسّع في ذلك، وتكون جامعة لما ورد في أبواب الحج من المصادر الحديثية والمصادر الفقهية.
- كتب أخبار مكة والمدينة التي جمعت بين الأخبار والآثار والأوصاف والخصائص للحرمين الشريفين موطنيْ الحج والزيارة، مثل أخبار مكة للأزرقي ثم للفاكهي وأخبار المدينة لابن شبّة.
- كتب الفضائل التي وُضعت لعرض ميزات الحرمين الشريفين، مثل فضائل مكة للجَنَدي المكي. وقد يختص بعضها بفضائل أماكن معينة من الحرمين مثل فضائل الكعبة للخزاعي وفضائل زمزم وفضائل مقام إبراهيم وغير ذلك كثير.

- كتب التشويق التي ظلت الغاية من تأليفها تحريك رغبة المؤمنين للقيام بالفريضة الخامسة وللعمرة والزيارة. كما تكون في نفس الوقت تعبيرا عن المشاعر الإيمانية التي تملأ نفوس الحجيج عند قصدهم الأراضي الطاهرة وبعد عودتهم من أداء فريضتهم.

ولعل هذا النوع الأخير من الكتابة لم يظهر إلاّ في القرن السادس الهجري فكان – على حسب علمي - أقدم ما عرفناه من كتب التشويق تأليف عنوانه مثير الغرام الساكن، إلى أشرف الأماكن تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م.

تلاه كتاب تشويق الساجد، إلى زيارة أشرف المساجد لمحمد بن كمال الدين المعروف بابن سلطان الدمشقي المتوفى سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م (ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ٤١٠ والبغدادي في أيضاح المكنون ١:٢٩٢).

ويبدو أن الفقهاء والمحدثين والمؤرخين المكيين اهتموا بهذا النمط من التأليف منذ نهاية القرن السابع الهجري.

فقد ظهر الكتاب الشهير المعروف بالقرى، لقاصد أم القرى الذي ألّفه محدث مكة وعالمها في عصره المحبّ الطبري المكي = أحمد بن عبد الله ورتّبه على أربعين بابا. طبع طبعات كثيرة أهمها طبعة مصر سنة ١٣٩٠ هـ التي حققها الشيخ مصطفى السقاء.

كتاب التشويق، إلى حج البيت العتيق تأليف الجمال الطبري المكي = محمد بن المحب المتوفى سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م، وضع كتابه على ثلاثين بابا واهتمّ فيه كثيرا بالمناسك. طبع بالقاهرة سنة ١٤١٣ هـ بتحقيق الدكتور عبد الستار أبو غدة.

إثارة الترغيب والتشويق، إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق تأليف محمد بن إسحاق الخوارزمي المكي المتوفى سنت ٨٧٧ هـ / ١٤٢٤ م. قال عنه التقي الفاسي في العقد الثمين ١ : ٤١٢: جمع شيئًا في فضائل مكة وفضائل الكعبة وغير ذلك.

شفاء الغليل، ودواء العليل، في حج بيت الرب العظيم الجليل تأليف أبي بكر ابن ظهيرة المخزومي المتوفى سنة ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م. جمع فيه بين الفضائل والتشويق والمناسك. منه نسخة قديمة ضمن مخطوطات الشيخ محمد سرور الصبان المحفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم ١٧٢٧.

كتاب مثير شوق الأنام، إلى حج بيت الله الحرام تأليف محمد علان بن عبد الملك بن علان الصديقي وهو الذي نقدمه محققًا في هذه الطبعة.

وضعه مؤلفه على ثمانية أبواب هي:

الباب الأول: في فضائل البيت.

الباب الثاني: في ثواب الحج والعمرة.

الباب الثالث: في فضل الوقوف.

الباب الرابع: في المبيت بمزدلفة وبمنى.

الباب الخامس: في فضيلة الطواف والسعي وفضائل الركن والمقام.

الباب السادس: في وعيد مَن أساء الأدب في الحرم.

الباب السابع: في منافع زمزم.

الباب الثامن: في فضائل المدينة والزيارة وبيت المقدس.

اعتمد المؤلف في تصنيف كتابه وجمع نصوصه على العديد من المصادر الحديثية والتاريخية وكتب المناسك الفقهية بالإضافة إلى كتب المواعظ والرقائق ولذلك تعدّدت مصادره وتنوّعت.

فقد نقل عن الكتب الصحاح الستة ومعها ابن حبان والحاكم والطبراني والبيهقي وغيرها كثير من مؤلفات المحدثين.

ونقل عن كتب الأخبار والتاريخ وخاصة أخبار مكة للفاكهي والأزرقي. وأكثر عن الأزرقي حتى لا تكاد تجد مسألة تهمّ كتابه لم ينقل فيها عنه.

ونقل عن كتب التشويق وأهمها عنده كتاب مثير الغرام الساكن لابن الجوزي وكتاب القرى لقاصد أم القرى للمحب الطبري المكي.

ونقل عن كتب المناسك منها منسك ابن جماعة ومنسك ابن الضياء القرشي المكي ومنسك الإمام النووي ومنسك سعيد الدين الكازروني المكي وغيرها.

بالإضافة إلى نقول كثيرة من كتب الرقائق والزهد والترغيب مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي والروض الفائق في المواعظ والرقائق للحريفيش وغيرهما.

لقد كان محمد علان الصديقي جامعا لنصوص كتابه من الأحاديث والأخبار والمرويات، ولم يكن في نقوله تلك إلا سائرا على منهج المؤلفين الذين يتناولون مسائل موضوعات الآداب والفضائل والأذواق، التي ظلت دائما تروي ما كان صحيحا حسنا ثابت الرواية وما كان دون ذلك في ضعف درجة الرواية الحديثية. ذلك لأن كتابه هذا ليس من كتب العقيدة أو الفقه والأحكام التي يشترط أن تكون الأحاديث والمرويات فيها ثابتة تخضع لشروط الصحة التي يفرضها المحدثون، بل إن كل مؤلفات علماء المسلمين المتعلّقة بالرقائق

والفضائل وكتب الزهد والترغيب والترهيب وكتب فضائل البلدان والأزمان وكتب الأخبار وقصص الأنبياء جميعها لا تخضع لتلك الشروط، بل نجدهم يتساهلون في إيراد المرويات دون تخريج ولا تحقيق، ولا يتعاملون معها بمثل ما يتعاملون به في مؤلفات الأحكام العقدية والفقهية.

فقد كان أبو الفرج بن الجوزي من بين أكثر الناس ضبطا للنصوص الحديثية في عصره ومع ذلك فإنه كان في كتابه التشويقي الذي عنوانه " مثير الغرام الساكن " متساهلاً في النقل غير متشدد في الرواية، مما جعل مؤلف كتابنا هذا محمد علان المكي ينقل عنه المرات الكثيرة جدا. كما كان الأزرقي والفاكهي أعرف الناس بتاريخ مكة ورواياته ولكنهما عند تأليف كتابيهما في أخبار مكة لم يلتزما منهج التشدد في قبول الرواية بل عرضا كمّا وافرًا من الأخبار التي لم تكن موثّقة، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من المؤلفين في التاريخ والفضائل. وقد نقل محمد علان المكي في كتابه هذا عن الأزرقي الكثير الكثير من الروايات والأخبار.

أنما كان كل هؤلاء الذين ألفوا في هذه الأنماط من الكتب الذوقية الأخلاقية الترغيبية يفتحون كل مجالات النقل ويروون كل الروايات التي تصل فيها المبالغات والتحويمات الخيالية إلى شيء من الغرابة، وهم مع ذلك يحاولون أن لا تشتمل كتبهم إلاّ على ما يوافق كتاب الله وسنة رسوله. وبقدر ما كانوا يتشددون في أسانيد أحاديث الحلال والحرام والاعتقاد فإنهم كانوا يتساهلون في الأسانيد عندما تكون في موضوعات الترغيب والترهيب والفضائل والزهد والرقائق وأخبار الأولين والإسرائيليات. وهي في أغلبها مرويات لا يجوز إثبات حكم شرعي بها.

تلك هي قاعدة تأليف كتب التشويق التي سار عليها أوائل المؤلفين فيها مثل أبي الفرج بن الجوزي وسار عليها مؤلفنا محمد علان الصديقي المكي الذي أشار إلى هذا المعنى في كتابه هذا حين قال في الورقة ١٠٨ منه: " وأهل العلم ما زالوا يسامحون أنفسهم في رواية الغرائب والفضائل عن كل أحدٍ، وإنما كانوا يتشددون في أحاديث الأحكام ".

تحقيق الكتاب:

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب نسختين خطيتين مكيتين حفظتا في مكتبة الحرم المكي.

أولاهما وقد اعتبرناها النسخة " أ " في هذا التحقيق، حُفظت تحت رقم ١٤٣ تاريخ، وهي تقع في ١٥٣ ورقة إلاّ أنها ضُبطتْ قديما بترقيم الصفحات فكانت ٣٠٥ صفحة. كُتبت بخط جميل واضح إلاّ أنها لا تخلو من أغلاط رغم أنها قوبلت على نسخة المؤلف. تاريخ نسخها في سنة ١٠٠٥ هـ حسبما ورد في خاتمتها بما نصه: " كان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة رابع عشر شهر شوال سنة ١٠٠٥ هـ / ٣١ ماي ١٥٩٧ م ". وعلى هامش هذه الخاتمة مقابلة نصها: " بلغ مقابلة حسب الطاقة من مسودة المؤلف رحمه الله " وخط التنصيص على المقابلة يختلف عن خط النسخة وهو كثير الشبه بخط ابن المؤلف محمد علي بن محمد علان الذي عرفنا خطه مما كتبه على مخطوطة الحرز الثمين للملاّ علي قاري المحفوظة في مكتبة مكة المكرمة تحت رقم ٢٤ أدعية.

يبدو أن هذه النسخة " أ " من كتاب مثير شوق الأنام تملكها شيخ من شيوخ العثمانيين، فقد كُتب على ورقة عنوانها تملّك نصه: " ممّا منحه الله تعالى شأنه، وتوالى إحسانه على عبده الفقير مفتي زادة مصطفى المفتي بسلانيك " ثم انتقل ملكه إلى إحدى مكتبات الأشراف بمكة، فقد جاء في ختم واضح بالورقة ١٣٥

ما نصه: " وقَف هذا الكتاب الشريف عبد المطلب ابن الشريف غالب ابن المرحوم مساعد الحسني على شرط أن لا يخرج من مكة المشرفة. فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ".

أما النسخة الثانية المعتمدة في التحقيق والتي اعتبرناها النسخة " ب " هي كذلك محفوظة في مكتبة الحرم المكي دون رقم على المخطوطة رقم الفيلم المصوّر لها بنفس المكتبة هو 2418. وعدد أوراقها ١٣٨، خطها غير جميل ولم يُذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ وإنما ورد بهامش الورقة الأخيرة منها نصان أولهما: " تمّت مطالعته سنة ١١١٠ هـ " وثانيهما: "تمت مقابلته ومطالعته وتصحيحه يوم الخميس ٢٢ محرم ١٣٤١ هـ/ ١٤ ستمبر ١٩٢٢ م ". وعلى ورقة عنوان النسخة تملك باسم عمر بن عبد... الحنفي، وتملّك آخر غير مقروء. هاتان النسختان هما المعتمدتان في التحقيق.

ومن الكتاب نسخ أخرى إحداها في مكتبة الحرم المكي برقم ٤٣ دهلوي، وأخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٧٦١٨، وثالثة بمكتبة طوب قابو سراي بإسطنبول رقم ١٢١٢.

وبالله التوفيق

نص كتاب

مثير شوق الأنام، إلى حج بيت الله الحرام

تأليف

محمد علان بن عبد الملك بن علان البكري الصديقي المكي

[١] الحمد لله الذي هيّأ لأصحاب السعادة أسباب التوفيق، ويسّر لمن شاء مِن عباده حج البيت العتيق، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليه من الحُرّ والرقيق والعتيق، فيأتونه ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[١]، وجعل بيته ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[٢] لهم من عذاب الحريق، وقرَنَ وجوب حجّهِ باستطاعة السبيل وأمْن الطريق، فأدْنى بذلك الوجوب كل بعيد سحيق، وأنْجَى بإدراك ذلك القول العظيم مَن هو في بحار هواه غريق. فسبحان مَن جعل حج بيته بين العبد والنار حجابًا وجُنّة، ولم يجعلْ للحج المبرور إلاّ الجنة. والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الإنس والجِنّة، وعلى آله وصحبه الذين جعلوا أنفسهم له وقاية كالمِجنّة.

أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى الله، الملتجئ إلى بيت الله، الخادم لأحاديث رسول الله، الشيخ العلامة المحدّث محمد علان بن عبد الملك بن علي بن مبارك شاه المحدث الصديقي العلوي الحسيني[٣] عفا الله عنه [٢] ورحم أجداده وآباءه وجعل آخرته خيرا من دنياه: هذه رسالة مشتملة على آيات وأحاديث وآثار صدرت عن سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، النبي الكريم الرؤوف الرحيم الأمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين، وعلى آله وصحبه وآل كلٍّ التابعين لهم إلى يوم الدين، في فضائل هذا البيت الشريف والحج الذي هو أحد أركان الإسلام، وفي فضائل العمرة والوقوف بعرفة والمشعر الحرام، وفي المبيت بالمزدلفة وفي منى ورمْي الجمار والحلَق والنحر والطواف، وفي ما يفوز به فاعله من الأجر الجزيل والإنعام، في تلك الليالي والأيام، وفي لزوم الكرام، جيرانه

(١) القرآن: الحج ٢٧.

(٢) القرآن: البقرة ١٢٥.

(٣) كلمة سقطت من أ.

وسرعة العقوبة لمن أساء الأدب فيه مِن العُصاة اللئام، وفي فضيلة الركن الأسود وسائر الأركان والمقام، وفي منافع ماء زمزم الذي فيه شفاء من الأمراض والأسقام، وذريعة لحصول المراد والمرام، وفي فضيلة زيارة شفيعنا محمد سيّد الأنام، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام، وفي شرف المدينة التي هي كالمسجد الحرام، وفي فضيلة مسجد قبا وفضيلة البيت المقدس الذي كان معبد كثير من الأنبياء الكرام، عليهم الصلاة والسلام، وفي تقبيل الحجر الأسود والاستلام، وفي فوائد وحكايات لها مناسبة بما نحن بصدده والتئام، وفي غرائب تنْسَلِكُ في سلك ذلك النظام، وفي بيان يسير [٣] من كثير مما خصّ الله تعالى هذا البيت الشريف بمزايا التعظيم من النسبة إليه والإكرام، وآثَرَهُ بجلائل ألطافه العظام الجِسام.

وقد احتوتْ هذه الرسالة من الأبواب على ثمان على وفقِ أعداد أبواب الجنان، اللهم أدِمْ لنا البركة والإحسان(١).

الباب الأول: في فضائل البيت الشريف وعلو شأنه، ولزوم إكرام أهله وجيرانه.

الباب الثاني: في ثواب الحج والعمرة، وإن أتى بهما في عمره مرة.

الباب الثالث: في فضل الوقوف بعرفة، والاعتناء فيه لا سيما لمن علم ذلك وعرفه.

الباب الرابع: في فضل الوقوف عند المشعر الحرام وفي المبيت بالمزدلفة ومنى والحلق والنحر ورمْي الجمار، اقتداءً بفعل سيد المرسلين وإمام الأبرار، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام من الله الكريم الجواد البار.

الباب الخامس: في فضيلة الطواف بهذا البيت الحرام، وفضل الركن الأسود والسعي بين الصفا والمروة والمقام، وهذا الباب أوسع الأبواب، لكثرة ما فيه من الأحاديث عن النبي والأصحاب.

---

(١) جملة سقطت من ب.

الباب السادس: في وعيد مَن أساء الأدب في هذا البيت وسرعة العقوبة والوبال، أوضحتُ ذلك بذكر إشارات[1] وحكايات وأمثال [٤].

الباب السابع: في منافع ماء زمزم الذي هو شراب الأبرار، وبيان ما فيه من الفوائد والأسرار.

الباب الثامن: في فضيلة زيارة سيد الأنبياء، وشرف المدينة الطيبة التي هي من أفضل بقعة تحت أديم السماء، وفضيلة البيت المقدس وفضيلة مسجد قبا.

واكتفينا في ذكر فضائل كل ما ذُكر بيسيرٍ من كثير، لأن استيعاب فضائلها عسير، وذكر جميعها غير يسير، تَحار دون إحاطة أدناه الألباب والأحلام، لأن بحار عظمتها عميقة وغدير فضلها تَغرق فيها أفهام ذوي النُّهى من الفحول الجهابذة النحارير من العلماء الأعلام، وفضلاء الأنام. ولأن في ما أتينا به كفافا وكفاية، لمن أعطاه الله تعالى الفهم والهداية والدراية. وعزوتُ كل حديث إلى مَن أورده في مسنده ورواه، ليكون مرشدا ودليلا لمن أراد أن يراه، في الكتاب الذي هو مستقره ومأواه، ووفّقْتُ بين الأحاديث التي بحسب الظاهر بينها التضادّ، تسهيلا لأمر العباد، وأوضحتُ معضلاتها على سبيل النصح والإرشاد.

وسميتُها **بمثير شوق الأنام، إلى حج بيت الله الحرام، وزيارة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.** وجعلتُها بشارة بهية، وتحفة سنية هنيّة إلى الإخوان، وتذكرة نافعة لأهل الإيمان. نفعني الله بها وسائر المسلمين، وجعلها مُرَغّبة وداعية [٥] إلى حج بيت ربّ العالمين، وإلى زيارة قبر محمد سيد الأنبياء وسند المرسلين، ﷺ وعليهم وعلى آله وصحبه وآل كلّ وسائر الصالحين والتابعين، بإحسان إلى يوم الدين آمين، وهي هذه:

---

(١) كلمة سقطت من أ.

الباب الأول

فضائل البيت الشريف وعلو شأنه

الباب الأول

في فضائل هذا البيت الشريف وعلو شأنه

ولزوم إكرام أهله وجيرانه

أما الآيات فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾(١) وقال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾(٢). وقال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾(٣).

وقال تعالى حكاية عنه أيضا عليه السلام ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٤). وقال ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾(٥).

---

(١) القرآن: الحج ٢٦.

(٢) القرآن: آل عمران ٩٦ ـ ٩٧.

(٣) القرآن: إبراهيم ٣٥.

(٤) القرآن: إبراهيم ٣٧.

(٥) القرآن: البقرة ١٢٦.

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(١). وقال تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [٦] وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾(٢).

وقال تعالى ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾(٣). وقال تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾(٤).

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾(٥) **قال ابن عباس –رضي الله عنهما -: معاذا وملجأ. وحكى الماوردي عن بعضهم: مثابة أي مكان إثابة، أخذه من الثواب.**

وقال تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾(٦). وقال تعالى ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾(٧).

والآيات في فضائل البيت كثيرة، ما استوعبناها في هذه الرسالة الصغيرة،

---

(١) القرآن: البقرة ١٢٧.

(٢) القرآن: البقرة ١٤٤.

(٣) القرآن: القصص ٥٧.

(٤) القرآن: النحل ١١٢.

(٥) القرآن: البقرة ١٢٥.

(٦) القرآن: الإسراء ١.

(٧) القرآن: التوبة ١٩.

لكن ذكرنا منها ما أورده الحسن البصري -رحمه الله تعالى- في رسالته إلى أهل مكة[1] وأما الأحاديث التي أوردها الحسن البصري فمنها قول النبي ﷺ حين أخرجوه من مكة وقف علي الحَزْورة فاستقبل الكعبة وقال (إنكِ أحبّ بلاد الله إلى الله وأحبّ أرض الله إليّ ولولا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجتُ).

وقال ﷺ: (أول من طاف بالبيت الملائكة». وقال ﷺ: في حديث آخر(خير بلدة على وجه الأرض وأحبّها إلى الله مكة).

وقال ﷺ: [٧] (ما من نبيّ هرب من قومه إلاّ هرب إلى مكة فعبَدَ الله تعالى إلى أن يموت) أو كما قال.

وقال ﷺ: (مَن مات بمكة فكأنما مات في السماء الدنيا، ومن مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرًا بعثه الله يوم القيامة بلا حساب عليه ولا عذاب).

وقال ﷺ: (من نظر إلى بيت الله إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحُشر يوم القيامة من الآمنين).

وقال ﷺ: (لا تَشدّوا[2] الرحال إلاّ لثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى).

وقال ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا بألف صلاة في ما سواه من المساجد إلاّ المسجد الحرام، فإنّ صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة في غيره وصلاة في المسجد الأقصى بخمس مائة صلاة).

وقال ﷺ: (مَن صام شهر رمضان بمكة كتب الله تعالى له مائة ألف شهر بغير

---

(١) عنوانها فضائل مكة والسكن فيها، طُبعت بتحقيق سامي العاني، مكتبة الفلاح بيروت، دون تاريخ. وقد نقل المؤلف عنها مرات كثيرة في هذا الكتاب.

(٢) في ب: لا تُشدُّ.

مكة من البلدان. وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وإنْ صلاها في جماعة فهي بألفيْ ألف صلاة وخمسمائة ألف صلاة، وذلك خمسٌ وعشرون[1] مرة مائة ألف. ومَن مرض بمكة يوما واحدا حرّم الله سبحانه جسده ولحمه على النار. ومن صبر على حرّ مكة ساعة من نهار أبْعده الله تعالى من النار مسيرة خمسمائة عام وقرَّبه من الجنة مسيرة مائتيْ عام. وإنّ مكة والمدينة لتنفيان خبثهما كما ينفي الكِير خبث [٨] الحديد[2] ألا وإنّ مكة أنشئت على المكروهات والدرجات. ومَن صبر على شدّتها كنتُ له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة. ومن مات بمكة أو بالمدينة بعثه الله تعالى يوم القيامة آمنا من عذابه لا حساب عليه ولا خوف ولا عذاب ويدخل الجنة بسلام وكنت له شفيعا يوم القيامة. ألا وإن أهل مكة هم أهل الله تعالى وجيران بيته وما على وجه الأرض بلدة فيها شراب الأبرار ومصلى الأخيار إلاّ مكة. وخير واد على وجه الأرض وادي إبراهيم ﷺ وخير بئر على وجه الأرض زمزم. وما على وجه الأرض بلدة يوجد فيها شيء إذا مسّه إنسان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه إلاّ بمكة فإنه مَن مسّ الحجر الأسود خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وما على وجه الأرض موضع أُمِرَ فيه بالصلاة إلاّ بمكة فإن الله تعالى قال ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[3]. ومَن صلى خلف المقام كان آمنا. ومن صلى تحت الميزاب ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه. ومن صلّى حول الكعبة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه. وأحبّ البقاع إلى الله تعالى ما بين المقام والملتزم. والنظر إلى البيت عبادة. والنظر إلى بئر زمزم عبادة وأمان من النفاق. وما على وجه الأرض بقعة يوجد فيها الطواف والعمرة والحج إلاّ مكة. والطائف حول الكعبة

---

(١) في أ: خمسًا وعشرين.

(٢) الدياريكري: تاريخ الخميس، في أحوال أنفس نفيس ١: ١٣٥.

(٣) القرآن: البقرة ١٢٥.

كالطائف حول [٩] العرش. والحجر الأسود يد الله في أرضه يصافح بها مَن يشاء من عباده. والركن الأسود والمقام يأتيان يوم القيامة كل واحد منهما مثل جبل أبي قُبَيس لهما عينان ولسانان وشفتان يشهدان لكل مَن وافاهما).

وقال رسول الله ﷺ: (مَن استطاع أن يموت في أحد الحرمين فليمتْ، فإني أول مَن أشفع له، وكان يوم القيامة آمنا من عذاب الله تعالى لا حساب عليه ولا عذاب).

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: (يحشر الله من مقبرة مكة سبعين ألف شهيد يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر ليشفع كل واحد منهم في سبعين رجلا، وفي رواية: سبعين ألف رجل، رواه الديلمي[١] فقيل: مَن هم يا رسول الله؟ قال: من الغرباء». «ومن مات في حرم الله تعالى أو حرم رسوله ﷺ أو مات بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرًا بعثه الله تعالى يوم القيامة من الآمنين).

أوْرد هذا كله الحسن البصري –رحمه الله تعالى - في رسالته إلى أهل مكة.

واعلم أن الحديث الذي رُوي في الرحلة إلى ما دون المساجد الثلاثة هو الواقع في الصحاح. لكن روى أبو سعيد المفضّل الجَنَديُّ حديثا فقال: حدثنا صامت بن معاذ الجَنَدي حدثنا المثنّى بن الصباح عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن العاص عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أنّ النبي ﷺ قال (تُشدّ الرحال إلى أربعة مساجد: المسجد الحرام [١٠] ومسجدي هذا والمسجد الأقصى ومسجد الجَنَدي). قال الحافظ ابن أبي ميسرة[٢] ليس في روايته كذّاب ولا متروك. والجَنَد: بلدة من بلاد اليمن وهي من المقدّسة. رُوي عن كعب في خبر في أرض اليمن أن فيها ثمان بقاع أربع مقدسات –أو قال مرحُومات - وأربع

(١) وردت الجملة الأخيرة بالهامش من النسخة أ.

(٢) كذا في ب، وفي أ: قال الحافظ أبي مسيرة.

محرومات، فالمرحومات قرية الكثيب الأبيض والجنَد ومأرب وزبيد، الحديث.

وعن الكتاب المسمى بالخميس[١] في فضائل مكة -شرفها الله تعالى- عن رسول الله ﷺ أنه قال (النظر إلى الكعبة عبادة. ومن نظر إلى البيت إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ومن نظر إلى البيت من غير طواف ولا صلاة تطوعا فذلك عند الله أفضل من عبادة سنة صيام نهارها وقيام لياليها. ومن جلس مستقبل الكعبة ساعة واحدة إيمانا واحتسابًا لله ورسوله وتعظيم القبلة كان له مثل أجر الحاجّين والمعتمرين والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: لا أعلم على وجه الأرض بلدة يُكتب لمن نظر إلى بعض بنيانها عبادة الدهر وصيام الدهر إلاّ مكة[٢].

وروى صاحب مثير الغرام الساكن[٣] في كتابه عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في ما سواه إلاّ المسجد الحرام. وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة [١١] ألف صلاة). قال أبو بكر النقاش: فحسبتُ ذلك في هذه الرواية فبلغتْ صلاةٌ واحدةٌ في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة.

---

(١) إضافة في ب نصها: للعلامة البتليسي. وقد طُبع الكتاب بعنوان: تاريخ الخميس، في أحوال أنفس نفيس. طبع طبعة قديمة ثم صدر مصوّرًا عنها في لبنان، مؤسسة شعبان، دون تاريخ) للعلامة الدياربكري (ورد الاسم فيه: الحسين بن محمد الدياربكري نزيل مكة) توفي سنة ٩٨٢ هـ /١٥٧٤م. كحالة: معجم المؤلفين ٤: ٤٧ - ٤٨.

(٢) الأحاديث والأخبار السابقة منقولة من كتاب تاريخ الخميس للدياربكري ١: ١٣٥.

(٣) هو كتاب مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن تأليف ابن الجوزي، كشف الظنون ٢: ١٥٨٩. وورد عنوانه في النسخة ب: مثير عزم الساكن. نقل المؤلف نصوصا كثيرة عنه في هذا التأليف.

وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام وهي خمس صلوات عمر مائتيْ سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليالٍ. انتهى.

وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ: (صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاة في المسجد الذي يُجمع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة) رواه ابن ماجة.

وعن جابر –رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: (صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة) رواه البيهقي في شُعَب الإيمان.

وعن أبي الدرداء –رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة) رواه الطبراني في الكبير(١).

وعن أنس –رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الصلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي عشرة آلاف صلاة، والصلاة في مسجد الرباطات ألف صلاة) [١٢] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء.

وعن أبي الدرداء –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: (فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة) رواه البيهقي في شُعب الإيمان.

وعن عبد الله بن الزبير –رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاة

(١) هو المعجم الكبير للطبراني.

في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في ما سواه إلاّ المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا) رواه أحمد والبزّار وابن خزيمة برجال الصحيح. زاد ابن خزيمة:يعني مسجد المدينة. وعنه -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره من المساجد إلاّ المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة) رواه أحمد والبزّار وابن حِبّان في صحيحه.

وصحّ عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجد النبي ﷺ. وعنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أتى هذا البيت لا ينهزه غير صلاة فيه رجع كيوم ولدته أمه) رواه سعيد بن منصور. وقوله: لا ينهزه يعني لا يحمله على ذلك.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن أدرك رمضان بمكة [١٣] فصامه وقام منه ما تيسّر كتب الله له مائة ألف شهر رمضان في ما سواها وكتب الله له بكل يوم عتق رقبة وكل ليلة عتق رقبة وكل يوم حملان فرس في سبيل الله وفي كل يوم حسنة وفي كل ليلة حسنة). رواه ابن ماجة[(١)].

وعنه عن النبي ﷺ قال: (دخول البيت دخول في حسنة وخروج مِن سيئة) رواه ابن عديّ في الكامل والبيهقي في الشُّعب.

وعنه عن النبي ﷺ: قال (من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورًا له) رواه الطبراني والبيهقي في السنن.

وعن عبد الرحمن الزجاج قال: أتيتُ شيبة بن عثمان فقلت له: يا أبا عثمان

(١) الدياربكري: تاريخ الخميس ١: ١٢٥.

يزعم ابن عباس (أنّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة ولم يصلّ قال: بلى صلّى ركعتين بين العموديْن ثم ألصق بهما ظهره وبطنه) رواه البيهقي.

وعن إسحاق بن سعيد عن أبيه سعيد قال: اعتمر معاوية –رضي الله عنه– فدخل البيت فأرسل إلى عبد الله بن عمر ينتظره حتى جاءه فقال: أين صلى رسول الله ﷺ يوم دخل البيت؟ فقال: ما كنتُ معه ولكن دخلتُ بعد أن أراد الخروج فلقيتُ بلالاً فسألته أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبرني أنه صلّى بين الأسطوانتيْن. فقام معاوية فصلّى بينهما. رواه البيهقي.

وعن عبد الرحمن بن صفوان أو ابن أبى صفوان قال [١٤] لما افتتح رسول الله ﷺ قلت: لألبسنّ ثيابي ولأنظرنّ كيف يصنع رسول الله ﷺ وكانت داري على الطريق، فانطلقتُ فوافقتُ رسول الله ﷺ قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم وقد وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله ﷺ وسطهم، رواه البيهقي.

وعن عائشة –رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (إنّي دخلت الكعبة ولو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما دخلتُها، إني أخاف أن أكون شققتُ على أمتي من بعدي) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم.

ومن فضائل هذا البيت الشريف أن الصلاة لا تكره فيها في وقت من الأوقات لما روى أبو ذر جندب بن جنادة –رضي الله عنه - قال وقد صعد على درجة الكعبة: مَن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب سمعتُ رسول الله ﷺ يقول (لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس إلاّ بمكة إلاّ بمكة إلاّ بمكة) رواه أحمد ورزين[١].

---

(١) هو رزين بن معاوية السرقسطي الأندلسي المكي، محدث، توفي سنة ٥٢٥ هـ/ ١١٣٠ م، له كتاب أخبار مكة نقلت عنه كتب التاريخ المكي. الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٣٣. ٣٥.

وأخرج الإمام الشافعي -رضي الله عنه - في مسنده عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال (يا بني عبد مناف، مَن ولي منكم من أمر الناس شيئا فلا يمنعنّ أحدًا طاف بهذا البيت [١٥] وصلّى أي ساعة شاء من ليل أو نهار) رواه مرسلا عن عطاء. وفيه (يا بني عبد المطلب أو يا بني هاشم أو يا بني عبد مناف).

ومن فضائل هذا البيت الشريف مما أورده الحسن البصري -رحمه الله تعالى - أنه قال: وما على وجه الأرض بلدة أبواب الجنة كلها مفتحة إليها إلاّ مكة. وأن أبواب الجنة ثمانية أبواب كلها مفتّحة بمكة إلى يوم القيامة. فباب منها للكعبة وباب منها تحت الميزاب وباب منها عند الركن اليماني وباب منها عند الركن الأسود وباب منها خلف المقام وباب منها عند زمزم وباب منها عند الصفا وباب منها عند المروة. ولا يدخل أحد الكعبة إلاّ برحمة الله تعالى ولا يخرج منها إلاّ بمغفرة الله عز وجل فإن الله تعالى قال: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾(١) أي من النار.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال (من دخل الكعبة دخل في رحمة الله -عز وجلّ - وفي حمى الله وفي أمن الله -عز وجل - ومن خرج خرج مغفورا له. وما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعا إلاّ بمكة).

وذكر والدي الفقير إلى الله الشيخ المحدث الرحلة أبو الوقت عبد الملك الصديقي العلوي(٢) في كتابه المسمى بالحبل المتين، في الأذكار والأدعية عن

(١) القرآن: آل عمران ٩٧.

(٢) توفي سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ٥: ٨٦ . ٨٧.

سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين[1]. عن الحسن البصري أيضا أنه قال في رسالته إلى أهل مكة: إن الدعاء يستجاب هناك في خمسة عشر موضعا؛ في الطواف وعند الملتزم [١٦] وتحت الميزاب وفي البيت وزمزم وعلى الصفا والمروة وفي المسعى وخلف المقام وفي عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات الثلاث يعني جمرة الدنيا وجمرة الوسطى وجمرة العقبة. رفع الحسن البصري ذلك إلى النبي ﷺ.

وذكر الأزرقي في تاريخ مكة أنه يستجاب الدعاء أيضا عند ظهر الكعبة وهو المستجار. وذكر الإمام أبو بكر محمد بن الحسن النقاش[2] المفسّر في مناسكه أنه يستجاب الدعاء هناك في أربعين بقعة، وعدّ بعضها منها ووَقّتَ كل بقعة بوقت معيّن؛ منها خلف المقام، وتحت الميزاب في السحر، وعند الركن اليماني مع الفجر، وعند الحجر الأسود نصف النهار، وعند الملتزم نصف الليل، وداخل زمزم غيبة الشمس، وداخل البيت بين يدي الجزعة عند الزوال، وإذا دخلتَ من باب بني هاشم، وعلى الصفا والمروة عند العصر، وفي دار خديجة ليلة الجمعة، وفي مولد النبي ﷺ يوم الاثنين عند الزوال، وفي دار الخيزران عند المختبإ بين العشاءيْن، وفي منى ليلة البدر شطر الليل، وفي مسجد الكبش، وبالمزدلفة طلوع الشمس، وبعرفة وقت الزوال تحت السدرة، وعلى الموقف عند غيبوبة الشمس، وفي مسجد الشجرة يوم الأربعاء، وفي المُتّكإ غداة الأحد، وفي ثور عند الظهر، وفي حراء وثبير.

وحُكيَ عن أبي سهل النيسابوري [١٧] أنّ المواضع التي يستجاب فيها الدعاء بالمسجد الحرام خمسة عشر وعدّ منها باب بني شيبة وباب إبراهيم وباب النبي ﷺ

---

(١) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ٦٢٩.

(٢) بغدادي مفسّر من القراء توفي سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م. انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٩: ٢١٤ -٢١٥.

وباب الصفا ومجاور المنبر حيث يقف المحمدون، انتهى. وباب النبي ﷺ هو باب المسجد الحرام المعروف اليوم بباب الجنائز على ما ذكر الأزرقي في تعريفه. وذكر القاضي مجد الدين الشيرازي[1] في كتابه المسمى بالوصل والمنى، في فضل منى[2]، مواضع أُخر بمكة وحرمها وذكر منها مسجد الخيف ومسجد المنحر ببطن منى. زاد ابن الجوزي: وفي مسجد البيعة وهو من منى وغار المرسلات لأنها من ثبير، وتقدم أن الدعاء فيه مستجاب ومغارة الفتح يعني الموضع الذي يقال له صخرة عائشة بمنى. وقيل: وفي مسجد النخل. انتهى.

قال في البحر العميق[3]: ومسجد البيعة هوالمسجد الذي يكون على يسار الذاهب إلى منى، بينه وبين العقبة التي هي حدّ منى مقدار غلوة أو أكثر على ما هو المعروف في هذا المسجد عند الناس، وفيه حجَران مكتوب فيهما ما يدل على ذلك، وإذا كان كذلك فقول مجد الدين في مسجد البيعة أنه من منى فيه نظر ولعله تخيّل أنه المسجد الذي على العقبة عند جمرة العقبة، وليس هذا المسجد مسجد البيعة كما قدمناه، والذي قدّمه أن بأعلا مكة مسجد يقال له مسجد الجن ويقال له مسجد البيعة. ومنها مسجد العقبة حيث بايَعَ رسول الله ﷺ الأنصار. وأما [١٨] مسجد الشجرة فبأعلا مكة مسجد يُقال له مسجد الشجرة مقابل مسجد الجن.

---

(١) هو محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤م. ترجمه السيوطي في بغية الوعاة ١: ٢٧٣ - ٢٧٥.

(٢) نقلت عنه بعض المصادر المكية القديمة مثل شفاء الغرام للفاسي. وورد ذكر كتاب الوصل والمنى في كشف الظنون لحاجي خليفة ص ٣٠٧، ٢٠١٤.

(٣) هو كتاب البحر العميق، في مناسك المعتمر والحاج إلى البيت العتيق لأبي البقاء القرشي المكي(ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) وهو كتاب مناسك، في آخره بابان يتعلقان بتاريخ مكة والمدينة، منه نُسخ مخطوطة متعددة. الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٣١ - ١٣٢.

وأما السدرة بعرفة والمتكأ ومسجد النحل فلا تُعرف اليوم إلاّ أنّ بأجياد الصغير موضع يقال له المتكأ وهو دكة مرتفعة منورة. وفي كلام الأزرقي ما يدلّ على إنكار أمر المتكأ، والله أعلم.

وبمكة موضع آخر يقال له المتكأ دكة مرتفعة بقرب باب العمرة يُروى أنه ﷺ صلى هنالك المتّكي. وبطريق التنعيم موضع آخر يقال له المتكأ.

قال: وذكروا أنه يُستجاب الدعاء بين الركن والمقام. وفي موقف النبي ﷺ بعرفات وفي الموقف عند المشعر الحرام وعند رؤية البيت وفي الحطيم وهو الحِجْر.

ومن المواضع التي يُستجاب فيها الدعاء رباط الموفق بأسفل مكة[١] يُروى عن الشيخ خليل المالكي أنه كان يكثر إتيانه ويقول: إن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه. ويروى عن الشيخ ابن مطرف الولي المشهور أنه قال: ما وضعتُ يدي في حلقة باب الرباط -يريد رباط الموفّق- إلاّ وقع في نفسي كم ولي لله وضع يده في هذه الحلقة.

ومنها جبل أبي قبَيْس على ما قيل. وذكر الفاكهي خبرًا في قدوم وفد عاد إلى مكة للاستسقاء لقومهم[٢] وفيه أنهم أُمروا بالطلوع إليه للدعاء وقيل لهم: لم يعْلُهُ خاطِئ يعرف الله منه الإنابة إلاّ أجابه إلى ما دعاه إليه. قال في تلخيص الزيادات للهروي: إن الصفا محسوب منه.

[١٩] ومنها عند قبر سيدتنا خديجة الكبرى -رضي الله عنها- وسفيان بن عُيَيْنة بمقبرة المعلاة بأعلا مكة. ومنها عند قبر الفضيل بن عياض والإمام عبد الكريم بن هوازن القشيْري وهما معروفان اليوم. ويُحكي عن الشيخ خليل المالكي أن الدعاء يستجاب عند قبر الشيخ أبي الحسن الشولي وقبور سماسرة الخير

---

(١) بالهامش تعليق نصه: ويسمّى الآن رباط المغاربة.

(٢) الفاكهي: أخبار مكة ٣: ٢٢٩.

وعند قبر عبد المحسن بن أبي العميد إمام المقام الشريف ويقال لقبره قبر إمام الحرمين وهذه الثلاث المواضع بالمعلاة. ويقال إنه إذا أراد أن يدعو عند قبور سماسرة الخير يستقبل القبلة بحيث تكون فتحة القبّة الكبيرة المعروفة بقبة الملك المسعود بحذائه على يساره. ومنها عند قبر الدلاصي بالقرب من الجبل. قال المرجاني[1] في بهجة النفوس[2] يقال: إن الدعاء عند قبره مستجاب. انتهى ما ذكره في البحر العميق.

ومن فضائل هذا البيت الشريف أنه قال الله تعالى في شأنه ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[3] أي قواما لهم في أمر دينهم ودنياهم فلا يزال في الأرض دين ما حجَّتْ وعندها المعاش والمكاسب.

وقال الله عز وجل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[4]. قال ابن عباس -رضي الله عنهما -: هي الكعبة وضعها الله تعالى في الأرض قبالة البيت المعمور. ذكره في الروض الفائق ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[5]. قوله مباركا أي كثير الخير لما يحصل لمن حجّه أو اعتمره أو عكف عنده وطاف [٢٠] حوله من الثواب. وقوله: وهدى للعالمين أي مُتعبَّدهم وقبلتهم. وقوله: فيه آيات، أي في الحرم فإن البيت يُطلق على ما دون هذا البناء

---

(١) هو عبد الله بن عبد الملك البكري التونسي المكي المعروف بالمرجاني. توفي سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨م. الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٧٠ . ٧١.

(٢) هو كتاب بهجة النفوس والأسرار، في تاريخ دار هجرة المختار. منه نسخة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم ١٣ تاريخ دهلوي.

(٣) القرآن: المائدة ٩٧.

(٤) القرآن: آل عمران ٩٦.

(٥) القرآن: آل عمران ٩٧.

كما في قوله ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1]. والحرم حريم البيت فجاز إطلاقه على الحرم وإلاّ لزم انحصار الآيات من داخل البيت فينافيها قوله مقام إبراهيم[2] إذ هو عطف بيان على آيات. فإن قيل: الآيات جمع والمفسَّر به اثنان إذ هو المقام وأمْن داخله فلا مطابقة، قلنا: أشار الزمخشري إلى جواب ذلك بأن الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة. وأجاب غيره بأن المقام مشتمل على آيات كالآية الصخرة وغوص القدميْن فيه وحفظه مع كثرة أعدائه وبقائه دون آيات سائر الأنبياء وكونه كان يعلو بإبراهيم كلما علا الجدار حتي تمّ بناؤه. قيل: والآيات تزيد على ذلك لكنه سبحانه وتعالى ذكر هاتين الآيتين وطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات وخُصَّا بالذكر. أما المقام فلعظم آياته وأما الآمن فتذكير للمشركين بأخصّ النّعَم عليهم دون سائر الناس لعل أن يرجعوا عمّا قابلوا ذلك من قبيح إعراضهم وإشراكهم كما قال الله تعالى ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[3].

ومن الآيات التي ذُكرت فيه وقع هيبته في القلوب وخشوع القلب عنده وجريان الدموع لديه وامتناع الطير في العلو من الجلوس عليه ولولا ذلك لكانت الأستار مملوءة [٢١] من قذرهنّ كنحوها مما يعتدن الجلوس عليه. قاله الحافظ ابن جماعة بغير المرضَى أمّا هي فتعلو عليه للاستشفاء. قال بعض العلماء: وقد كنا نرى الجماعة من الطيور إذا مرضتْ وتساقط ريشها دنتْ من الميزاب أو ركن من أركان البيت فتبقى زمانا طويلا كهيئة المتخشّع ثم تنصرف

(١) القرآن: الحج ٢٦.

(٢) وردت كلمتا: مقام إبراهيم بالهامش من النسخة أ.

(٣) القرآن: قريش: ٣ -٤.

من غير أن تعلو سقفه. واعترض ابن عطية على قول الحافظ بأنه يعاين علوه وقد علته العقاب لأخذ الحية المشرفة على جداره. وأجاب الزركشي بأن ما عُوين من ذلك قد يكون للاستشفاء، وأما العقاب فلأْخذ الحية المذكورة وهو من آياته.

قال بعض المتأخرين: والمعروف قبل وقتنا ما قال ابن جماعة، وأما الآن فما قاله ابن عطية فإن الطيور الآن تعلوه كثيرا أو يتكرر منها ذلك في الساعة الواحدة ولعل ذلك إنما نشأ عن تغيير سقفها انتهى.

والصواب أن يقال: وذلك بحسب ما استقرينا أنّ الطيور المهدرة الدم نحو الحدأة والغراب تعلوه وتجلس عليه، وأمّا نحو الحمام فعزّ أن يوجد منه شيء من ذلك فيحمل على الاستشفاء، وبذلك يُجْمَع الكلامان.

ومن آياته ائتلاف الظباء والسباع فيه وتتبّعها في الحلّ فإذا دخلت الحرم تركتها. قال ابن جماعة: ويروى أن أول من عاذَ بالحرم الحيتان الصغار من الكبار زمن الطوفان فلم تأكلها تعظيما للحرم. ومنها أن الغيث إذا كان في جانب من البيت اختصّ الخصب بتلك الناحية وإن عمّ البيت عمّ جميع النواحي. ومنها أن
[٢٢] سيل الحِلّ لا يدخل الحرم وإنما يخرج من الحرم إلى الحِلّ، وإذا انتهى سيل الحِلّ إلى الحرم وقف ولم يدخل فيه.

ومنها غير ذلك من الآيات؛ ومن جملتها ماء زمزم ومن فوائدها المنافية لطبع الماء مثل أن المستشفيَ ينفعه لمرضه مع أن الماء يضرّ بالاستسقاء. وقوله ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[1] أي الحرم أو دخل البيت كان آمنا أي من النار، قاله الحسن البصري. والحديث السابق في رسالته يدلّ على أن المراد تعميم الأمن من كل شيء. وقيل: من دخله حاجًّا كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها، قبل. وقيل: معناه آمِنُوا مَن دخله. وقيل: مَن دخله لقضاء النسك معظّما لحرمته

---

(١) القرآن: آل عمران ٩٧.

عارفًا لحقّه متقربا لله كان آمنا يوم القيامة، وقيل: غير ذلك. وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال (لما عقرتْ ثمود الناقة وأخذتهم الصيحة لم تُبْقِ أحدًا إلاّ أهلكته إلاّ رجلا واحدًا كان في حرم الله -عز وجل - فمنعه الحرم فقالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال: أبو رغال أبو ثقيف، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه) رواه أحمد ومسلم.

ومن فضائل هذا البيت الشريف ما رواه مجاهد عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما - قال: خُلق البيت قبل الأرض بألفيْ عام ثم دُحِيتْ الأرض منه. وعن ابن عبّاس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (أول بقعة وُضعتْ في الأرض موضع البيت ثم مُدتْ منها الأرض). و (إنّ أول جبل وضعه [٢٣] الله -عز وجلّ - على وجه الأرض أبو قبيس[(١)] ثم مُدت منه الجبال) رواهما البيهقي.

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن جده وهب بن منبه قال ذكر[(٢)] وهب بن منبه: إنّ آدم . عليه السلام . لما أُهبط إلى الأرض استوحش فيها لما رأى مِن سَعَتِها ولم ير فيها أحدًا غيره فقال: يا رب أما لأرضك عامِرٌ يسبّحك فيها ويقدس لك غيري؟ قال الله تعالى: إني سأجعل فيها بيوتا تُرفع لذكري ويسبّحني فيها خلقي، وسأُريك منها بيتًا أختاره لنفسي وأحفّه بكرامتي وأُوثِره على بيوت الأرض كلها باسمي، فأسمّيهِ بيتي أنظّفُه لعملي وأحرزه بحرمتي وأجعله أحق البيوت كلها وأولاها بذكري، وأضعه في البقعة التي اخترتُ لنفسي، فأني اخترتُ مكانه يوم خلقتُ السماوات والأرض وقبل ذلك كان بعيني، فهو صفْوَتيَ من البيوت ولستُ أسكنه وليس ينبغي لي أن أسكن البيوت ولا ينبغي لها أن تحملني، أجعل ذلك لك ولمن بعدك حرَمًا وأمنا أحرم بحرمته ما فوقه وما

(١) في أ: جبل أبو قبيس.

(٢) كلمة سقطت من أ.

تحته وما حوله. فمن حرّمه بحرمتي فقد عظّم حرمتي ومن أحلّه فقد أباح حريمي، ومن أمّن أهله فقد استوجب بذلك أماني ومن أخافهم فقد أخفرني في ذمتي، ومن عظّم شأنه فقد عظم في عيني، ومن تهاون به فقد صغر عندي. ولكل ملك حيازة وبطن مكة حوزي التي حزتُ لنفسي دون خلقي. فأنا الله ذو بكة كنفي وضماني وذمتي وجواري، أجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السماء وأهل [٢٤] الأرض يأتونه أفواجا شُعْثا غُبْرًا على كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق يعجّون بالتكبير عجيجا، ويرجّون بالتلبية رجيجا، فمن اعتمره لا يريد غيري فقد زارني وضافني ووفد إليّ ونزل بي فحُقّ لي أن أتحِفَه بكرامتي وحقّ لكل كريم أن يكرم وفْدَه وأضيافه وزوّاره وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته. تعمره يا آدم ما كنتَ حيّا ثم يعمره مِن بعدك الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمّة بعد أمّة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي ذلك إلى نبي من ولدك اسمه محمد ﷺ وهو خاتم النبيين فأجعله مِن عُمّاره وسكّانه وحُماته ووُلاته وسُقاته يكون أمني عليه ما كان حيا فإذا انقلب إليّ وجدني قد ذخرتُ له من أجره وفضله مما يتمكّن به من القربة إليّ والوسيلة عندي وأفضل المنازل في دار المقامة، وأجعل اسم ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وسناه ومكرمته لنبيّ من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو أبوه ويقال له إبراهيم أرفع له قواعده وأقضي على يديه عمارته وأُنيط له سقايته وأُريه حلّه وحرمه ومواقفه، وأعلّمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة واحدة قانتا قائما بأمري داعيا إلى سبيلي أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم أبتليه فيصبر، وأعافيه فيشكر، وآمُرُه فيفعل ويُنذر لي فيَفي ويعدني فينجز، أستجيب دعوته في ولده وذريته من بعده وأُشَفعُه [٢٥] فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحُماته وسُقَاته وخدمه وخُزّانه وحُجّابه حتى يبْتدِعوا أو يغيّروا أو يبدّلوا. فإذا فعلوا ذلك فأنا أقْدَرُ القادرين على أن أستبدل من أشاء بمن أشاء. وأجعل إبراهيم أمام ذلك البيت وأهل تلك الشريعة يأتمّ به مَن حضر تلك

المواطن من جميع الإنس والجن يطؤون فيها آثاره، ويبتغون فيها سنَّته، ويقْتدون فيها بهدْيه. فمن فعل ذلك منهم أوْفى بنذره واستكمل نُسُكه وأصاب بغيته، ومن لم يفعل ذلك منهم ضَيَّع نسكه وأخطأ بغيته ولم يُوفِ بنذره. فمن سأل عني يومئذ في تلك المواطن أين أنا؟ فأنا مع الشُّعْث الغُبْر المُوفين بنذرهم المستكملين مناسكهم المتبتّلين إلى ربهم الذي يعلم ما يُبدون وما يَكتمون. رواه البيهقي في شُعَبِ الإيمان، والأزرقي معناه بأطْوَل من ذلك.

وعن الزهري قال: بلغني أنهم وجدوا في مقام إبراهيم –عليه السلام– ثلاثة صفوح في كل صفح منها كتاب. في الصفح الأول: أنا الله ذو بكّة وضعْتُها يوم وضعتُ الشمس والقمر وحففتُها بسبعة أملاك حُنَفاء وباركْتُ لأهلها في اللحم واللبن. وفي الصفح الثاني: أنا الله ذو بكة خلقتُ الرحم وشققتُ لها اسمًا من اسمي. مَنْ وصَلَها وصلتُه ومَن قطعها بَتَّتْه. وفي الثالث: أنا الله ذو بكة خلقتُ الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشرّ على يديه. رواه أيضا البيهقي في شُعَب الإيمان.

فقال ابن إسحاق: حُدّثْنَا أنّ قريشًا وجدتْ كتابا بالسريانية [٢٦] فلم يَدْروا ما فيه حتى قرأه رجل من اليهود فإذا فيه: أنا الله ذو بكة خلقتُها يوم خلقتُ السماوات والأرض وصّورتُ الشمس والقمر وحففتُها بسبعة أملاك حُنَفاء، ولا تزول حتى تزول أخْشباها، مبارَكٌ لأهلها في الماء واللّبن. أخشباها جبلاها وهما أبو قُبيس والمشْرف وجهه على قعيقعان، يقال له الأحمر، ومكة بين هذين الجبلين.

وقال ابن عبد البر: إن ابن وهب ذكر في جامِعِه عن مالك: إن آدم –عليه السلام– لما أُهبط إلى الأرض قال: رب أهذه الأرض أحب الأرض إليك أن تُعبَد فيها؟ قال: بل مكة. وعن محمد بن إسحاق قال: بلغنا أن الله تعالى أمر آدم –عليه السلام– لما أهبط إلى الأرض أن يسير إلى مكة فسار فكان لا ينزل منزلا إلاّ فجّر

الله له ماءً معينا حتى انتهى إلى مكة فأقام بها يعبد الله عند البيت ويطوف به، فلم تزل داره حتى قبضه الله -عز وجل- بها. وذكر وهب أن البيت كان على عهد آدم -عليه السلام- ياقوتةً حمْراء تلتهب نورًا من ياقوت الجنة، لها باب شرقي وباب غربي من ذهب مِن تبْر الجنة. وكان فيها ثلاثة قناديل من تبر الجنة فيها نور يلتهب، بابها منظوم بنجوم من ياقوت أبيض. والركن يومئذ نجم من نجومها ياقوتة بيضاء ولم يزل على ذلك حتى كان في زمن نوح -عليه السلام-.

وقال أيضا: إن خيمة آدم وهي الياقوت لم [٢٧] تزل في مكانها حتى قبض الله آدم ثم رفعها إليه وبنى بنو آدم موضعها شيئا من الحجارة فلم يزل معمورًا حتى كان زمن الغرق ورفع من الغرق فوُضعتْ تحت العرش. ومكثت الأرض خرابًا ألفي سنة فلم تزل على ذلك حتى كان زمن إبراهيم – عليه السلام - فأمره أن يبني بيته فجاءت السكينة إبراهيم -عليه السلام- كأنها سحابة فيها رأس يتكلَم، لها وجه كوجه الإنسان، فقال: يا إبراهيم خذْ قدر ظِلّي وابن عليه لا تزدْ شيئًا ولا تُنقض. فأخذ إبراهيم قدر ظلها ثم بنى هو وإسماعيل -عليهما السلام- البيت ولم يجعل له سقفًا. وكان الناس يلقون فيه الحلي والمتاع حتى إذا كاد أن يَمْتَلئَ اتّعَدَ له خمسة نفر ليسرقوا ما فيه، فقام كل واحد على زاوية واقتحم الخامس فسقط على رأسه فهلك، وبعث الله عند ذلك حيةً بيضاء سوداء الرأس والذنب فحرستْ البيتَ خمسمائة عام لا يقربه أحد إلاّ أهلكته، فلم يزل كذلك حتى بَنَتهُ قريش. رواه البيهقي في شُعَب الإيمان.

وقيل: إن الله تعالى بعث ملائكة فقال: ابنوا لي شيئا في الأرض بمثال البيت المعمور وقدره، فبنوه فأمر الله عز وجل مَن في الأرض مِن خلقته أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور. وقيل: لما أهبط الله آدم من الجنة

قال: يا آدم، ابْنِ لي بيتا بحذاء بيتي الذي في السماء تتعبّد فيه أنت وولدك كما [٢٨] تتعبّد ملائكتي حول عرشي وهبطت عليه الملائكة فحفرتْ حتى بلغ الأرض السابعة فقذفتْ فيه الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الأرض. وهبط آدم معه بياقوتة حمراء مجوّفة لها أربعة أركان بيض فوضعها على الأساس. فلم تزل الياقوتة كذلك حتى رفعها الله تعالى إلى السماء وبقيت قواعده. وبني بنو آدم بها مِن بعدها مكانها بيتًا بالطين والحجارة فلم يزل معمورًا يعمرونه ومَن بعدهم حتى زمن نوح -عليه السلام - وكان الغرق فخفي مكانه. فلما بعث الله إبراهيم -صلوات الله عليه - طلب الأساس، أساس الملائكة، ليبني عليه فضرب جبريل -عليه السلام - بجناحه الأرض فأبرز عن أسٍّ ثابت على الأرض السفلى فقذفتْ فيه الملائكة الصخرة ما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلاً. وبنى عليه البيت. أورده الإمام المحدث سعيد الدين الكازروني في مناسكه.

وعن خالد بن عرعرة قال: أتيتُ الرحبة فإذا أنا بنفر جلوس قريب من ثلاثين أو أربعين رجلاً فقعدتُ معهم فخرج علينا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - فما رأيتُه أنكر من القوم غيري فقال: ألا رجل يسأل فينتفع وينفع جلساءه؟

قال: فقام رجل فقال: ما ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴾(١) قال: الريح قال: فما ﴿ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴾(٢) قال: السحاب، قال: فما ﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴾(٣) قال هي السفن، قال: فما ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾(٤) قال: الملائكة قال: فما ﴿ ٱلْجَوَارِ [٢٩] ٱلْكُنَّسِ ﴾(٥)

---

(١) القرآن: الذاريات ١.

(٢) القرآن: الذاريات ٢.

(٣) القرآن: الذاريات ٣.

(٤) القرآن: الذاريات ٤.

(٥) القرآن: التكوير ١٦.

قال: الكواكب، قال: فما ﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴾[1] قال: السماء، قال فما ﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾[2] قال: بيت في السماء يقال له الضراح[3]. وهو بحيال الكعبة من فوقها، حُرمَتُه في السماء كحُرمَة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون فيه أبدا.

قال: ثم جلس الرجل فقال علي -رضي الله عنه -: ألا رجل يسأل فينتفع وينفع جلساءه؟ قال: فقام رجل فقال: ما ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴾[4] قال: الريح. فقال له رجل: أجل،ألا تحدثني عن هذا البيت هو أول بيت وضع في الأرض؟ قال: لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا ﴾[5] وان شئتَ أنبأتُك كيف بُنِيَ: إن الله -عز وجل - أوحى إلى إبراهيم –عليه السلام – ابن لي بيتًا في الأرض فضاق إبراهيم بذلك ذرعا. فأرْسَل الله إليه السكينة وهي ريح خَجُوج[6] حتى انتهت إلى مكة وتطورت موضع البيت وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، قال: فبنى إبراهيم حيث استقرت السكينة. قال: وكان هو يبني وابنه حتى بلغ موضع الحجر الأسود فقال إبراهيم: أَبغِي حجَرًا، قال: فذهب الغلام ليلتمس حجرًا قال: فأتاه وقد ركّب الحجر الأسود في مكانه.

فقال: يا أبتِ مَن أتاك بهذا الحجر؟ فقال: أتاني به مَن لم يتّكل على بنائك، أتاني به جبريل من السماء، قال: فبناه فمرّ عليه الدهر فانهدم فبنتْه العمالقة،

(١) القرآن: الطور ٥.

(٢) القرآن: الطور ٤.

(٣) بالهامش تعليق نصه: الضراح كغراب، البيت المعمور في السماء الرابعة.

(٤) القرآن: المرسلات ٢.

(٥) القرآن: آل عمران ٩٧.

(٦) بالهامش تعليق نصه: الخجوج: الريح الشديدة المراء والملتوية هبوبها كالخرجات.

فمرّ عليه الدهر فانهدم فبنتْه جرهم، فمرّ عليه [٣٠] الدهر فبنته قريش ورسول الله ﷺ يومئذ رجل شاب، فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا: يحكم بيننا أول مَن يخرج منْ هذه السكّة. فكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم. فقضى عليهم أن يجعلوه في مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم. رواه البيهقي. قال: ورويناه من وجه آخر. فقال: في السكينة لها رأس. وقال: ثم تطوّقَتْ موضع البيت تَطَوّق الحية. وقال في آخره فرفعوه وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه وقال رسول الله ﷺ هذا البيت خامس خمسة عشر سبعة منها في السماء إلى العرش وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى. وأعلى الذي يلي العرش البيت المعمور. لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السابعة. ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض مَن يعمره كما يعْمر هذا البيت. أوْردَهُ المولى سعيد الدين المحدث الكازروني في مناسكه.

ولنذكر حدود الحرم: فحدُّه من طريق المدينة على ثلاثة أميال، ومن طريق جدة على عشرة أميال، ومن طريق اليمن سبعة أميال، ومن طريق الطائف على طريق عرفة سبعة أميال، وقيل أحد عشر، ومن طريق العراق سبعة أميال وقيل من طريق اليمن تسعة أميال ومن طريق جعرانة تسعة أميال. ولبعضهم في ذلك نَظْمٌ حيث [٣١] يقول:

وللحرم التحديد من أرض طيبة ثلاثة أميال إذا رمت إتقانه
وسبعة أميال عراق وطائف وجدة عشر ثم تسع جعرانه
ومِن يَمَن سبع بتقديم سينِهِ وقد كملت فاشكر لربك إحسانه

واختلفوا في سبب تحديد الحرم بتلك الحدود المختلفة فقيل: نُقِل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن آدم ﷺ لما أُهبط إلى الأرض خَرَّ ساجدًا معتذرا

فأرسل الله له جبريل -عليه السلام - بعد أربعين سنة يعْلِمه بقبول توبته، فشكا إلى الله ما فاتَهُ من الطواف بالعرش فأهبط الله له البيت المعمور. وكان ياقوتة حمراء تحيط به كواكب بيض مِن ياقوت الجنة، فأضاء نوره ما بين المشرق والمغرب، فنفرتْ لذلك النور الشياطينُ والجنُ وفزعوا فرقَواْ في الجو ينظرونه. فلما رأوْه من مكة أقبلوا يريدون الاقتراب إليه، فأرسل الله تعالى ملائكة فقاموا حوالي الحرم في مكان الأعلام اليوم ومنعوهم، فمِنْ ثمّ ابتدئي اسم الحرم.

وروى الخطيب عن جعفر بن محمد -معضلاً - أن رسول الله ﷺ قال: (أُمِر جبريل أن ينزل بياقوت من الجنة فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثَر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرمًا). وقيل: نُقل عن وهب أنه لما نزل آدم اشتد بكاؤه وحزنه لما كان مِن عِظَم المصيبة حتى أن كانت الملائكة لتحزن لحزنه وتبكي لبكائه. قال: فوضع الله تعالى له خيمة [٣٢] من ياقوتة حمراء من الجنة فيها ثلاثة قناديل موضع الكعبة، فانتهى نورها إلى محلّ أَنْصاب الحرم، وحرسها الله تعالى بملائكته يقفون على تلك الأنصاب يحرسونه ويذودونه عن سكان الأرض، وسكانها يومئذ الجن والشياطين، لكي لاينظروا إلى شيء من الجنة، لأنه مَن نظر إلى شيء منها وجبتْ له.

وقيل: إن إبراهيم لما بنى البيت طلب من إسماعيل ﷺ حجرًا يجعلانه للناس فذهب ورجع بغير شيء ووجد الحجر الأسود عنده جاء به جبريل -عليه السلام - فوضعه إبراهيم -عليه الصلاة والسلام - في موضعه هذا، فأنار من سائر الجهات لأنه من ياقوت الجنة فجعل الله الحرم إلى حيث انتهى ذلك النور في كل جانب. وقيل: لأنّ آدم لما أُهبط إلى الأرض خاف على نفسه من الشياطين فأرسل الله تعالى ملائكة حَفّوا بمكة من كل جانب فكان الحرم إلى حيث حَفّوا. وقال عطاء: كانوا يرون العرش على الحرم. ذكر ذلك الإمام الطبري وغيره.

وقال السهيلي: روي في التفسير أن الله تعالى لما قال للسماوات والأرض ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[١] لم يجبْه لهذه المقالة من الأرض إلاّ أرض الحرم فلذلك حرّمها فصارت حرمتها كحرمة المؤمن إنما حرم دمه وعرضه وماله لطاعته لربه وأرض الحرم لما قالت: أتينا طائعين حَرّم صيدها وشجرها وخلاها فلا حُرْمة إلاّ لِذي طاعة. جعلَنا الله من أهل طاعته، انتهى. وهذا وجه خامس في حِكمة التحديد.

وقيل: لما قال إبراهيم [٣٣] -عليه السلام- ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[٢] نزَل إليه جبريل فذهب به فأراه المناسك ووقفَهُ على حدود الحرم. فكان إبراهيم -عليه السلام- يجمع الحجارة وينصب الأعلام ويحثو عليها التراب. وكان جبريل -عليه السلام- يُوقِفه على الحدود، فإبراهيم -عليه السلام- أول مَن نَصب أنْصاب الحرم.

ورُوي أنّ غنَم إسماعيل كانت ترعى في الحرم ولا تجاوزه ولا تخرج منه فإذا بلغتْ منتهاه من ناحية من نواحي الحرم رجعتْ إلى الحرم. ورُوي أن النبي ﷺ أمر يوم الفتح تميم بن أُسيْد جدّ عبد الرحمن بن المطلب فجدّدها. ولما كانت خلافة عمر -رضي الله عنه- بعث أربعة من رؤوس قريش فجدّدوا أنصابها. وكذلك عثمان -رضي الله عنه- أمر بتجديد الأنصاب. ذكره الإمام المحدث سعيد الدين الكازروني[٣] -رحمه الله-.

---

(١) القرآن: فصلت ١١.

(٢) القرآن: البقرة ١٢٨.

(٣) هومحمد بن مسعود البلياني الكازروني، سعيد الدين، توفي ٧٥٨ هـ / ١٣٥٧ م من مؤلفاته جامع للمناسك الذي ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٨٣١. قد نقل عنه المؤلف كما يتضح للقارئ في ما بعد. انظر مصادر ترجمة الكازروني في معجم المؤلفين لكحالة ج ١٢ ص ٢٠.

وأما تسمية هذا البيت بالعتيق فعن ابن الزبير –رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة) فلم يظهر عليه جبَّار قط، رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وبه قال ابن الزبير وابن أبي نُجيْح وقتادة: كم جبّار سار إليه فأهلكه الله تعالى. قَصَده تُبّع ليهدمه فأصابه الفالج فأشار الأحبار إليه أن يكفّ عنه وقالوا له: ربٌّ يمنعُه، فتركه وكساه، وهو أول من كساه. وقصده أبرهة فأصابه ما أصابه. وقيل: لقِدَمِه، قاله الحسن. وقيل: لأنه كريم على الله أو لأنه لم يَجُرْ عليه ملك مِن خلق الله. قاله مجاهد، أو لأنه أعتقه من الغرق [٣٤] أيام الطوفان، قاله مجاهد وابن جبير.

وفي الروض الفائق[1]: قال أبو بكر الواسطي: إنما سُمّي عتيقا لأن من طاف به صار عتيقا من النار. انتهى. قال ابن عطية: وهذا يردّه التصريف[2].قال أبو حيان: بل وجهه أن العتيق فعيل بمعنى مُفْعِل أي مُعْتِق رقاب المذنبين ونُسِب الإعتاق إليه مجازًا إذ بزيارته والطواف به يحصل الإعتاق.

وعن أبي ذر –رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (أول مسجد وُضِع في الأرض المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى وما بينهما أربعون سنة) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة. وفي الحديث أنه ﷺ قال: (يقول الله تعالى: إذا أردتُ أن أخرب الدنيا بدأتُ ببيتي فأخْربتُه ثم أخرب الدنيا على أثره) ذكره الإمام المحدث الكازروني.

---

(١) هو كتاب في المواعظ تأليف شعيب الحريفش المصري المالكي. حاجي خليفة: كشف الظنون ص ٩١٩ والمؤلف توفي سنة ٨٠١ م. كحالة: معجم المؤلفين ٤: ٣٠٢.

(٢) بالهامش من النسختين أ و ب تعليق نصه: فيه نظر لأن الفعيل قد يَجيُ بمعنى الفاعل، كالرجيم، فحينئذ يكون هذا من هذا القبيل.

ومن فضائل هذا البيت مما يشاركه سائر المساجد أنها لا تبدل يوم تبدل الأرض غير الأرض بل الأرضون كلها تذهب إلاّ المساجد. لما روى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال قال رسول الله ﷺ: (تذهب الأرض كلها يوم القيامة إلاّ المساجد فإنها تنضم بعضها إلى بعض) رواه الطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل.

ومن فضائل هذا البيت الشريف أيضا أنّ من أكرمه أكرمه الله روى الدارقطني عن....[1]. ابن عطاء مرسَلاً أنّ رسول الله ﷺ قال: (من أكرم القبلة أكرمه [٣٥] الله تعالى) ومِن إكرامه النظر إليه إيمانا واحتسابا. عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (النظر إلى الكعبة عبادة) رواه أبو الشيخ. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال (النظر إلى الكعبة محض الإيمان) رواه الجنَدي[2]. وعن سعيد بن المسيّب -رضي الله عنه - أنه قال: من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وعن عطاء قال: النظر إلى البيت الحرام عبادة. فالناظر إليه بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد في سبيل الله، أخرجهما الأزرقي. وعن سعيد بن المسيب -رضي الله عنه - قال: من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقًا تَتَحَاتّ ذنوبه كما يتحاتّ[3] الورق من الشجر، أخرجه الجنَدي ونقل ابن الجوزي مثله عن قول أبي السائب المديني. وقال

(١) كلمة غير مقروءة بالأصلين.

(٢) هو المفضل الجنَدي اليمني المكي توفي سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م. محدث كانت له حلقة عظيمة بالمسجد الحرام. له كتاب فضائل مكة نقلت عنه مصادر كثيرة منها مؤلفات الفاسي في تاريخ مكة ومعجم شيوخ النجم بن فهد وكتاب أعلام المساجد للزركشي. من هذا الكتاب قطعة صغيرة محفوظة بدار الكتب الظاهرية. ترجمة الجندي وردت عند الفاسي في العقد الثمين ١: ١٠، ٢٦٦.

(٣) كذا في أ وفي ب: تتحاتّ.

النخعي: النظر إلى الكعبة كالمجتهد في العبادة في غيرها من البلاد. وقيل: النظر إلى الكعبة عبادة أفضل مما سواه من الأرض، عبادة الصائم القائم الدائم القانت. قال زهير بن محمد: الجالس في المسجد ينظر إلى البيت لا يطوف به ولا يصلّي أفضل من المصلي في بيته لا ينظر إلى البيت. أوردها الإمام المحدث الكازروني في مناسكه.

ومن فضائل هذا البيت الشريف أن طينة النبي ﷺ منها ومحبّة النبي ﷺ السكنى في بلده. روى الزبير بن بكار أنّ جبريل أخذ التراب الذي منه خُلِق النبي ﷺ من تراب الكعبة. وقال ابن عباس -رضي الله عنهما -: أصل طينة النبي ﷺ مِن سُرَّة الأرض بمكة. وقد مرّ أنّ الأرض كلّها دُحِيتْ من موضع الكعبة. فإن قيل: مدفن [٣٦] الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجميع الناس يكون مكان طينته التي خُلق منها، لما رَوى ابن عبد البر موقوفًا: أن المرْء يُدفن في البقعة التي أُخِذَ منها تُرابه عندما خُلِق، وهو ﷺ دُفِن بالمدينة الشريفة. فالجواب ما نقله العلماء: أن الماء لّما تموّج عند وقوع الطوفان ألقَى تلك الطينة إلى ذلك الموضع من المدينة الشريفة. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال ﷺ في حق مكة (ما أَطْيَبك مِن بلد وأحبّك إليّ ولولا أنّ قومي أخْرجوني منك ما سكنتُ غيرك) رواه الترمذي وابن حِبّان والحَاكم. وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء -رضي الله عنه - قال رأيتُ النبي ﷺ على راحلته واقفا بالحَزْورة يقول (والله إنك لخير أرض الله، وأحبّ أرض الله إليّ، ولولا أنى أُخرجْتُ منك ما خرجتُ) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبّان والدارقطني، وصحّحه الترمذي. وقال ابن حزم: إنه في غاية الصحّة. ورواه أبو هُريرة أيضا عن النبي ﷺ.

قال ابن الأثير قال الشافعي -رضي الله عنه - إنّ الناس يشدّدون الحزورة وإنها بالتخفيف. قال ابن الأثير: إنها على وزن قَسْورة. وعن ابن عباس -رضي

الله عنهما -قال: قال رسول الله ﷺ لما أُخْرِجَ من مكة [٣٧] (أما والله إنّي لأخرج منكِ وإني لأعْلَم أنكِ أحبّ البلاد إلى الله وأكرمها على الله ولو لا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجتُ. يا بني مناف إن كنتم ولاة هذا الأمر من بعدي فلا تمنعوا طائفًا يطوف ببيت الله أيّ ساعة شاء من ليل أو نهار. ولو لا أن تطغى قريش لأخبرتُها بما لها عند الله عز وجل. اللّهم أذقتَ أوّلها وبالاً فأذِقْ آخرها نَوالاً). وعن عائشة -رضي الله عنها - قالت: لو لا الهجرة لسكنتُ مكة. إني لم أرَ السماء بمكان قطّ أقْرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئنَّ قلبي ببلد قط ما اطمأنّ بمكة، ولم أرَ القمر بمكان أحسن منه بمكة، رواهما الأزرقي.

وقال في البحر العميق يروى أنّ النبي ﷺ لما سار إلى المدينة مهاجرا تذكّر مكة في طريقه فاشتاق إليها، فأتاه جبريل -عليه السلام - فقال: تشتاق إلي بلدك ومولدك؟ قال: نعم. قال: فإن الله يقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[1] أي مكة. ويُروى أن الآية نزلتْ والنبي ﷺ بالجحفة. وفي تفسير البيضاوي: رُوي أنّ النبي ﷺ (سئل عن مخرج الدابة فقال: مِن أعظم المساجد حُرمة على الله) يعني المسجد الحرام.

ومن فضائل هذا البيت الشريف أنّ الدجّال لا يدخله. عن أنس -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلاّ سيطؤها [٣٨] الدجّال إلاّ مكّة والمدينة. وليس مِن أنقابها إلاّ عليه الملائكة حافين تحرسها، فيتنزل بالسبخة

(١) القرآن: القصص ٨٥.

فترجف المدينة بأهلها ثلاث رَجَفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافقٍ) رواه البخاري ومسلم والنسائي. وعن عبد الله بن عَمْرو -رضي الله عنهما - مرفوعًا (أنّ الدجّال يرد كلّ منهل إلاّ الكعبة والمدينة وبيت المقدس) رواه الطبراني. وعن سمرة: إنه يظهر على البلاد كلها إلاّ الحرمين وبيت المقدس. وروى أحمد مرفوعًا (أنّ الدجال لا يأتي أربعة مساجد الكعبة ومسجد الرسول ﷺ والأقصى ومسجد الطور). وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: (أربع محفوظات مكة والمدينة وبيت المقدس ونجران).

ومن فضائل هذا البيت الشريف أن الطاعون لا يدخله كما لا يدخل المدينة. عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ (المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منها مَلَك، لا يدخلها الدجّال ولا الطاعون) رواه أحمد وعمر بن شبّة[1] في كتاب أخبار مكة وإسناده جيّد.

وقال الدماميني في حاشية البخاري في كتاب الطب: وقد ورد أنّ الطاعون لا يدخل مكة أيضا. قال ابن قتيْبة: ولم يقع بالمدينة ولا مكة طاعون قط. ونقله الإمام النووي في الأذكار وأقرّه فدلّ على أنه لم يدخل مكة إلى زمنه. قال [٣٩] ابن حجَر يمكن، قيل: إنه قد دخل مكة في سنة تسع وأربعين وسبعمائة [٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م] فإن ثبتَ ذلك فلعله لِمَا انتُهك مِن حرمتها بسكنى الكفار فيها. وقوله: فإن ثبت يدلّ على عدم ثبْوته. ففي شِفاء الغَرام[2] أن في سنة تسع وأربعين

(١) ورد في النسخة أ: بن شيبة، وهو خطأ واضح فإن المؤلف هو عمر بن شبّة المتوفى ٢٦٢ هـ / ١٨٧٦م صاحب كتاب أخبار المدينة المطبوع. وقد نسب له كتاب أخبار مكة –لم نعرف منه نسخة - ينقل عنه هنا مؤلف هذا الكتاب. انظر مصادر ترجمته في كتاب معجم المؤلفين لكحالة ج ٧ ص ٢٨٦.

(٢) هو كتاب شفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي، طبع بالقاهرة بتحقيق عمر عبد السلام تدمري.

وسبعمائة [٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م] كان الوباء الكثير بمكة، انتهى.

ويُفهم من كلام ابن حجر في خاتمة كتابه الموضوع في الطاعون أنّ عمدته في ما ذكره قول بعض مَن وصفه وعظّم شأنه. والظاهر أن هذا الواصف تجوَّز وأطلق الطاعون على الوباء لوقوع كثرة الموت لكل منهما، وصاحب شفاء الغرام مؤرخ محقّق أدرى بشأن الواقعات من غيره، والوباء غير ممتنع بمكة وإنما الممتنع الطاعون الذي سُئل رسول الله ﷺ عنه فقال (إنه شبيه الدمل يخرج في الآباط والمراق). وقال (هو وخْزُ أعدائكم من الجن).

وأما المدينة فلم يذكر أحد قط أنه دخلها في ما مضي من الزمان ولا يدخلها لحديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجّال) فقد شاركتْها مكة في كون الملائكة على كل نقب كما رواه أحمد.

ومما ورد في تعظيم الحرم ما رواه ابن ماجة عن ابن عياش بن أبي ربيعة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزال هذه الأمة بخير ما عظّموا هذه الحُرْمة حق تعظيمها، فإذا ضيّعوا [٤٠] ذلك هلكوا) والمراد بتعظيم هذه الحرمة هنا كما في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[1] أفعال الحج المشار إليها في قوله ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾[2] ويدخل في ذلك تعظيم المواضع. قاله ابن زيد وغيره.

وعَدَ الله على تعظيمها تحريضًا وحثًّا على ذلك. قال ابن عباس -رضي الله عنهما -: حج الحواريون فلما دخلوا الحرم مشوْا تعظيمًا للحرم. وعنه قال:

(١) القرآن: الحج ٣٠.

(٢) القرآن: الحج ٢٩.

كانت الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام - يدخلون مشاة حفاة ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك حفاة مشاة. رواه ابن ماجة موقوفًا والعقيلي عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا ولفظه: مرّ بالصخرة من الروحاء سبعون نبيًا حفاة عليهم العباَء يؤمّون البيت العتيق، فيهم موسى -عليه السلام -. وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال لمّا نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة قال: (مرحبًا بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك. وللمؤمن أعظم عند الله حرمة منك) رواه البيهقي.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي في ذكر أبي عمرو محمد بن إبراهيم الزجّاجي -رحمه الله تعالى - قال: يُقال إنه لم يَبُلْ ولم يتغوّط في الحرم أربعين سنة، كان يخرج في كل يوم لعمرة خارج الحرم فيبول ويتغوّط ثم يرجع فلا يبول ولا يتغوّط إلى غدِ ذلك الوقت في اليوم الثاني. وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - كان له فُسطاطان أحدهما في الحرم [٤١] والآخر في الحلّ إذا عابثَ أهله عابثهم في الحل. رواهما البيهقي.

ومن تعظيمِهِ حرمة صيده وقطع شجره. عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلّط عليها رسول الله والمؤمنين. ألا فإنّها لم تحلّ لأحدٍ قَبْلي ولا تحلّ لأحد بعدي، ألا وأنها حلّتْ لي ساعة من نهار، وأنها ساعتي هذه حرام لا يُخْتَلي شوكُها ولا يُعْضَد شجرها ولا تُلتقط ساقطتها إلاّ لمنشد. ومن قُتِل له قتيل فهو لخير النظرين، إما أن يعقل، وإما أن يُقاد أهل القتيل) رواه أحمد والشيخان وأبو داود.

ومن تعظيمه حرمة القتال فيه. عن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة (لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استُنْفِرتم فانفروا. إنّ هذا البلد حرَّمه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله

تعالى إلى يوم القيامة. وإنه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلّ لي إلاّ ساعة من نهار. فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة لا يُعْضَد شوكه ولا ينفر صيْده ولا يلتقِط لُقَطته إلاّ من عرفها، ولا يُختلى خلاها. فقال العباس -رضي الله عنه -: يا رسول الله، إلاّ الأذخر فإنه لقيتهم وبيوتهم، فقال: إلاّ الأذخر) رواه الجماعة ما عدى ابن ماجة. وعن أبي شريح -رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ: (إن مكة حرَّمَها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لآمرئ يؤمن بالله [٤٢] واليوم الآخر أنْ يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة. فإنْ أحدٌ ترخَّص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذِنَ لي ساعة مِن نهار ثم عادتْ حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس. وليبلغ الشاهد الغائب) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وعن الحارث بن مالك الليثي -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تُغْزَى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة) رواه أحمد والترمذي وابن حبّان والحاكم. وعن جابر -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحلّ لأحد أن يحمل بمكة السلاح) رواه مسلم.

ومن تعظيمه تعظيم أهله الذين هم أهل الله تعالى، لا سيما العلماء والصالحون منهم. ذكر الإمام العلامة المحدث أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه أنّ النبي ﷺ لما استعمل عَتّاب بن أُسيْد على مكة قال (يا عتّاب أتدري على مَن استعملتُك؟ استعملتُك على أهل الله تعالى فاستَوْص بهم خيرًا) يقولها ثلاثا. وقال ابن أبي مليكة: كان أهل مكة في ما مضى يُلْقَوْنَ فيقال: يا أهل الله وهذا من أهل الله. وكان وهب بن منبه يروي أن الله تعالى يقول: من أمّنَ أهل الحرم استوجب بذلك أمَانِي ومَن أخافهم فقد أخفرني في ذمتي، ولكل ملك حيازة مما حوالَيْه وبطن مكة حَوْزي وأهلها جيران بيتي،

وعُمّارُها وزوّارُها وفدِي وأضيافي وفي [٤٣] كَنَفي وأماني ضامنون عليّ في ذمتي وجواري، انتهى. ويُروى (أن سيدنا رسول الله ﷺ سأل الله عما لأهل بقيع الغرْقَد فقال: لهم الجنة، قال: يا رب ما لأهل المعلا؟ قال: يا محمد سألتَنِي عن جوارِك فلا تسألني عن جواري) أورَده ابن جماعة في منسكه.

ومن تعظيمِه أنه لا يجوز استقبال القبلة ولا استدبارها في البول والغائط. لما روى أبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرّقوا أو غرّبوا) أورَده الإمام البغوي في المصابيح وقال: هذا الحديث في الصحراء أما في البنيان فلا بأس، لما رُوِي عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: ارتقيتُ فوق بيت حفصة لبعض حاجتي فرأيتُ رسول الله ﷺ يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام. قال العلماء: ذكْر الصحراء والبنيان جرى على الغالب من أن الصحراء ليس فيه شيء يستتر به، والبنيان يوجد فيه ذلك وليس المدار عليهما وإنما المدار على السترة سواء كان في الصحراء أوالبنيان جاز ذلك مع الكراهة، وحيث لا سترة فلا يجوز. وشرط السترة أن يقرب المستتر منها بحيث يكون بينه وبينها ثلث ذراع أو أقل وإن زاد لم يحسب ستْره. والله أعلم.

ومما يدخل في تعظيم الحرم ما روى الفاكهي عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال [٤٤] رسول الله ﷺ: (أنا أول مَن تنشقّ عنه الأرض ولا فخر، ثم تنشقّ عن أبي بكر وعمر، ثم تنشق عن الحرمين مكة والمدينة، ثم أُبْعَثُ بينهما هكذا، وجعَل أصبعيه السبابة والوسطى). وروي أيضا عن عبد الله بن عبّاد ابن جعفر أنه سمع رسول الله ﷺ قال:)أول مَن أشفع له أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف).

ومما يدخل في تعظيم أهله ما ذكره الدّميري في كتابه المسمى بالديباجة

في شرح ابن ماجة[1] عن الشيخ فخر الدين التوزري قال: كنتُ يوما جالسا بمكة بين المغرب والعشاء مسند الظهر إلى مقام المالكية مستقبل القبلة وإذا بفقيرٍ رثّ الهيأة جلس إليّ مما يلي كتفي الأيسر وقال: السلام عليكم، فرددتُ عليه السلام، وكنتُ مشتغلا بالذكر، فقال لي: أنت مجاورٌ؟ قلتُ: نعم، قال: كم لك هنا؟ فوجدتُ عليه في نفسي وقلتُ: ما حملَك على السؤال؟ ورجعتُ إلى ما كنتُ عليه من الذكر فسكتَ وقال: ما رأيتَ هاهنا من الآيات مدَّة مقامك؟ فانزعجتُ منه وقلتُ: أي آية تُرى أعجب من هذا أنّ البيت لا يخلو من طائف في ليل ولا نهار مع ما الناس فيه من الأشغال؟ وكان الطواف إذذاك غاصًّا بالناس فسكَتَ وعدتُ إلى ما كنتُ عليه من الذكر ثم قال لي: أتعجب من الطائفين بالبيت؟ إنما العجب ممن يطوف به البيت ونهض قائما وانصرف عني في صورة المنزعج، وقلت في نفسي: هذا رجل أحمق يسمع هذا القول ممن [٤٥] تقدم فذكره على لِسانِه فجلستُ متفكرا فيه وذهب ما كنتُ فيه من الذكر فرفعتُ رأسي وإذا بالبيت يدور بالطائفين دورات بأشدّ ما يكون من الدوران، فقمتُ حينئذٍ باكيًا مستغفرًا ودخلتُ الطواف لأرى الرجل، فلم أجدْ له خبرًا.

ومن فضْل الموت بمكة والإقبار بها ما رواه الفاكهي عن الزهري مرسلاً أنّ النبي ﷺ قال: (من قُبِر بمكة جاء آمنا يوم القيامة، ومن قُبِر بالمدينة كنتُ عليه شهيدًا وله شافعًا) وروي أيضا عن قيس بن مخرمة قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات في الحرمين حرم مكة والمدينة بعثه الله يوم القيامة آمنًا). وروي أيضا عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات ما بين الحرمين حشره الله من الآمنين). فقيل له: يا أبا حمزة، وإن كان كافرًا، قال:

(١) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٠٠٤.

وإن كان، حتى يقضى الله بين العباد[1].

وفضائل هذا البيت الشريف لا تُحصر ولا تُحصى، ولا تُحاط ولا تُستوعَب ولا تُستقصى. وحسبك من فضائله ما ذكرناه وأنه بيت الله الذي رضي الله لحطّ أوزار العباد بقصده مرة في العمر، ولم يُقبَل مِن أحدٍ صلاة إلاّ باستقبال جهته إذا قدَر على التوجّه إليها. وهي قبلة المسلمين أحياء وأمواتًا وأن الدعاء يستجاب عند رؤيتها. كما روى الطبراني ذلك حديثا في معجمه الكبير وحكى صاحب الكافي عن مصنف الهداية –رحمه الله تعالى - أنه استُوصِيَ مِن شيخ كبير يقال [٤٦] له بريان كَرْ يعني صانع الشّوى، فقال له: إذا وصلتَ سوق كذا رأيت الكعبة فادْعُ الله أن يجعلك مستجابَ الدعوة لما قيل: إن مَن رآها أوّلاً ودعا كانت دعوته مستجابة. وظاهر هذه الحكاية التخصيص بأول الرؤية المفهوم من حديثٍ رواه الطبراني التعميم، وهو أدخل في باب الفضيلة، ونِعَمُ الله واسعة جزيلة، يختص بها مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(١) هذه الأحاديث أوردها الفاكهي في أخبار مكة ج ٣ ص ٦٨ – ٦٩.

الباب الثاني

ثـــواب الحـــج والعمـــرة

الباب الثاني

في ثواب الحج والعمرة، وإن أتى بهما في عمره مرة

أما الآيات فقد قال الله تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾[1] قال الحسن: إنه خطابٌ لمحمد ﷺ أُمِر بفعل ذلك في حجة الوداع. وقال غيره: الخطاب لإبراهيم -عليه السلام -. قال قتادة: لمّا أمر الله -عز وجل - إبراهيم -عليه السلام - أن يؤذن في الناس بالحج نادى: يا أيها الناس إن لله بيتًا فحُجُّوه. فأسْمَع الله تعالى نداءه كل مَن يريد الله -عز وجل - أن يحجّ من الذرية إلى يوم القيامة. أورده الإمام الغزالي في الإحياء. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: لما بنى إبراهيم -عليه السلام - البيت أوحى الله تعالى إليه أنْ أذنْ في الناس بالحج، فقال إبراهيم: ألا إن ربّكم قد اتّخذ بيتًا وأمركم أن تحجُّوه، فاستجاب له ما سمِعَه من حجَرٍ أو شجرٍ أو أكَمَةٍ أو تُرابٍ لبّيك اللهم لبيك. وعن مجاهد في قوله ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾[2] [٤٧] قال: لما فرغ إبراهيم -عليه السلام - مِن بناء البيت قيل له: نَادِ في الناس بالحج، قال: كيف أقول يا رب؟ قال قُل: يا أيها الناس استجيبوا لربكم، فقالها فوقَرَتْ في قلب كل مؤمن. رواهما البيهقي.

ورُوي أيضا عن مجاهد أنه قال: لما فرغ إبراهيم -عليه السلام - أُمِر أن يؤذّن في الناس، فقام على المقام فقال: يا عباد الله أجيبوا، فأجابوه "لبّيك اللّهم لبّيك". فمن حجَّ فهو ممن أجاب دعوة إبراهيم – عليه السلام -. وقيل: لما فرغ

(١) القرآن: الحج ٢٧ -٢٨.

(٢) القرآن: الحج ٢٧.

إبراهيم -صلوات الله عليه - مِن بناء البيت قال: يا رب فرغتُ، قال: فإذن بالحج يأتوك رجالا. قال: يا رب وهل يبلغ صوتي؟ قال: أذّنْ وعليّ البلاغ. فعلا على المقَام وأدخل أصبعيْه في أذنيْه وأقبل بوجهه يمنًا وشامًا وشرقًا ويدأ بشِقّ اليمن. فقال: أيها الناس كُتِبَ عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم. فأسمع الله نداءه كل مَن يريد أن يحج من الذرية إلى يوم القيامة. فأجابوه من تحت البحور السبعة ومِن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض "لبّيك اللّهم، لبّيك أجَبْنا، لبّيك أطعنا". فكل مَن حج إلى اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم -عليه السلام -. وإنما حجّهم على قدر إجابتهم يومئذ، فمن حج حجتين فقد كان أجاب مرتين أو ثلاثا فثلاثا، وعلى هذا فَقِسْ. ورُويَ أن إبراهيم -عليه السلام - لما أُمِر بالأذان في الناس بالحج قام على المقام فارتفع به المقام حتى صار أطولَ الجبال وأشرفَ على ما تحته، فقال: أيها الناس أجيبوا ربكم، أوْرَدَهُما [٤٨] المولى سعيد الدين الكازروني.

وقال تعالى ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾[١] قال مجاهد: هي منافع الدنيا والآخرة، يعني التجارة في الموسم والأجر في الآخرة. وعن جماعة من السلف أنهم قالوا في تفسيرها: غُفِر لهم ورب الكعبة. وكان علي بن شعيب السَّقّاء حج نيفًا وخميس حجةً. أحرم في كل حجَّةٍ من نيسابور، وكان يصلّي في البادية عند كل مِيل ثم يقول: قال الله تعالى ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾[٢] وهذه منافعي في حَجّي. وقال ابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير في قوله تعالى ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] إنه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها. وعن أنس -رضي الله

---

(١) القرآن: الحج ٢٨.

(٢) القرآن: الحج ٢٨.

(٣) القرآن: الأعراف ١٦.

عنه - قال: قال النبي ﷺ: (إن لإبليس -لعنه الله - شياطين مَرَدة يقول لهم: عليكم بالحاج والمجاهدين فأضِلُّوهم السبيل» أورده ابن جماعة في منْسكه. وقال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس -رضي الله عنهما - أنه قال في قوله ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] أي مَن كفر بالحج فلم يرَ حجّه برًّا ولا تركه مأثمًا. وقال الحليمي -رحمه الله -: يُحتَمل أن يكون معنى قوله: ومن كفر، أي فعل ما يفعله الكفار فجلس ولم يحجّ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] وعن مجاهد قال: لما نزلتْ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[4] قال أهل المِلَلِ كلّهن نحن مسلمون فأنزل الله -عز وجل - ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ [٤٩] ٱلْبَيْتِ ﴾[5] يعني الناس كلهم، فحج المسلمون وترك المشركون. رواه البيهقي في شُعَب الإيمان.

وقال تعالى ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[6] قال الماتريدي: إنما قال وأتِمُّوا الحج والعمرة لله لأن الكفرة كانوا يفعلون الحج لله والعمرة للصنم. وقال ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾[7].

---

(١) القرآن: آل عمران ٩٧.

(٢) القرآن: آل عمران ٩٧.

(٣) القرآن: آل عمران ٩٧.

(٤) القرآن: آل عمران ٨٥.

(٥) القرآن: آل عمران ٩٧.

(٦) القرآن: البقرة ١٩٦.

(٧) القرآن: البقرة ١٩٧.

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[1] وأما الأحاديث فمنها ما رَوى أبو هريرة -رضي الله عنه - قال (سُئل رسول الله ﷺ أيّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حجّ مبرور) متّفق عليه. والمبرور الذي لا يخالطه إثم. والمعتبر في برّ الحج تركه الإثم من حين الشروع في الإحرام إلى التحلل. قاله الإمام النووي في الفتاوى. وقيل: المقبول. قال النووي: ومن علامات القَبُول أن يرجع خَيْرًا مما كان ولا يعاود المعاصي.

قلت: وقد نقل والدي -رحمه الله تعالى - عن أدب الدين والدنيا للماوردي عن النبي ﷺ أنه قال (من علامة الحجة المبرورة أن يكون صاحبها بعدها خيراً منه من قبلها) وقيل: الذي لا معصية بعده، قاله الفرّاء. وقيل: الذي لا رياء فيه ولا سُمْعة ولا [٥٠] رفث ولا فسوق.

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: الحج المبرور أن يرجع زاهدًا في الدنيا راغبا في الآخرة. وعن جابر -رضي الله عنه - قال (سئل رسول الله ﷺ ما برّ الحجّ؟ قال: إطعام الطعام وإفشاء السلام) رواه أحمد والحاكم وصححه لكنه قال (إطعام الطعام وطيب الكلام) ورواه عبد الرزاق أيضا وقال (إطعام الطعام وترك الكلام). وقال أبو الشعثاء: نظرتُ في أعمال البرّ فإذا الصلاة تُجْهد البدن والصوم كذلك، والصدقة تُجهد المال، والحج يجهدهما، فرأيتُه أفضل. وعن أبي حنيفة -رضي الله عنه - أنه كان يفاضِلُ بين العبادات قبل أن يحجّ فلما حجّ فضّل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص. وقيل لمالك -رحمه

(١) القرآن: البقرة ١٥٨.

الله–: الغزو أحبّ إليك أم الحج؟ قال الحجّ، إلاّ أن تكون سنة خوف. وفي البحر[١] لأبي حيان الأندلسي: روي عن النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده ما بين السماء والأرض عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله أو حجة مبرورة لا رفَثَ فيها ولا فسوق ولا جدال).

وعن عمر –رضي الله عنه– قال: حجة أحجها وأنا صرورة أحبّ إليّ من ست غزوات أو سبع غزوات. أخرجه أبو ذر. الصّرورة: الذي لم يحجّ. وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: (حجة لمن لم يحجّ خيرٌ من عشر غزوات. وغزوة لمن حَجّ خيرٌ من عشر حجج) [٥١] أخرجه أبو ذر وأخرجه أبو داود في المراسيل لكن لفظه (خير من عشر غزوات، أو تسع غزوات وغزوة بعد حجة خير من عشر حجات أو تسع). وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنّ رسول الله ﷺ قال: (حجة لمن لم يحجّ أفضل من أربعين غزوة، وغزوة لمن حجّ أفضل من أربعين حجة) رواه الحليمي.

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال: (حج بعد غزوة أفضل من خمسين غزوة، وغزوة بعد حجة أفضل من خمسين حجة) الحديث، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء.

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حج لله فلم يرفثْ ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) متفق عليه، واللفظ للبخاري. وفي رواية مسلم (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدتْه أمه) ورواه النسائي فقال (من حج واعتمر) الحديث.

---

(١) هو كتاب البحر المحيط في التفسير لأثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي المشهور بأبي حيان. وهو تفسير كبير يقع في مجلدات. انظر حاجي خليفة: كشف الظنون ص ٢٢٦.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما -: الرفث: الجماع، وقيل اسم لكل لهوٍ وخنًا وفُجور وزُور. قال ابن عباس وابن عمر -رضي الله عنهما - الفسوق: المعاصي. وأما الجدال في قوله تعالى ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾[1] فروى ابن المنذر في تفسيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه المراء والملاحاة حتى تُغضِب أخاك وصاحبك، فنهى الله عن ذلك. وروى ابن المنذر أيضًا عن ابن عمر -رضي الله [٥٢] عنهما - أنه السباب والمنازعة القبيحة. فعلى هذا يكون الجدال معصية فهو داخل في قوله تعالى ﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾[2] على ما فسراه به. فحينئذٍ يكون من باب عطف الخاص على العام، انتهى.

وروى ابن حِبّان في حديث طويلٍ عن النبي ﷺ: (أن الحاج إذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدتْه أمه). وعن عبد الله بن جراد عن النبي ﷺ قال (حجُّوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن) رواه الطبراني في الأوسط. وعن أبي ذرّ -رضي الله عنه - أنه قال عن رسول الله ﷺ: (إذا خرج الحاج من أهله فسار ثلاثة أيام وثلاثة ليال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكان سائر أيامه درجات) الحديث، رواه البيهقي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال (كنَّا مع النبي ﷺ إذ أقبلتْ طائفة من اليمن فقالوا: فداك الأمهات والآباء، تخبرنا بفضائل الحج؟ قال: بلى، أي رجل خرج من منزله حاجًا أو معتمرًا فكلما وَضَع قدمًا ورفع قدمًا تناثرتْ الذنوب من بدنه كما تتناثر الورق من الشجر) الحديث. رواه الفقيه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال (العمرة إلى العمرة

---

(١) القرآن: البقرة ١٩٧.

(٢) القرآن: البقرة ١٩٧.

كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة) رواه البخاري ومسلم. ومعنى قوله ليس له [٥٣] جزاء إلاّ الجنة أنه لا يقتصر فيه على تكفير بعض الذنوب بل لا بدّ أن يبلغ به إلى الجنة ومن استوجَبَها لم تضرّه الذنوب الماضية واللاحقة، بخلاف الخروج منها كيوم الولادة فإنما فيه تكفير الذنوب الماضية فقط، وحينئذ فاختلاف سياق الحديثيْن يدلّ على أن المبرور غير الذي لا رفث فيه ولا فسوق. ويدلّ له ما قاله الحسن البصري في رسالته: ويقال الذي لا يُقبل حجّه منه يخرج من ذنوبه، والذي تَقبَّل الله منه فقد فاز فوزًا عظيما. هذا إذا فُسّر المبرور بالمتقبّل. أما إذا فُسّر بالذي لا يخالطه مأثَم فالظاهر من تفسيره الرفث والفسوق اتحادهما. ويحتمل أنه ﷺ أخبر أولاً عن المبرور بأن فيه تكفير الذنوب الماضية فقط بقوله كيوم ولدته أمه، ثم أخبر ثانيا بإطلاع الله له أن فيه تكفير الذنوب الآتية بقوله: ليس له جزاء إلاّ الجنة. ويدلّ له ما رواه أبو حاتم بن حبّان عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الحَجّة المبرورة تكفّر خطايا سنة). وعنه -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (العمرتان تكفر ما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء - أو قال: ثواب - إلاّ الجنة) رواه البيهقي.

وعن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما - قال: لمّا جعل الله الإسلام في قلبي أتيتُ النبي ﷺ فقلتُ أبسطْ يدك لأبائعكَ، قال: فبسط [٥٤] يده فقبضتُ يدي فقال: مالك يا عمرو؟ قال قلت: أشترط، قال: تشترط ماذا؟ قلت: أن يُغْفَر لي، قال: أما علمتَ أنّ الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله) رواه مسلم.

وعن عمرو -رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (تابِعُوا بين الحج والعمرة فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكِير خبث الحديد) رواه ابن ماجة. ورواه الترمذي والنسائي وابن حبّان عن ابن مسعود مرفوعًا. ولفظ النسائي

(تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة. وليس للحج المبرور ثوابٌ دون الجنة) ورواه عبد الرزاق بإسنادٍ صحيح عن عامر بن ربيعة عن النبي ﷺ. وفي رواية لابن أبي خيثمة والطبراني (تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة ما بينها تزيد في العمر والرزق) ورواه البيهقي عن عمر مرفوعًا ولفظه (تابعوا بين الحج والعمرة فإن المتابعة بينهما يزيدان في الأجل وينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير الخبث).

وعن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: (حِجَجٌ تترى وعُمَر نسق تدفع ميتة السوء وعيلة الفقر) رواه عبد الرزاق. والمراد بالمتابعة كما استظهره المحبّ الطبري: الإتيان بكلٍ عقب الأخرى بحيث لا يتخلّل بينهما زمان يصح إيقاع الثاني فيه. وله احتمال أنّ المراد به العرف [٥٥] ولو قيل بترجيحه لم يبعد.

وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه - قال: إن الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته ويبارك في أربعين بعيرًا من أمهات البعير الذي حمله ويخرج من ذنوبه كيوم ولدتْه أمه. فقال رجل: يا أبا موسى، إني كنتُ أعالج الحج وقد ضعفتُ وكبرتُ فهل مِن شيء يعدل الحج؟ قال: تستطيع أن تعتق سبعين رقبة من ولد إسماعيل. فأما الحل والرحيل فما أجِدُ له عِدْلاً أو قال مِثْلاً. رواه عبد الرزاق في مصنَّفهِ (أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد الجهاد في سبيل الله، فقال: ألا أدلّك على جهاد لا شوكة فيه؟ قال: بلى، قال: حج البيت) وفي رواية لعبد الرزاق (ألا أدلك على جهاد لا قتال فيه؟ قال: بلى، قال الحج والعمرة).

وعن عائشة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ ورضي عنها قالت: (قلتُ: يا رسول الله ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: لكُنَّ أفضل الجهاد وأجمله، الحج حجٌّ مبرور) فقالت عائشة -رضي الله عنها - فلا أدَعُ الحج بعد إذ سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ.

وروى عبد الرزاق عن رسول الله ﷺ أنه قال (حجُّوا تستغنوا). وعن النبي ﷺ أنه قال (جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة) رواه النسائي.

وعن أبى سعيد [٥٦] الخدري -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال (إن الله تعالى يقول: إن عبدًا صححتُ له جسمه ووسعتُ عليه في المعيشة تمضى عليه خمسة أعوام لا يَفِدُ إليَّ لمحروم) رواه ابن أبي شيبة وابن حبان في صحيحه. وبهذا الحديث استدلّ بعض العلماء على وجوب الحج للمستطيع بعد كل خمس سنين وقال به جماعة من أصحاب الشافعي -رحمه الله تعالى-. وقال الآخرون: إنه محمول على التأكيد بدليل أحاديثَ أُخَر. وأقول: الظاهر أنّ معنى الحديث أنّ المستطيع إذا أخَّر الحج إلى هذه المدة كان محرُومًا. فمعنى قوله: يمضي عليه خمسة أعوام أي بعد الاستطاعة كما قال ﷺ في ما رواه (تعجلوا الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له) ورواه البيهقي، وزاد (من مرض أو حاجة).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (وَفدُ الله تعالى ثلاثة، الغازي والحاج والمعتمر) أخرجه النسائي وابن حِبّان في صحيحه والحاكم وصحَّحه على شرط مسلم، وزاد ابن حبان في بعض طُرُقه (دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم) وفي رواية ابن ماجة (الحاج والعمّار وفد الله إن دعَوْه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم) ورواه الشيرازي في الألقاب(١) عن جابر ولفظه (الحاج والمعتمر والغازي في سبيل الله والمجمع في ضمان الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم).

وعن أبي أمامة -رضي الله [٥٧] عنه - قال: قال رسول اله ﷺ: (الحاج في ضمان الله مقبلاً ومدبرًا) الديلمي في الفردوس(٢).

---

(١) هو كتاب الرواة تأليف أبي بكر الشيرازي توفي ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م. حاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٥٧.

(٢) هو كتاب فردوس الأخبار بمأثور الخطاب لأبي شجاع شيرويه الهمداني الديلمي توفي ٥٠٩ هـ / ١١١٥م. حاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٢٥٤.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (اللّهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج) رواه البيهقي في سُنَنه وصحّحه الحاكم. وعن عمر -رضي الله عنه - (أنه استأذن النبي ﷺ في العمرة فأذن له وقال: يا أخي لا تنْسَنا في دعائك، وفي لفظ: يا أخي أشركنا في دعائك، فقال عمر: ما أحبّ أنّ لي بها ما طلعتْ عليه الشمس لقوله يا أخي) رواه أحمد وهذا لفظه وأبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح. وروى الطيالسي وابن ماجة بعضه. وعن النبي ﷺ أنه قال (يُستجاب للحاج من حين يدخل مكة إلى أن يعود إلى أهله وفضل أربعين يوما). وعنه ﷺ أنه قال (إذا لقِيتَ الحاج فصافِحْه وسلّم عليه ومُرْه أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له) رواه أحمد.

(وجاء رجلٌ مِن الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ جئتّ تسألني عن خروجك تؤمّ البيت الحرام ومالك فيه، وعن وقوفك بعرفة ومالك فيه، وعن رمْيك الجمار ومالك فيه، وعن حلقك رأسك ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت ومالك فيه. أما خروجك من بيتك تؤمّ [٥٨] البيت الحرام فإن راحلتك لا تخطو بخطوة إلاّ كتب الله لك بها حسنةً وحطّ بها سيئةً ورفع لك بها درجة، وأما وقوفك بعرفة فإن الله تعالى يهبط إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل عرفة الملائكة يقول الله تعالى: انظروا إلى عبادي جاؤوا شعْثًا غُبْرًا من كل فجّ عميق. لو أتوني بمثل رمل عالج وزَبَد البحر وقطر السماء وعدد أيام الدنيا ذنوبًا غفرتُها لهم، وأما حلْقك رأسك فإن لك بكل شعرة تقع منك نورًا يوم القيامة، وأما رمْيك الجمار فإنه مدخرٌ لك عند الله تعالى يُدفع إليك أحوج ما تكون إليه، وأما طوافُكَ بالبيت وبالصفا والمروة فخروجك من ذنبك كيوم ولدتك أمك).

ورُويَ أنه ﷺ (أتاه أعرابي قال: يا رسول الله خرجتُ وأنا رجل مثري فمُرْني أنْ أصنعَ في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحاج فالتفتَ إليه رسول الله ﷺ فقال له: انظر إلى أبى قبيْس فلو أن أبا قبيْس ذهب أحمر أنفقتَه في سبيل الله ما بلغتَ مبلغ الحاج) ثم قال النبي ﷺ: (إنّ الحاج إذا أخذ في جِهازِه لم يرفع شيئًا ولا يضعه إلاّ كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات. فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، فإذا سعى بين الصفاء والمروة خرج من ذنوبه. ثم قال ﷺ أنَّى تبلغ مثل ما يبلغ [٥٩] الحاج). أوردها الإمام المحدث سعيد الدين الكازروني في مَنْسكه.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (خمس دعوات لا تُردُّ: دعوة الحاج حتى يصدر، ودعوة الغازي حتى يرجع، ودعوة المظلوم حتى يُنْصَر، ودعوة المريض حتى يبرأ، ودعوة الأخ بظهر الغيب. أسْرَع هؤلاء الدعوات إجابة دعوة الأخ لأخيه بالغيب) أخرجه الحافظ أبو منصور عبد الله بن محمد بن الوليد في كتابه الجامع للدعاء الصحيح، وصحّحه المحبّ الطبري في كتابه المسمى بالقِرى لقاصدي أم القرى. وأخرج ابن الجوزي منه (إن دعوة الحاج لا تُردُّ حتى يرجع).

وقال سعيد بن جبير: ما أتى هذا البيتَ طالب حاجة قط دنيا ولا آخرة إلاّ رجع بحاجته. ونحو ذلك قول الحسن البصري في رسالته: ولا أعلم بلدًا إذا دعا العبد فيه أمَّنتْ الملائكة على دعائه إلاّ بمكة حول بيت الله الحرام. وعن أبي أمامة وواثلة بن الأسْقَع -رضي الله عنهما - قالا: قال رسول الله ﷺ: (أربعة حقّ على الله عونهم، الغازي والمتزوج والمكاتب والحاج) أخرجه المحب الطبري -رحمه الله تعالى-. وعن النبي ﷺ أنه قال: (ما أمْعَرَ حاجٌ) رواه الفاكهي[1] في أخبار مكة

(١) الفاكهي: أخبار مكة ١: ٤٠٦.

وغيره. وقوله:ما أمْعَر حاجٌ يعني ما افتقر، وقيل:ما فنِيَ زاده. وهو بالعين والراء المهملتين. وروى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [٦٠] عن أبيه عن جده أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ: (إن العمرة الحج الأصغر).

وعن وهب بن خنبش[1] قال النبي ﷺ: (عمرة في رمضان تعدل حجة) رواه ابن ماجة والنسائي. ورواه ابن ماجة أيضا عن أبي معقل وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال وفيه (تعدل حجة معي) وهو في الصحيحين. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار - سماها ابن عباس - ما مَنَعَكِ أن تحجّي معنا؟ فقالت: لم يكن لنا إلاّ ناضحان فحجّ أبو ولدها وابنها على ناضح وترك لنا ناضحًا ننضح عليه، قال: فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة في رمضان تعدل حجة). وفي طريق آخر لمسلم (فعمرة في رمضان تقضي حجة معي)، وسمّى المرأة أمّ سِنان الأنصارية.

وفي روايةٍ لأبى داود والطبراني والحاكم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما - (تعدل حجة معي من غير شك) وقال الحاكم: إنها صحيحة على شَرْط الشيخين. ومعنى تقضي حجة أي تقوم مقامها في الثواب لا أنها تعدلها في كل شيء، وأنه لو كان عليه حجة فاعتمر في رمضان لا يُجْزِيه عن الحج بالاتفاق. وروي أنه ﷺ قال: «إنها تعدل حجة» لعدة نسوة. أم معقل وأم سنان وأم طليق وأم الهيثم وأم سليم. وعن أم سلمة زوجة النبي ﷺ ورضي عنها [٦١] قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (مَن أهلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة) رواه أبو داود والبيهقي في الشُّعَب بلفظ (مَن أهلّ بالحج والعمرة، وقال فيه: غُفِر له ما تقدم من

---

(١) ورد العلم في الأصلين مضطربًا وتصويبه من كتاب أسد الغابة، في معرفة الصحابة لابن الأثير ج ٥ ص ٩٤.

ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن قَضى نُسُكه وسلِم المسلمون من لسانه ويده غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) رواه أحمد بن منيع وأبو يعلى. وعن أم سلمة -رضي الله عنها — أن الرسول الله ﷺ قال: (من أهلّ بعمرة من بيت المقدس غُفِر له) رواه أبو داود وابن ماجة. وعنها -رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (مَن أهلّ بعمرة من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، قالت: فخرجتْ أمي من بيت المقدس بعمرة) رواه ابن ماجة. وروى ابن حبّان في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: (مَن أهلّ بعمرة من بيت المقدس غُفِر له ما تقدم من ذنبه) رواه الدارقطني وقال: (غُفِر ما تقدم من ذنبه وما تأخّر ووجبتْ له الجنة). وعن أنس -رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى يقول: إني لأهمّ بأهل الأرض عذابًا فإذا نظرتُ إلى عُمّار بيوتي والمتحابّين فيّ والمستغفرين بالأسحار صرفتُ عذابي عنهم) رواه البيهقي في الشعب. وعن زيد [٦٢] بن ثابت -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الحج والعمرة فريضتان لا يضرّك بأيّهما بدأتَ) رواه الحاكم ورواه الديلمي في الفردوس عن جابر.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أنه قال (إن الأقرع بن حابس سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله الحج في كل سنة أو مرة واحدة؟ قال رسول الله ﷺ بل مرة واحدة فمن زاد فتطوّع) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة بأسانيد حسنة. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال (خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس إن الله تعالى قد فرض عليكم الحج فحجُّوا، فقال رجل: كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال: رسول الله ﷺ: لو قلتُ نعم لوجبتْ ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك مَن قبلكم بكثرة سؤالهم

واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتُكم بأمْرٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» رواه مسلم، وفي روايته أن قائل ذلك مالك بن جشم[1]. وعن علي -رضي الله عنه- قال: لما نزل ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[2]. فقالوا: يا رسول الله الحج في كل عام؟ فسكت ثم قالوا: في كل عام؟ فقال: لا، ولو قلت نعم لوجبتْ. فنزلتْ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[3] رواه الترمذي وابن ماجة. وجاء قوم إلى سعدون الخولاني فحكوا أن كنانة قتلوا [٦٣] رجلاً وأضْرَموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض اللون، فقال: لعله حج ثلاث حجج، قالوا: نعم، قال: حُدّثتُ أنّ مَن حجَّ حجة أدّى فرضه، ومن حج ثانية دايَنَ ربّه، ومن حج ثلاث حِججٍ حرَّم الله شعره وبشَرَه على النار. أورده القاضي عياض في الشفاء والمولى المحدث سعيد الدين الكازروني في مناسكه.

وعن خلّاد بن السائب عن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: (جاءني جبريل فقال: يا محمد مُرْ أصحابَك فليرفعوا أصواتهم بالتلْبية فإنها من شعار الحج) رواه ابن ماجة ورواه مالك والشافعي والترمذي وأبو داود والنسائي عن خلّاد بن السائب عن أبيه. وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (ما مِن محرم يُضحّي لله يومَه يُلَبّي حتى تغيب الشمس إلاّ غابتْ بذنوبه، فعاد كما ولدته أمه) رواه أحمد وابن ماجة، ولفظ أحمد (مَن أضحى يومًا محرما ملَبيًّا حتى غربت الشمس غربت بذنوبه فعاد كما ولدته أمه).

---

(١) كذا في أ، وفي ب: خشعم، ولم نعرف صحابيا بهذين اللقبين، ولعله مالك بن الأخشم الذي ترجمه ابن الأثير في أسد الغابة ٤: ٢٧٨.

(٢) القرآن: آل عمران ٩٧.

(٣) القرآن: المائدة ١٠١.

عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه - (أن رسول الله ﷺ سئل أي الحج أفضل؟ قال: العجّ والثجّ) رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي وأبو نعيم، ولفظ ابن ماجة والبيهقي (أيّ الأعمال أفضل؟). وعن أبى هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أهّل مهلٌّ قطّ إلاّ بُشّرَ، ولا كبّر مكبّر قط إلاّ بُشر، قيل: يا نبي الله بالجنة؟ قال: نعم). وعن [٦٤] ابن عباس -رضي الله عنهما - قال في التلبية: هي زينة الحج. رواهما سعيد بن منصور. وعن مرداس عن كعب قال: الوفود ثلاثة، الغازي في سبيل الله وافدٌ على الله، والحاج إلى بيت الله والمعتمر وافد على الله، ما أهلّ مُهِلّ ولا كبَّر مكبر إلاّ قيل: ابشرْ، قال مرداس: بماذا؟ قال: بالجنة) رواه البيهقي. وعن سهل بن سعد -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ (ما من مُلّبّ يلبي إلاّ لبّي ما عن يمينه وعن شماله من شَجر وحجَر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا)، يعني عن يمينه وعن شماله، رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وصحّحه على شرط الشيخيْن.

قال أبو عبد الله البوشنجي: ومعنى التلبية إذا قال الملبّي: لبيك اللّهم إنما هو جواب من الملبي لقوله حين نادى إبراهيم -عليه الصلاة والسلام - بالحجّ عن أمر الله -عزّ وجل - لقوله ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾(١) ويروى أنّ مَن حج فهو مِمّن أجاب إبراهيم -عليه السلام - في أصلاب الرجال وبطون الأمهات فأجابوا: لبيك اللّهم لبيك، وكانت شعار الحجّ تلك الإجابة من كل حاج ومعتمر فصار جوابًا.

وعن محمد بن إبراهيم قال: سمعت عائشة -رضي الله عنها - تقول: معنى التلبية ها أنا ذا جئتُك سريعًا، ها أنا ذا عندك، رواهما البيهقي. وعن جابر -رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: (ثلاثة أصواتٍ يباهي الله بهنّ الملائكة

---

(١) القرآن: الحج ٢٧.

الأذان والتكبير في سبيل الله [٦٥] ورفع الصوت بالتلبية) رواه ابن النجّار والديلمي في الفردوس. وعن بُريْدة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضعف) رواه أحمد وابن أبى شيبة. وعن عمرو بن شُعيْب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: (الحجّاج والعمّار وفد الله إن سألوا أُعْطُوا وإن دَعَوْا أجيبوا وإن أنفقوا أخلفهم. والذي نفس أبي القاسم بيده ما كبَّر مكبّر على نشز، ولا أهّل مُهلّ على شرَفٍ من الأشراف إلاّ أهلّ ما بين يديه وكبر حتى ينقطع به منقطع التراب) رواه البيهقي.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الحجّاج والعمّار وفد الله -عز وجل - يعطيهم ما سألوه ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا الدرهم ألف ألف) رواه البيهقي.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ عام حجة الوداع بمكة (الحجّاج والعمّار وفد الله يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم في ما دعَوْا ويخلف عليهم ما أنفقوا ويضاعف لهم الدرهم ألف ألف. والذي بعثني بالحق الدرهم الواحد منها أثقل من جبلكم هذا، وأشار إلى أبي قبَيْس) رواه الفاكهي والحسن البصري آخره.

وعن عائشة -رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (إذا خرج الحاج من بيته كان في حرْز الله فإن [٦٦] مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله، وإن بقي حتى يقضي نُسكه غُفِر له. وإنفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألفًا مما سواه) رواه الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري.

وعن عبد الله بن المبارك قال: كان بعض المتقدمين قد حُبِّبَ إليه الحج قال فحُدّثتُ عنه أنه قال: ورد الحاج في بعض السنين إلى بغداد فعزمتُ على الخروج معهم إلى الحج فأخذتُ في كمّي خمسمائة دينار وخرجتُ إلى السوق أشتري آلة

الحج. فبينا أنا في بعض الطريق عارضَتْني امرأة فقالت: رحمك الله أنا امرأة شريفة ولي بنات عراة، واليوم الرابع ما أكلنا شيئا. قال: فوقع كلامها في قلبي فطرحتُ الخمسمائة دينار في طرف إزارها وقلت: عودي إلى بيتك فاستعيني بهذه الدنانير على وقتك، فحمدتْ الله تعالى وانصرفتْ. ونزع الله -عز وجلّ- من قلبي حلاوة الخروج في تلك السنة. وخرج الناس وحجّوا وعادوا، فقلت: أخرج للقاء الأصدقاء والسلام عليهم. فخرجتُ فجعلتُ كلما لقيتُ صديقًا سلمتُ عليه وقلت له: قبِلَ الله حجّك وشكر سعيك. يقول: وأنت قبِلَ الله حجَّك وشكر سعيك، وطال عليّ ذلك. فلما كانت تلك الليلة رأيتُ النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا فلان لا تعجب مِن تهنئة الناس لك بالحج أغثتَ ملهوفًا وأعنتَ ضعيفًا فسألنا الله فخلَق في صورتك ملَكٌ فهو يحجُّ عنك في كل عام. فإن شئتَ تحجّ وإن شئتَ لا تحجّ.

وروى [٦٧] نحو هذه الحكاية على هذه الصفة عن ابن المبارك نفسه أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ بإسناده أنّ عبد الله بن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج فإذا بامرأة جالسة على مزبلة تنتف بطّة فوقع في نفسه أنها ميتة فوقف وقال: يا هذه أهذه ميتة أو مذبوحة؟ قالت: ميتة، وأنا أريد أن آكلها أنا وعيالي، فقال: إن الله تعالى حرّم الميتة وأنت في هذا البلد. فقالت: يا هذا، انصرفْ عنّي، فلم يزل يراجعها الكلام إلى أن تعرّف منزلها ثم انصرفَ فحمل معه بغْلاً عليه نفقة وكسوة وزاد وجاء فطرقَ الباب ففتحتْ فنزل عن البغل وضربَهُ فدخل البيت ثم قال للمرأة: هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد لكم. ثم أقام حتى رجع الحاج فجاءه قوم يهنّئونه بالحج فقال: ما حججْتُ السنة، فقال بعضهم: يا سبحان الله ألم أودِعْك نفقتي ونحن ذاهبون إلى عرفات؟ وقال آخر: ألم تسقني بموضع كذا وكذا؟ وقال الآخر ألم تشتر لي كذا؟ فقال: ما أدري ما

تقولون، أما أنا فلم أحجّ العام. فلما كان الليل أُتِيَ في منامه فقيل له: يا عبد الله ابن المبارك إن الله -جل جلاله - قد قبل صدقتك وأنه بعث ملكًا على صورتك فحجّ عنك. ذكرهما ابن الجوزي.

وذكر ابن جماعة أيضا الحكاية الثانية عن بعض السلف أنه تولى بالحج ومعه ثمان مائة درهم فعرضتْ له ذات يوم حاجة فبعث ولده إلى بعض جيرانه فرجع [٦٨] الولد يبكي، فقال: مالك يا بُنيّ؟ قال: دخلتُ على جارنا وعندهم طبيخ فاشتهيتُه فلم يُطعموني، فذهب الرجل إلى جاره يعاتِبُه على ما فَعل، فبكى الجار فقال: ألجَأْتني إلى كشف حالي. إنّا منذ خمسة أيام لم نطعم، فطبخنا ميتة وأكلنا، وعلمتُ أن ولدك يجدُ ما لا يحلّ معه أكل الميتة. فتعجب الرجل وقال لنفسه: كيف النجاة وفي جوارك مثل هذا وأنت تتأهّب للحج؟ فرجع إلى بيته وأعطاه الثمان مائة درهم. فلما كانت عشية عرفة أُرِيَ ذو النون المصري في منامه وهو بعرفات كأنّ قائلا يقول: يا ذا النون ترى هذا الزحام على الموقف؟ قال: نعم، قال: ما حجّ منهم إلاّ رجلٌ تخلّف عن الوقوف فحجّ بهيأته فوهب الله — عزّ وجلّ - له أهل الموقف. قال ذو النون: مَن هو؟ قيل: رجل يسكن دمشق. فذهب ذو النون إلى دمشق وبحث حتى عرفه وسلّم عليه.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أنه قال ما آسَى على شيء من الدنيا فاتني إلاّ أني لم أحجّ ماشيًا حتى أدركني الكِبر، أسمع الله تعالى يقول ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾[١] رواه البيهقي. قال بعضهم: قدّم المشاة على الركبان في الآية الكريمة ليزيل مكابدة مشقة المشي والعناء بفرح التقديم وشرف الاجتباء. وعن...[٢] قال: مرض ابن عباس -رضي الله عنهما - مرضًا شديدا

(١) القرآن: الحج ٢٧.

(٢) انطمس اسم الراوي في المخطوطتين المعتمدتين.

فدعا ولْده فجمعهم فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (مَنْ حجّ [٦٩] من مكة ماشيًا حتى رجع إلى مكة كتب الله -عز وجل - له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم. قيل: وما حسنات الحرم، قال: بكل حسنة مائة ألف حسنة) رواه الحاكم وصحّحه والبيهقي والحافظ ابن مَسْدِي وقال: حديث حسن غريب.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال لبنيه: يا بني، اخرجوا من مكة حاجين مشاة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن للحاج الراكب بكل خطوة تخطو راحلته سبعين حسنة. وللماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة) رواه الطبراني برجالٍ ثقاة. وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه - قال (حج النبي ﷺ وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة، رواه الحاكم ورواه ابن ماجة وزاد: قال: اربطوا أوساطكم بأزُرِكم ومشى خلط الهرولة). قال الدميري في كتابه المسمّى بالديباجة في شرح ابن ماجة إنه حديث ضعيف منكر، انتهى.

قال ثمامة بن عبد الله بن أنس: حج أنس على رحل ولم يكن شحيحًا وحدّث (أن رسول الله ﷺ حجّ على رحل فكانت زاملته) رواه البخاري. قال ابن جماعة - رضي الله عنه -: ولا يُلتفت إلى تصحيح الحاكم الحديث السابق، والمعروف أن النبي ﷺ لم يحجّ بعد الهجرة إلاّ حجة الوداع وكان راكبا فيها بلا شك، انتهى.

قلتُ: ليس في الروايات أنه ﷺ [٧٠] لم يَمْشِ في الحج وإنما الذي فيها أنه كان راكبًا ولا شك أنه ليس للراكب النزول في بعض الأوقات لإراحةِ الدابة فيحتمل أن النبي ﷺ كان ينزل لذلك وينزل معه الركبان من أصحابه اقتداءً به ﷺ فيمشون. بل قد ثبت أن النبي ﷺ كان يمشي بعد صلاة الفجر إلى ارتفاع النهار، ويحتمل أن الراوي لم يرهم إلاّ مشاة.

وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة في حديث طويل عن جابر قال (أتى النبي ﷺ ذا الحليفة فصلّى في المسجد ثم ركب القصوى حتى إذا استوت به

ناقته على البيداء نظرتُ إلى مدّ بصري من بين يديه بين راكبٍ وماشٍ وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك، فيحتمل أن الراوي مَشْيَه ﷺ كان مِن المُشاة وكان بعيدًا عن الركبان فلم يرَهُ ﷺ إلاّ ماشيًا. سلّمنا أنه رأى منه الركوب أحيانا لكن لم يذكره لكثرة رؤيته ماشيا ولكثرة الماشين من الأصحاب.

فإن قيل: العلماء متفقون على أفضلية الركوب والأفضلية إنما تتحقق بكثرة الثواب الوارد في شيء وقِلّتِه في ما عداه، وقد ورد في المشي الثواب أكثر من الركوب، كما مرَّ عن ابن عباس، فليكن أفضل.

قلنا: المشي من حيث ذاته أفضل لما فيه من المشقّة العائدة إلى بدن الماشي كما صح [٧١]عن النبيﷺ أنه قال لعائشة لمّا أعمرها من التنعيم:(لكِ من الأجر على قدر نصيبك ونفقتك)رواه ابن ماجة والمنذر وفي رواية (على قدر نَصَبك وعنائك). لكن إنما فضّلوا الركوب لأن النبي ﷺ حج راكبًا في الروايات المشهورة، وفضيلة الاتّباع تربو على غيره. فإن قيل: لو كان الحج ماشيا أفضل لفعله رسول الله ﷺ. قلنا: يحتمل أن النبي ﷺ ركب ليظهر فيُستفتَى، فكان الركوب في حقه من هذه الحيثية أفضل. ونحن نفضل الركوب للاتّباع كما قلنا لسنيّة الرمَل لاتباعه ﷺ وإن كانتْ حكمة مشروعيته قد ذهبت. والله أعلم بالصواب.

فصل في الحج عن الميت

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أنه قال: مَن حج عن ميّت يُكتُب للميت حجة وللحاج سبع حجات، رواه الهروي. وروى الدارقطني عن جابر أنه ﷺ قال (مَن حج عن أبيه أو عن أمّه فقد قضى عنه حجته وكان له فضل عشر حجج).

وروي أيضا عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: (إذا حج الرجل عن والديه تُقبِّل منه ومنهما واستبشرت أرواحهما وكُتب عند الله بَرًّا) قال الطبراني: ومعنى القبول منه ومنهما أنه يُكتب له ثواب حجه ويسقط عمن عنه حجَّ منهما فرضه. وأورد الحسن البصري في رسالته (عمرة في رمضان [٧٢] تعدل حجةً معي، وما من رجل أُوصِي بحجة إلاّ كتب له ثلاث حجج حَجّة للذي كتبها وحَجّة للذي أنفذ، وحَجّة للذي أحرم بها عنه. ومن حجّ عن والديْه كُتبتْ له حجتان، حجة له وحجة لوالديه، ومن حج عن ميت من غير أن يُوصي بها كتب الله له حجة وكتب للذي حج عنه سبعين حجة).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن حج عن أبويْه أو قضى عنهما مَغْرمًا بُعث يوم القيامة من الأبرار) رواه الدارقطني. وعنه -رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ (سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال رسول الله ﷺ: مَنْ شَبْرمة؟ قال: قريبٌ لي، قال: هل حججتَ قط؟ قال: لا، قال: فاجعل هذه عن نفسك ثم حُجَّ عن شبرمة) رواه أبو داود وابن ماجة والدرقطني وابن حِبان والبيهقي في إسناده على شرط مسلم.

ورُوي أن علي بن موفق حج عن النبي ﷺ حِجَجًا قال فرأيتُ رسول الله ﷺ في المنام فقال: يا ابن الموفق حججتَ عني؟ قلتُ: نعم، قال: ولبّيتَ عني؟ قلتُ: نعم، قال: فإني أكافيكَ بها يوم القيامة. آخذ بيدك في الموقف فأُدْخِلك في الجنة

والخلائق في كرب الحساب. أورده حُجّة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله تعالى – في الإحياء. وأورد الحسن البصري في رسالته عن النبي [٧٣] ﷺ أنه قال (مَن مات في حَجّ أو عمرة لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة) رواه البيهقي، وفي لفظ له (مَن خرج في هذا الوجه في حج أو عمرة فمات فيه لم يعرض ولم يحاسَب، وقيل ادخل الجنة) وفي لفظ (من مات في طريق مكة لم يعرضه الله يوم القيامة ولم يحاسب) ورواه الدارقطني ولفظه (مّن مات في هذا الوجه من حاج أو معتمر لم يعرض ولم يحاسَبْ وقيل له ادخل الجنة).

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: (من خرج مجاهدًا فمات كتب الله أجره إلى يوم القيامة، ومن خرج حاجًا فمات كتب الله أجره إلى يوم القيامة) أخرجه أبو ذر. وعن جابر –رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: (هذا البيت دَعامة الإسلام فمن خرج يؤمّ البيت من حاجٍ أو معتمرٍ زائرٍ كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخل الجنة وإن ردّه ردّه بأجْرٍ أو غنيمة) أخرجه الأزرقي[1].

وعن النبي ﷺ أنه قال (مَن مات على مرتبة من هذه المراتب بُعث عليها يوم القيامة –يعني الغزو والحج) أخرجه ابن قتيبة، وأخرجه الحاكم في المستدرك ولكن لفظه (من مات على مرتبة من هذه المراتب بُعث عليها يوم القيامة رباط أو حج أو غير ذلك). وعن [٧٤] جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات بمكة أو في طريق مكة بُعِثَ من الآمنين) أورده ابن جماعه في مَنْسكه. وعن ابن عباس –رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ أنه قال: (مَن مات في طريق مكة مُقبلاً أو مُدبرًا غفر الله له البتة وشُفّع في سبعين من أهل بيته).

(١) الأزرقي: أخبار مكة ٢: ٣.

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لا يعذّب الله تعالى قدمَيْن مَشَتا إلى بيت الله الحرام).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى يلحظ الكعبة في كل عام لحظة في نصف شعبان فعند ذلك تَحِنّ إليها قلوب المؤمنين). وجدتُ هذه الأحاديث الثلاثة في بعض المناسك على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة -رحمه الله تعالى -.

وروى الأصفهاني في الترغيب والترهيب عن جابر -رحمه الله تعالى - قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات في مكة ذاهبًا أو راجعًا لم يعرَض ولم يحاسَب). وفي الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال في مُحرم سقط من بعيره بعرفة فمات (لا تمسُّوه طيبا ولا تخْمِروا رأسه فإنه يُبعَث يوم القيامة مُلَبّيًا) وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن مات مُحْرِمًا حُشِد [٧٥] مُلَبّيًا) رواه الخطيب في التاريخ. وعن جابر -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات مُحْرِمًا حُشِر مُلَبّيًا. إن المؤذنين والمُلَبّين يخرجون مِن قبورهم يوم القيامة يؤذن المؤذن ويلبّي الملبّي) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب.

وعنه -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات على شيء بعثه الله عليه) رواه أحمد والحاكم. وعن ابن مسعود -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن وافَق موتُه عند انقضاء عرفة دخل الجنة) الحديث، رواه أبو نعيم في الحِلْية.

ثم إني أذكر بعضًا ممّن حجّ هذا البيت الشريف مِن الأنبياء والملائكة والأولياء والأئمة والخلفاء.

قال وهب بن منبه: قرأتُ في كتابٍ من الكُتب الأولى ذُكِر فيه أمر الكعبة فوُجِد فيه أن ليس من ملَكٍ بعثه الله إلى الأرض إلاّ أَمره بزيارة البيت فينقضّ

مُحرمًا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعًا بالبيت ويركع في جوْفِها ركعتين ثم يصعد. رواه الحسن البصري وابن الجوزي والأزرقي، واللفظ له.

وعن عمرو بن يَسَار المكي قال: إن الله تعالى إذا أراد أن يبعث ملَكًا في بعض أموره إلى الأرض يستأذنه ذلك الملَك في الطواف ببيته الحرام فيهبط مهلاً، وإن البعير إذا حُجَّ عليه [٧٦] بُورِك في أربعين مِن أمّهاته وإذا حج عليه سبع مرات كان حقًّا على الله أن يرعى في رياض الجنة، رواه الأزرقي.

وعن عبد الله بن لبيد قال: بلغني أنَ ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: لما أهبط الله آدم إلى الأرض أهبطه إلى موضع البيت الحرام وهو مثل الفلك في رعدته، ثم أنزل عليه الحجر الأسود يعني الركن وهو يتلألأ من شدة بياضه فأخذه آدم وضمَّه إليه أُنْسًا به ثم نزلت عليه العصا فقيل له: تخط يا آدم، فتخطى فإذا هو بأرض الهند والسند، فمكث بذلك ما شاء الله ثم استوْحش إلى الركن فقيل له: احْجُج، قال: فحجّ فلقيتْه الملائكة فقالوا: بَرَّ حجُّك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفيْ عامٍ.

وعن أبي المليح أنه قال: كان أبو هريرة -رضي الله عنه - يقول: حجَّ آدم فقضى المناسك، فلما حج قال: يا رب إنّ لكل عاملٍ جزاءً قال الله تعالى: أما أنت يا آدم فقد غفرْت لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت مقرًّا بذنبه غفرتُ له. فحجّ آدم فاستقبلته الملائكة بالردم فقالوا: بَرّ حجُّك يا آدم، قد حججنا هذا البيت قبلك بألفيْ عام، قال: فما كنتم تقولون حوله؟ قالوا: كنَّا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر. قال: وكان آدم -عليه السلام - إذا طاف يقول هذه الكلمات. وكان طواف آدم [٧٧] -عليه السلام - سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار. قال نافع: وكان ابن عمر يفعل ذلك.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال حجّ آدم -عليه السلام— فطافَ

بالبيت سبْعًا فلقيتْه الملائكة في الطواف فقالوا: بَرَّ حجّك يا آدم أما أنَّا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفي عاما، قال: فما كنتم تقولون في الطواف؟ قالوا كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، قال آدم فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلاّ بالله قال فزادتْ الملائكة فيها ذلك. ثم حج إبراهيم -عليه السلام - بعد بنائه البيت فلقيْته الملائكة في الطواف فسلّموا عليه فقال لهم إبراهيم -عليه السلام - ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا: كنا نقول قبل أبيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر وعلّمناه ذلك، فقال آدم: زيدوا فيها: ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. قال إبراهيم: زيدوا فيها: العليّ العظيم. قال: ففعلتْ الملائكة. روى هذه الأحاديث الثلاثة الأزرقي.

وعنه أن آدم -عليه السلام - حجَّ أربعين حجةً من الهند على رجليه. قيل لمجاهد: أفلا كان يركب؟ قال: وأي شيء يحمله؟ أخرجه ابن الجوزي وروى البيهقي أوله.

وعن عطاء قال: هبط آدم بالهند فقال: يا رب مالي لا أسمع صوت الملائكة كما كنتُ أسمعها في الجنة؟ فقال: بخطئك يا آدم، انطلقْ فابْنِ لي بيتًا فتطوَّفْ به كما رأيتَهم يطوفون. فانطلق حتى أتى مكة فبنى البيت وكان [٧٨] موضع قدميْ آدم قرًى وأنهارًا أو عمارة وما بين خُطَاه مفاوِز. فحج آدم -عليه السلام - البيت مِن الهند أربعين سنة. رواه البيهقي في شُعَب الإيمان. وعنه أن آدم أُهْبِط بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة فهي هذه التي يتطيَّبُ الناس بها وأنه حجّ هذا البيت وطاف بين الصفا والمروة وقضى مناسك الحج. رواه سعيد بن منصور.

وعن وهب بن منبه اليماني قال: لما تابَ الله على آدم -عليه السلام - أمره أن يسير إلى مكة فطوى له الأرض حتى انتهى إلى مكة فلقيتْه الملائكة بالأبْطح

فرحّبتْ به قالت: يا آدم إنَّا لننتظرك، بَرّ حجُّك، أما أنَّا حججْنا هذا البيت قبلك بألفيْ عام. وأمر الله جبريل -عليه السلام - فعلّمه المناسك والمشاعر وانطلق به حتى أوقفه بالمزدلفة وبمنى وعلى الجِمار وأنزل عليه الصلاة والزكاة والصوم والاغتسال من الجنابة. رواه البيهقي.

وعن سعيد بن سالم أن آدم -عليه السلام - حجّ على رجليْه سبعين حجة ماشيًا وأن الملائكة لقيته بالمأزميْن فقالوا له: برَّ حجّك يا آدم، أمَّا أنَّا قد حججْنا قبلك بألفيْ عام. رواه الأزرقي. وقُرئ قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾(١) بكسر السين مِن نَسِي يعني آدم. والمراد من هذه الإفاضة الإفاضة من عرفات لا من المزدلفة. وإيراده بثمّ بعد ذكر الإفاضة إلى المشعر الحرام لتفاوُتِ ما بين الإفاضتيْن. كقولك أحسِنْ إلى الناس ثم لا تُحْسِنْ إلى [٧٩] غير كريم. وحينئذ على قراءة أفاض الناسُ -بالرفع - يكون الخطاب مع قريش فإنهم كانوا يقفون بالمزدلفة وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفّعًا عليهم فأمروا بأن يُسَاوُوهم. وعلى قراءة الكسْر فكذلك المعنى أن الإفاضة من عرفة شرعٌ قديم فلا تغيروه. وقيل: المراد الإفاضة من مزدلفة إلى مِنى بعد الإفاضة من عرفة. والخطاب عام.

وأوْردَ المولى سعيد الدين الكازروني المحدّث أنه حج آدم أربعين حجة ماشيًا قيّض الله له مَلَكا يدلّه إلى البيت، وخطْوتُه كانتْ مسيرة ثلاثة أيام، وكل موضع وضع عليه قدمه عمْرَان، وما تعداه مفاوز. وروى الفاكهي عن جعفر بن محمد عن أبيه وعن أبي حازم عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (قد أتى آدم هذا البيت ألف آتية من الهند على رجليه لم يركب فيهن» . قال محمد: من ذلك ثلاثمائة حجّة وسبعمائة عمرة. ورُوي أيضا عن عطاء بن رَباح

---

(١) القرآن: البقرة ١٩٩.

قال: حج آدم من الهند على بقرة.

وعن عروة بن الزبير أنه قال: بلغني أنّ البيت وُضِع لآدم -عليه السلام - يطوف به ويعبد الله عنده، وأن نوحًا قد حجّه وجاءه وعظّمه قبل الغرق فلما أصاب الأرض من الغرق حين أهلك الله قوم نوح أصاب البيتَ ما أصاب الأرض من الغرق فكان ربوة حمراء معروف مكانه، فبعث الله -عز وجل - هودًا إلى عاد فتشاغَل بأمر قومه حتى هلك ولم يحجّه. ثم بعث الله [٨٠] صالحًا إلى ثمود فتشاغَلَ حتى هلك ولم يحجّهُ، ثم بوّأه الله لإبراهيم فحجّه وعلم مناسكه ودعا إلى زيارته. ثم لم يبعث الله نبيًّا إلاّ حَجَّه. رواه البيهقي والأزرقي، واللفظ له. وعن عبد الرحمن بن عبد لله مولى بني هاشم قال: كان النبي من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق مكة فتعبّد فيها النبي ومن معه حتى يموت. فمات به نوح وهود وصالح وشُعيْب -عليهم السلام - وقبورهم بين زمزم والحجر، رواه الأزرقي.

وفي البحر العميق، في فضائل البيت العتيق للإمام العلامة أبي البقاء محمد ابن أحمد القرشي العمري المكي الحنفي: عن ابن سابط عن النبي ﷺ قال: (كان النبي من الأنبياء إذا هلكتْ أمته لحِقَ بمكة) الحديث نحوه. وعن وهب بن منبّه قال: خطب صالح الذين آمنوا معه فقال لهم: إن هذه دار قد سخط الله عليها وعلى أهلها فاظعنوا منها فإنها ليست لكم بدار، فقالوا: رأيُنا لرأيك تبَعٌ فمُرْنَا نفعل، قال: تلحقون بحرم الله وأمنه، لا أرى لكم دونه. فأهلُّوا من ساعتهم بالحج ثم أحرموا في العباء وارتحلوا قُلْصًا حمراء مخطّمة بحبال اللّيف، ثم انطلقوا آمّين البيت الحرام حتى وردوا مكة. فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فتلك قُبورهم في غربي الكعبة بين دار الندوة ودار بني هاشم. وكذلك فعَلَ هود ومن آمن معه وشعيب ومن آمن معه. رواه الأزرقي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال حج النبي ﷺ [٨١] فلما أتى وادي

عسفان قال: (لقد مرّ بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات حمر خطمهن اللّيف وأُزرُهم العباء وأرديتهم النمار يحجّون البيت العتيق) رواه الواحدي. وعنه أن رسول الله ﷺ لما حج مرّ بوادي عسفان قال (لقد مرّ بهذا الوادي هود وصالح وموسى -عليهم السلام- على بكرات حمر خطمهن اللّيف وعليهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق). رواه البيهقي وخرّجه أبو ذر أيضا ولفظه (أتى على هذا الوادي عيسى وموسى وصالح وذكر غيرهم من الأنبياء، على بكرات خطمهن اللّيف وأزرهم النمار وأرديتهم العباء يحجّون البيت العتيق). قال مقاتل: في المسجد الحرام بين زمزم والمقام والركن قبر سبعين نبيّا، منهم هود وصالح وإسماعيل، وقبر آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس. رواه الأزرقي. وقال الحسن البصري في رسالته: قال رسول الله ﷺ: (إن قبر نوح وهود وشعيب وصالح في ما بين الركن والمقام وزمزم).

فقد ثبت بهذه الأحاديث أن هودًا وصالحًا حجًّا وعليه أكثر العلماء فإن قيل يؤيد قول عروة بن الزبير المذكور آنفا الحديث الذي رواه الزبير بن بكار في النسب.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: (دَثَرَ مكان البيت فلم يحجّه هود ولا صالح حتى بوّأه الله لإبراهيم) فحينئذ كيف وجه الجمع بين هاتين الروايتين؟ فإن صح في إثباتهما يلزم اجتماع النقيضيْن. قلنا: نُقِل في البحر العميق عن مجاهد أنّه كان موضع البيت قد خَفِي ودرس من الغرق بين نوح وإبراهيم -عليهما السلام- فكان [٨٢] موضعه أكمةً حمراء مدوّرة لا تعلوها السيول، غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت في ما هناك ولا يثبتون موضعه. وكان يأتيه المظلوم من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب، فقلَّ مَن دعا هناك إلاّ استجيب له. وكان الناس يحجون إلى موضع البيت حتى بوّأ الله مكانه لإبراهيم.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - أنه لما رُفِع البيت زمن الطوفان كانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لإبراهيم وأعلمه مكانه. رواه أبو ذر. وحجّ إليه هود وصالح ومن آمن بهما وهو كذلك. ويُذكَر أن يعرب قال لهود -عليه السلام - أَلاَ بَنَيْتَه قال: إنما يبنيه كريم يأتي بعدي يتّخذه الرحمن خليلاً انتهى. فقد تبين بذلك أنهم كانوا يحجّونه ولا يعلمون أين هو في الحقيقة، وقد دل ما مرّ في بناء إبراهيم البيت.

فمراد النبي ﷺ والله أعلم في رواية "حجّ" أنه قصد موضع البيت وأتى إليه وأقام المشاعر، ومراده في قوله: لم يحجّ أي لم يقصد نفس البيت أو أن معنى حجّه أي قصد جهته، ومعنى لم يحجه أي لم يقصد عينه لأنه لا عِلْم له بعينه، فارتفع بذلك التناقض عن الروايتين. والله أعلم.

فإن قيل: يلزم من الأخبار التي وردت أن القبور في ما بين زمزم والمقام أن الصلاة ثَمَّ مكروهة لكراهة الصلاة في [٨٣] المقابر. قلنا: مقبرة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام - لا تُكْرَه الصلاة فيها لأنهم أحياء في قبورهم يصلّون ويتعبدون، فانتفى سبب الكراهة. فإن قيل: الكراهة بل الحرمة من جهة أخرى وهي أن المصلّي ثَمَّ يستقبل قبر نبيّ، واستقبال قبر النبي ﷺ في الصلاة محرّم. قلنا: إنما تتحقق الحرمة إذا تحقّق الاستقبال وهو غير محقّق. وعن عبد الله بن ضمرة السلولي قال: ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيًّا جاء حاجًّا فقُبروا هنالك. رواه الأزرقي والبيهقي وقال: سبعة وسبعين نبيًّا. قال محمد بن إسحاق كان إبراهيم -عليه السلام - يحجّ سنة على البراق قال: وحجَّتْ بعد ذلك الأنبياء والأمم. قال: وحج إسحاق وسارة من الشام. وعن مجاهد قال: حج إبراهيم وإسحاق -عليهما السلام - ماشيَيْن. وعن عطاء بن السائب:أنّ إبراهيم -عليه السلام - رأى رجلاً يطوف بالبيت فأنكره فسأله: مِمَّنْ أنت؟ قال: من أصحاب ذي

القرنين، قال: فأين هو؟ قال: هوذا بالأبطح. فتلقاه إبراهيم -عليه السلام - فاعتنقه فقيل لذي القرنين: لم لا تركب؟ قال: ما كنتُ لأركب وهذا يمشي، فحجَّ ماشيًا. رواه وما قبله الأزرقي.

وعن عبد الله بن الزبير أنه قال لعبيد بن عمير الليثي: كيف بلغك أن إبراهيم -عليه السلام- دعا إلى الحج؟ قال: بلغني أنه لما [٨٤] رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت وانتهى إلى ما أراد الله من ذلك وحضر الحج استقبل اليمن فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته، فأجيب: أن لبيك لبيك، ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله -عز وجل - وإلى حج بيته فأجيب أن لبيك لبيك، وإلى المغرب فمثل ذلك وإلى الشام فمثل ذلك ثم حج بإسماعيل ومن معه من المسلمين من جرْهم، وهم سكّان الحرم يومئذٍ مع إسماعيل وهم أصهاره، وصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء بمنى ثم بات بهم حتى إذا أصبح وصلّى بهم الغداة ثم غدا بهم إلى نمرة فَقَال[1] بهم هنالك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الظهر والعصر في مسجد إبراهيم بعرفة، فوقف بهم فهو الموقف من عرفة الذي يقف عليه الإمام يُريه ويُعَلّمه. فلما غربتْ الشمس دفع به وبمن معه حتى إذا أتى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة، ثم باتَ حتى إذا طلع الفجْر صلى بهم صلاة الغداة، ثم وقف به على قزح من المزدلفة وبمن معه، وهو الموقف الذي يقف به الإمام، حتى استقر غير مشرق دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يرمي الجِمار حتى فرغ له من الحج كله، وأذّن به في الناس. ثم انصرف إبراهيم -عليه السلام- راجعًا إلى الشام فتوفي بها. على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام.

---

(١) بالهامش من النسخة أ تعليق توضيحي نصه: من القيلولة. وقد أُقحِمَ في نص النسخة ب.

وعن مجاهد قال: لما [٨٥] قال إبراهيم ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾[١] أُمِرَ أن يرفع القواعد من البيت، ثم أُرِيَ الصفا والمروة وقيل: هذان مِن شعائر الله. قال: ثم خرج به جبريل فلمّا مرّ بجمرة العقبة إذا إبليس عليها فقال جبريل: كبِّرْ وارْمِهِ. ثم ارتفع إبليس إلى الجمرة الوسطى فقال له جبريل: كبّرْ وارْمِه. ثم ارتفع إبليس إلى الحجرة القصوّى فقال له جبريل: كبّرْ وارْمِهَ. ثم انطلق إلى المشعر الحرام ثم أتى به عرفة فقال له جبريل –عليه السلام -: هل عرفتَ ما أريتك ثلاث مرات؟ قال: نعم، قال: فأَذِّنْ في الناس بالحجّ، قال: وكيف أقول؟ قال: قلْ: أيها الناس أَجيبوا ربّكم ثلاث مرات، فقالوا: لبيك اللّهم لبيك. قال: فمن أجاب إبراهيم يومئذ فهو حاج. رواهما الأزرقي.

وُروي أيضًا عن محمد بن إسحاق قال: لما فرغ إبراهيم خليل الرحمن –عليه السلام - من بناء البيت الحرام جاءه جبريل –عليه السلام - فقال: طُفْ به سبعًا فطاف به سبعا هو وإسماعيل فيستلمان الأركان كلها في كل طواف، فلما كمَّلا سبعا صلّيا خلف المقام ركعتين. قال: فقام معه جبريل –عليه السلام - فأراه المناسك كلها الصفا والمروة ومنى ومزدلفة وعرفة. قال: لمّا دخل منى وهبط من العقبة تمثّل له إبليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل -عليه السلام -: كَبِّر وارْمِه فرماه بسبع حصيّات فغاب عنه إبليس، ثم برز عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل: [٨٦] كبّر وارْمِه فرماه بسبع حصيّات مثل حصى الخذف فغاب عنه إبليس، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل: كبّرْ وارْمِهِ فرماه بسبع حصيات، فغاب عنه إبليس ثم مضى إبراهيم في حجه وجبريل يُوقفه على المواقف ويعلّمه المناسك حتى انتهى إلى عرفة، فلما انتهى إليها قال له جبريل – عليه السلام - أعَرفتَ مناسكك؟ قال إبراهيم: نعم، قال فسُمّي عرفات بذلك لقوله: أعرفتَ مناسكك؟ قاله المولى المحدّث سعيد الدين الكازروني.

---

(١) القرآن: البقرة ١٢٨.

فصل

في كيفية حج إبراهيم - عليه السلام -
وفي كيفية فرض المناسك والشعائر

ثم ذكر هذا الحديث الذي ذكرنا آنفًا وقال: هذه أسباب وجوب الطواف والوقوف والرّمْي.

وأما السعي بين الصفا والمروة فسبب وجوبه كما جاء في الأخبار أنه لما كان بين أم إسماعيل هاجر وبين سارة امرأة إبراهيم ما كان أقبلَ إبراهيم بأم إسماعيل - وإسماعيل صغيرٌ تُرْضِعه - حتى قدم بها مكة ومع أم إسماعيل شنَّة[1] فيها ماء تشرب منها وتدرّ على ابنها وليس معهما زاد فوضعهما ثم خرج إبراهيم فقالت له: إلى مَن تتركنا؟ قال: إلى الله، قالت: رضيتُ بالله. فلما فنيَ ما في شنّتها من الماء انقطع دَرُّها فجاع ابنها واشتدّ جوعه حتى كاد أن يموت فحسبَتْ أم إسماعيل أنه يموت، فقالت: لو تغيّبْتُ عنه حتى لا أرى موته، فعمدت إلى الصفا [٨٧] ثم نظرت إلى المروة ثم قالت: لو مشيتُ بين الصفا والمروة سبع مرّاتٍ، ثم رجعتْ تُطالع ابنها فوجدتْه كما تركتْه، فسمعتْ صوتًا فقالت: قد أسمع صوتَك فأغثني، فخرج جبريل -عليه السلام - فاتبعتْه حتى ضرب جبريل رِجْله مكان البئر فظهر ماءٌ فوقَ الأرض، وقال جبريل لهاجر: سيأتي أبو هذا الغلام فيبني بيتًا هذا مكانه، وأشار إلى موضع البيت، ثم انصرف جبريل. قال رسول الله ﷺ: (فلذلك طاف الناس بين الصفا والمروة) انتهى.

فإن قيل: هلاّ كان سبب وجوب هذه الشعائر فعْل آدم؟ لما تقدّم أنه طاف

---

(١) الشنّة: القِرْبة.

وسعى ووقف بمزدلفة ورمى الحجار؟ قلنا: لأن النبي ﷺ وأمّته لم يؤمروا إلاّ بمتابعة ملّة إبراهيم -عليه السلام- كما قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾(١) ولم يؤمروا بمتابعة ملة نبي غيره فكان فعله سببًا لوجوبه علينا دون فعل غيره من الأنبياء.

وأيضا فالأذان بالحج في الناس إنما كان منه ووجوبه على الناس كان من جهته، فجعل سبب وجوبها فعله. وأما نسبة الطواف بين الصفا والمروة إلى هاجر فلانْتِسابها إلى إبراهيم فعدّ من مِلّتِه ولتقدم طوافها على طواف إبراهيم مع أنه ليس في الحديث تصريح بأنّ إبراهيم طاف بينهما، والله أعلم.

وعن مجاهد أنه قال: حج موسى النبي ﷺ [٨٨] على جَمَلٍ أحمر فمرّ بالرَّوْحاء عليه عباءتان قطوانيتان مؤتزرًا بإحداهما مرتديا بالأخرى فطاف بالبيت ثم طاف بين الصفا والمروة. فبينا هو يطوف ويلبّي بين الصفا والمروة إذ سمع صوتًا من السماء وهو يقول: لبيك عبدي أنا معك، قال: فخرّ موسى -عليه السلام- ساجدًا. رواه الأزرقي. ورُوي أن موسى صلوات الله عليه حجّ على ثور، أورده ابن جماعة. وعن عطاء أن موسى بن عمران -عليه السلام- طاف بين الصفا والمروة وعليه عباءة قطوانية وهو يقول: لبّيك اللّهم لبّيك. فأجابه ربّه: لبيك يا موسى لبيك، وهذا أنا معك.

وعن طلحة بن عبد الله بن كراز الخزاعي أن موسى -عليه السلام- حين حج طاف بالبيت فلمّا خرج إلى الصفا لقيه جبريل - عليه السلام - فقال: يا صفيّ الله، إنهُ الشدّ إذا هبطتَ بطن الوادي فاحْتَزَمَ نبيّ الله ﷺ على وسَطِه بثوبه، فلما انحدر عن الصفا وبلغ بطْنَ الوادي سعى وهو يقول: لبيك اللهم لبيك،

(١) القرآن: النحل ١٢٣.

قال: يقول الله تعالى: لبيك يا موسى، وهذا أنا معك. رواهما الأزرقي.

وعن كُثَير بن عبد الله بن عمر عن جده قال صلى النبي ﷺ في مسجد الروح ثم قال (هذا سجاسج وادٍ من أودية الجنة، لقد صلّى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيًّا ولقد مرّ به موسى بن عمران حاجًا ومعتمرًا بسبعين ألف من بني إسرائيل على ناقة ورْقَاء عليه عباءتان قطوانيتان) رواه ابن الجوزي.

وروى الفاكهي عن محمد بن طلحة قال سمعت أن قبر هارون النبي ﷺ بأُحُد يقال إنه مات حاجًا أو معتمرًا فدفن.

وعن عثمان بن ساج قال أخبرني صادقٌ أنه بلغه [٨٩] أنّ رسول الله ﷺ قال: (لقد مرّ بفجّ الروحاء سبعون نبيّا على نُوقٍ حُمْر خطمها اللّيف لبوسهم العباء وتلبيتُهم شتى، منهم يونس بن متّى وكان يونس يقول: لبيك فرَّاج الكرب لبيك، وكان موسى يقول: لبيك لبيك أنا عبدك لديك. قال:وتلبية عيسى لبيك أنا عبْدك ابن أمتك بنت عبديْك لبيك). رواه الأزرقي[١].

وأما تلبية نبينا ﷺ فكانت بألفاظ مختلفة. منها عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال كانت تلبية رسول الله ﷺ (لبيك اللّهم لبيك لبيك، لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك). رواه مسلم وابن ماجة. وعن أبي هريرة –رضي الله عنه - أنّ النبي ﷺ قال في تلبيته (لبيك إله الخلق[٢] لبيك) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة. وعن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: تلقفتُ التلبية مِن رسول الله ﷺ وهو يقول (لبيك اللهم لبيّك، لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك). وعن أبي هريرة –رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال في تلبيته (لبيك إله الحق،

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة ١: ٧٣.

(٢) في أ: إله الحق.

لبيك) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة[1]، وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يزيد فيها (لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك، لبيك والرغباء إليك والعمل) رواه ابن ماجة. وحديث ابن عمر في تلبية النبي ﷺ رواه البخاري ومسلم أيضا. ورُوِيَ عن عمر أنه كان يزيد [٩٠] (لبَيْك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوبًا منك ومرغوبًا إليك). وعن أنس -رضي الله عنه- أنه كان يقول (لبيك حقًّا حقًّا تعبّدًا ورِقًّا). روى المنذر رفعه إلى النبي ﷺ والصحيح أنه موقوف على أنس. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال (كنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمرَرْنا بوادي الأزرق فقال: أي وادٍ هذا؟ قالوا: وادي الأزرق[2]، قال: كأني أنظر إلى موسى -عليه السلام- فذكر مِن طول شعره شيئا لا يحفظه داود أحد رواة الحديث، واضعًا أصبعيه في أذنيْه له خُوار إلى الله -عز وجل- بالتلبية، مارًّا بهذا الوادي. قال: ثم سرْنا حتى أتينا على ثنية فقال: أي ثنية هذه؟ قالوا ثنية هرشى، قال: كأني أنظر إلى يونس -عليه السلام- على ناقة حمراء عليه جبة صوف خز، خطام ناقته خلبة مارًّا بهذا الوادي ملبيا) رواه مسلم وابن ماجة ورواه ابن حبان واستدلّ به على استحباب وضع الإصبعين في الأذنين عند التلبية، وهذا إنما يجيءُ على مذهب مَن يقول: إنّ شرع مَن قبلنا شرعٌ لنا.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال (وقف رسول الله ﷺ بعسفان فقال: لقد مرّ بهذه القرية سبعون نبيا ثيابهم العباء ونعالهم الخوص) رواه ابن أبي حاتم في عِلَلِه. وعن [٩١] مجاهد أنه قال(حج خمسة وسبعون نبيًّا كلهم قد

---

(١) كامل نص هذه التلبية وسندها ساقط من ب.

(٢) وادي على ثلاثة أميال من عسفان في الطريق بين مكة والمدينة، ويعرف بغُران. ياقوت: معجم البلدان ٤: ١٩١، الأزرقي ١: ١٣٢ الهامش ٥.

طافوا بالبيت وصلوا في مسجد منى، فإن استطعتَ أن لا تفوتك الصلاة في مسجد منى فافعل) رواه الأزرقي.وعن عبد الله بن الزبير قال: حجّ البيتَ ألف نبي من بني إسرائيل، لم يدخلوا مكة حتى وضعوا أنعامهم بذي طوى، رواه أبو ذر.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليهلَنَّ ابن مريم من فجّ الروحاء بالحج أو بالعمرة) رواه البيهقي.

وروى الليث بن سعد عن عطّاف بن خالد قال: يحج عيسى بن مريم إذا نزل في سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف، فإنهم لم يموتوا ولم يحجوا. رواه ابن الجوزي. وعن أبي سعيد -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ليُحجّنّ هذا البيت وليُعتَمرنّ بعد خروج ياجوج وماجوج) رواه أحمد والبخاري.

وعن قتادة قال: سألتُ أَنَسًا -رضي الله عنه -: كم حجَّ النبي ﷺ؟ قال: حجةً واحدة، واعتمر أربع عُمرٍ كلها في ذي القعدة، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. وعن أبي إسحاق أنه سأل زيد بن أرقم فقال: حج بعد ما هاجر حجة واحدة، حجة الوداع. قال أبو إسحاق: وبمكة أخرى يعني قبل الهجرة، رواه مسلم. وفي غير مسلم: قبل الهجرة حجّتَاِن. قال القرطبي: لا خلاف أن النبي ﷺ لم يحجّ بعد الهجرة إلاّ حجة [٩٢] الوداع. وأما قبل الهجرة فاختُلِف فيه، هل حجّ واحدة كما قال أبو إسحاق الشعبي، أو حجتيْن كما قال غيره؟ انتهى.

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ حجّ ثلاثَ حجَجٍ، حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر قَرَنَ معها عمرة، رواه الترمذي -وهذا لفظه - وابن ماجة والدارقطني والحاكم وصحّحه على شرط مسلم. وقال ابن حزم: حجّ رسول الله ﷺ واعتمر قبل النبوة وبعدها قبل الهجرة حججًا وعُمَرًا لا يُعرف عددها.

وأما اختلاف الروايات في إحرام النبي ﷺ في حجة الوداع هل كان إفرادًا أو

قِرانًا وتمتّعًا. فعن عائشة -رضي الله عنها- (أن رسول الله ﷺ أفرد الحج) رواه مسلم والأربعة. وعن جابر -رضي الله عنه- (أنَّ رسول الله ﷺ أفرد الحج) رواه ابن ماجة. وعنه (أنّ رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- أَفْردوا الحجّ) رواه ابن ماجة. وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال (أهْللنا مع رسول الله ﷺ بالحج مفردًا) رواه في جامع الأصول.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة فسمعتُه يقول لبيك عمرة وحجة) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال [٩٣] أخبرني أبو طلحة (أنَّ رسول الله ﷺ قرن الحج والعمرة) رواه ابن ماجة وأحد رواته ضعيف. وفي جامع الأصول عن بكر بن عبد الله المزني قال أنس (سمعت النبي ﷺ يلبّي بالحج والعمرة جميعا) قال بكر: حَدّثتُ ابن عمر قال لي: بالحج وحده فلقيتُ أَنَسًا فحدثتُه فقال: ما تعدّوننا إلاّ صبيانًا. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول (لبيك حجة وعمرة). وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال تمتّع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان، رواه الترمذي. وفي جامع الأصول عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال (تمتّع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج) الحديث وفي كل واحد روايات كثيرة وهي متعارضة في الظاهر.

قال الطيبي في شرح المشكاة: وقد طعن فيها طائفة من الفئة الزائغة عن منهج الحق فقالوا: اتّفقتم أيها الرواة على أن نبيكم لم يحجّ من المدينة غير حجة واحدة، ثم رَويتُم أنه كان مفردًا، ورويتم أنه كان قارنا، ورويتم أنه كان متمتعا. وصنعة هذه الأنساك متباينة وأحكامها مختلفة، وتزعمون أن كل هذه الروايات مقبولة لصحة أسانيدها وعدالة رواتها.

فأجاب عن ذلك جمْع من العلماء -شكر الله سعيهم- وقد اخترنا من

ذلك جوابا عن الإمام الشافعي -رضي الله عنه - [٩٤] وزِيْدتُهُ: إن من المعلوم في لغة العرب جواز إضافة الفعل إلى الآمر كجواز إضافته إلى الفاعل كقولك: بنى فلانٌ دارًا إذا أمر ببنائها، وضرب الأمير فلانًا إذا أمر بضربه. ومن هذا الباب رجم رسول الله ﷺ ماعِزًا وقطع يد سارقِ رداء صفوان بن أمية. وكان أصحاب رسول الله ﷺ منهم المفرد ومنهم القارن ومنهم المتمتّع وكل منهم يصدر عن أمره وتعليمه فجاز أن يُضَافَ كل ذلك إليه.

وأجاب الخطابي بأنه يحتمل أن يكون بعضهم سمعه يقول (لبيك بحجة) وخفيَ عليه وعمرة، فقال: كان مفردًا ولم يحْكِ إلاّ ما سمِع، وسمعه آخر يقول (لبيك بحجة وعمرة) فقال كان قارنًا. ولا تُنكر الزيادات في الأخبار كما لا تُنكر في الشهادات.

وفي البحر العميق في فضائل البيت العتيق: طريق الجمع بين الأحاديث عند جماعة مِن مُحققي العلماء والمحدّثين أن سيدنا رسول الله ﷺ أفرد الحج في أول الإحرام ثم أتاه مِن ربه بوادي العقيق كما ثبت في الصحيح فقال (صلِّ في هذا الوادي المبارك ركعتين، وقلْ عمرة في حج فقرنَ ﷺ) فمن روى أنه أفرد الحج اعتمد أول الإحرام، ومن روى أنه كان قارنًا اعتمد آخر الإحرام، ومن روى أنه كان متمتعًا فهو محمول [٩٥] على أنه ﷺ تمتّع بفعل عمرة في أشهر الحج وفعلَها مع الحج، وهذا معنى القِرَان، أو على أنه ﷺ أُمِر بذلك كما جاء أنه ﷺ رجم ماعِزًا وإنما أمر برجْمِه. ومثله كثير في كلام العرب يُضيفُون الفعل إلى الآمر كإضافته إلى الفاعل. قال: ولا يصح قول مَن قال إنه أحرم إحراما مطلقًا منتظرًا ما يُؤمر به فأُمِر بالحج ثم بالعمرة، لأن رواية جابر الطويلة وغيره من الصحابة تردّه، انتهى. وكل ذلك قاله ابن جماعة في منْسَكه وقال: وهو اختيار والدي. وللعلماء في ذلك أجوبة مؤتلفة بعبارات مختلفة اخترنا أجْمَعَها عبارة

وفي ذلك كفاية.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان على هذه الكلمات "بسم الله، ما شاء الله، لا يسوق الخير إلاّ الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلاّ الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلاّ بالله" قال: فمنْ قالها حين يُصبح وحين يُمَسِي ثلاث مرات عُوفِيَ من السرق والحرق. أخرجه أبو ذر وزاد أبو الشيخ وابن حِبّان "والغرق والسلطان والشيطان والحية والعقرب".

وعن الواقدي عن أشياخه أن أبا بكر -رضي الله عنه- استعمل على الحج عمر بن الخطاب سنة إحدى عشرة فحج بالناس، ثم اعتمر أبو بكر في رجب سنة اثنتي عشرة ثم حج فيها بالناس واستخلف [٩٦] على المدينة عثمان.

وعن محمد بن سعد أن عمر -رضي الله عنه- استعمل على الحج أول سنة وَلِيَ عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم لم يزل عمر يحج بالناس في خلافته كلها، فحج بهم عشر سنين، وحج بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها، واعتمر في خلافته ثلاث عُمَر. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال حجَجْتُ مع عمر -رضي الله عنه- إحدى عشرة حجة.

وأما عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فلما بويع أمّر عبد الرحمن بن عوف على الحج سنة أربع وعشرين. وحجّ عثمان بالناس سنة خمس وعشرين. فلم يزل يحج إلى سنة أربع وثلاثين. ثم حُصِر في داره. وحج عبد الله بن عباس بالناس سنة خمس وثلاثين.

وأما علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فما يُعلم عدد حججِه قبل ولايته وفي ولايته. اشتغل عن الحج بما وقع في أيامه فلم يحجّ لأنه ولي الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وأياما. وكانت ولايته بعد انقضاء الحج في سنة خمس

وثلاثين، لأن عثمان قُتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة من هذه السنة. وكانت وقعة الجمل في سنة ست وثلاثين فحجّ بالناس عبد الله بن عباس. ثم كانت وقعة صِفّين في سنة سبع وثلاثين وحج عبد الله أيضا بالناس. وحج بالناس في سنة ثمان وثلاثين حجّ قثم ابن عباس -رضي الله عنه -. ثم اصطلح الناس في سنة تسع على [٩٧] شيبة بن عثمان فأقام لهم الحج. ثم قُتِل علي -رضي الله عنه - في رمضان سنة أربعين.

وكان معاوية يَستنِيبُ في زمن ولايته مَن يحجّ بالناس. وحج هو بالناس كما قال القضاعي في سنة أربع وأربعين وسنة إحدى وخمسين. وقال أبو الفرج: حجّ هو بالناس سنة خمسين. وأقام ابن الزبير الحج للناس سنة ثلاث وستين قبل أن يبايَع له فلما بويع له حجَّ ثمان حججٍ متوالية -رضي الله عنهم أجمعين -. ذكره صاحب البحر العميق.

وحجّ الحسن بن علي -رضي الله عنهما - خمسا وعشرين حجة ماشيًا من المدينة والنجائب تُقادُ معه. وحج عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما - ستين حجة واعتمر ألف عمرة وحمل على ألف فرس في سبيل الله. قاله أبو حفص المالكي في شرح الأربعين للإمام النووي نقلا عن بعض شيوخه. وفي الحِلْية لأبي نعيم: أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما - قال: إني لأستحي من ربي ألقاه ولم أمْشِ إلى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة إلى مكة على قدميْه. وفيها قال مصعب بن الزبير: حجّ الحسن بن علي خمسا وعشرين ماشيا، انتهى.

وحج طاووس أربعين قال: وروى ابن وهب عن مالك أنه بلغ سِتّا وثمانين سنة وأفتى في الإسلام ستين سنة. وأحْرَم الخليفة المنصور في بعض حجَجِه من بغداد. وحج أحمد بن حنبل [٩٨] خمس حجّات ثلاث حجَجٍ ماشيا واثنتين راكبا وأنفق في بعض حجاته عشرين درهما. كذا في الحِلْية لأبي نعيم. وفي مناسك

الكازروني أنه حج ماشيًا مرتين. وحجّ الحسن الدينوري أخو سنان ست عشرة حجة ماشيا حافيا بغير زاد. وحج أبو عبد الله بن الجلاء نيفا وخمسين حجة على التوكل. وسافر المغيرة بن حكيم إلى مكة نيفًا وخمسين مرة حافيًا محرِمًا صائما. وحج علي بن شعيب السقّاء نيفًا وستين حجة على قدميه من نيسابور. وحج سفيان بن عُيَيْنه اثنتين وسبعين حجة.

وحج عطاء بن أبي رباح نيفا وسبعين حجة وعاش مائة سنة. وحج الأسود بن يزيد بن قيس النخعي ثمانين حجة واعتمر ثمانين عمرة لم يجمع بينهما في سفرة. وكذا ابنه عبد الرحمن بن الأسود سافر ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما. قال ابن قتيْبة: وكان يقول في تلبيته: لبيك أنا الحاج ابن الحاج. وكان يصلّي كل يوم سبعمائة ركعة وكانوا يسمّون آل الأسود أهل الجنة. وحجّ أبو العباس العباسي ثمانين حجة ماشيا. وحج أبو عبد الله المغربي سبعا وتسعين حجة وعاش مائة وعشرين سنة. ولم يبلغنا عن غيره أنه حج هذا القدر.

قلتُ: أخرج الدينوري في المجالسة عن أبي إسحاق أن عمرو بن ميمون الأودي حجّ مائة حجة وعمرة. وفي حلية أبي نعيم: قال محمد بن إسحاق الثقفي: سمعتُ علي بن [٩٩] الموفق يقول: حججتُ على رجلي ستين حجة منها عن رسول الله ﷺ ثلاثون. قال علي بن الموفق لمّا تمّ لي ستون حجة، قعدتُ تحت الميزاب في المسجد الحرام فجعلتُ أفكّر وأقول: إلى كم أتردد إلى هذا البيت ولا أدري من المقبولين أنا أم من المردودين؟ فغلبتني عيناي فإذا قائل يقول: يا علي، أتدعو إلى بيتك إلاّ مَن تحبّ! فانتبهتُ وقد سُرّيَ عني. أورده المولى سعيد الدين الكازروني في مناسكه وفي البحر العميق.

عن علي بن الموفق أنه كان حجّ ثمانين حجة فقال لنفسه: إنك تقدمين غدًا بين يدي الله تعالى ومعك ثمانون حجة، فقال: إني وهبت سبعين حجة للنبي ﷺ

وأربعة للخلفاء الراشدين وثلاثة لأمي وثنتيْن لأبي وكلّ مَن له من المسلمين نيةٌ ولا يقدر عليه فقد وهبتُه تلك الواحدة. يا نفس بقيتِ بغير شيء تقدمين على الله ولا حجّ معك. قال: وهتف هاتف من زاوية البيت: يا ابن الموفق أتَتَسخَّى علينا ونحن خلقنا السخاء، فبعزّتي وجلالي كلّ مَن وهبتَه حجة واحدة فأنا وهبتُه سبعين ألف حجة. رواه سليمان بن داود في بهجة الأنوار.

وأخبر الحسن بن عمر بن عيَيْنة قال: حججتُ مع سفيان بن عيينة آخر حجة حجّها سنة سبع وتسعين ومائة [١٩٧ هـ / ٨١٣ م] كنا بجمع وصلى، استلقى على فراشه ثم قال: لقد وافيتُ هذا الموضع سبعين عاما أقول في [١٠٠] كل عام اللّهم لا تجعله آخر العهد وأني قد استحَيْت من الله من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع فتوفي في السنة الداخلة. حكاه ابن الجوزي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال (وعد الله تعالى هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أكملهم الله تعالى من الملائكة. وإن الكعبة تُحشَر كالعروس المزفوفة، ومن حجَها تعلّق بأستارها حتى تدخلهم الجنة).

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الحسن النقاش: إن عدد الحاج الواردين من الآفاق ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان. وإن ذلك هو الغاية لا يزاد عليها[1]. وإن الحد الذي لا تنقص منه أن يكونوا ستمائة ألف إنسان كما في الحديث، انتهى.

وحصر أبواب الفضائل والمفاخر، وعدد الحجاج من الأوائل والأواخر، غير ممكن. وفي ما أوردناه كفاية، لمن أعطاه الله البصيرة والفضل والدراية. اللّهم وفّقنا لما تحبّ وترضى.

---

(١) هذا ما تصوره الإمام أبو بكر النقاش، ولعل تصوّر مؤلف هذا الكتاب أحرى بالصواب في ما أورده في الفقرة الموالية.

الباب الثالث

فضـــــل الوقـــوف بعرفــــة

الباب الثالث
في فضل الوقوف بعرفة
والاعتناء فيه لاسيما لمن علم ذلك وعرفه

فمما يناسبه من الآيات قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾(١) نزلت هذه الآية الكريمة والنبي ﷺ واقفٌ بعرفة.

ومما جاء من الآيات في عظم فضل ذلك اليوم أن الله تعالى أقسم به [١٠١] وقال تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾(٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (اليوم الموعود: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة، وما طلعت عليه الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلاّ استجاب له ولا يستعيذ من شيء إلاّ أعاذه منه) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث غريب.

وقال الله تعالى ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾(٣) قال صاحب الكشاف: أراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة وهو قول ابن عباس، وبالشفع والوتر النحر ويوم عرفة فشفْعها يوم النحر ووِتْرها يوم عرفة لأنه تاسع أيامها وذلك عاشرها، وهو قول ابن عباس. روى عنه عكرمة وزرارة بن أبي أوفى، وقد روى عن

(١) القرآن: المائدة ٣.

(٢) القرآن: البروج ١ -٣.

(٣) القرآن: الفجر ١ -٣.

النبي ﷺ أنه فسّرهما بذلك.

وأما الأحاديث الواردة في شرفه فأكثر مِن أن تُحْصَى، وأوفر من أن تُستوعَب وتُستقصى، فمنها ما روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيها عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدْنُو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء) رواه مسلم والنسائئ وقال: عبدًا وأمةً.

وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز [١٠٢] أنّ رسول الله ﷺ قال: (ما رُئيَ الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدْحر ولا أحْقَر ولا أغْيظ منه في يوم عرفة. وما ذاك إلاّ لما يَرى مِن تنزّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلاّ ما رأى يوم بدر. قيل: وما رأى يوم بدر؟ قال: أما أنّه رأى جبريل يزع الملائكة) رواه مالك في الموطإ والبغوي في المصابيح.

قال المحب الطبري في كتابه المسمى بالقِرى، في فضائل أم القرى: الدحْر: الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال. ومنه ﴿ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾(1)، وفي رواية أدخر وأدْحق والدّحْقُ الطرد والإبعاد. وقوله يزَعُ الملائكة أي يقودهم. وعن العباس بن المرداس (أن النبي ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب: إني قد غفرتُ لهم ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم منه. قال: رب إن شئتَ أعطيتَ المظلوم من الجنة وغفرتَ للظالم؟ فلم يُجبْ عشية فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء، فأُجيبَ إلى ما سأل. قال: فضحك رسول الله ﷺ أو قال تبسّم، فقال له أبو بكر وعمر: بأبي أنتَ وأمي، إن هذه لساعة ما كنتَ تضْحَك فيها، فما الذي أضحكك، أضحَكَ الله سنّك؟ قال: إنّ عدو الله إبليس لمّا علم أن الله -عزّ وجلّ- قد استجاب دعائي وغفرَ لأمتي أخذ التراب فجعل يحثُوهُ على رأسه

(1) القرآن: الإسراء ٣٩.

ويدعو [١٠٣] بالويل والثبور، فأضحكني ما رأيتُ مِن جزعه) رواه ابن ماجة والبيهقي في كتاب البعث والنشور ورواه أبو داود مختصرًا ورواه أبو حفص الملاّ في سيرته[١]. وهذا الحديث ضعيف كذا قاله ابن حجر المكي في حاشيته على الإيضاح[٢] ولفظه (أن النبي ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأجابه الله -عزّ وجلّ- إني قد فعلتُ وغفرتُ لأمّتك إلاّ ظلْم بعضِهم بعضًا. فقال: يا ربّ أنك القادر على أن تغفر للظالم وتثيب المظلوم خيرًا مِن مظلمته، فلم يُجبْ تلك الليلة، فلما كان من الغد دعا عند المزدلفة لامّته فلم يلبث ﷺ أن تبسّم، فقال له بعض أصحابه: بأبي أنتَ وأمي ضحِكْتَ في ساعة ولم تكن تضحك فيها فما أضحكك أضحك الله سنك؟ فقال: إني تبسّمتُ مِن عدو الله إبليس حين علم أنّ الله قد استجاب دعائي في أمتي وغفر لهم المظالم، فذهب يدعو بالويل والثبور ويحثُو على رأسه بالتراب). وأخرج أبو سعيد عبد الملك في كتابه شرف النبوة معناه، وأخرجه الإمام أبو بكر الآجريّ[٣] بتغيير بعض اللفظ.

وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيُباهي بهم الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادي أتَوْني شعثًا غُبْرًا ضاجّين مِن كل فج عميق. أشْهِدُكم أني قد غفرتُ لهم، فتقول الملائكة يا رب [١٠٤] فلان كان يُرْهِق وفلان وفلانة قال: يقول الله تعالى: قد غفرتُ لهم). قال: رسول الله ﷺ: (فما مِن يوم أُكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة) رواه البغوي في المصابيح والبيهقي في شُعب الأيمان. وزاد في رواية (يسألوني رحمتي

---

(١) ذُكر هذا الكتاب عرضًا في كشف الظنون لحاجي خليفة ص ١٠١٦.

(٢) جملة سقطت من أ.

(٣) هو محمد بن الحسين الآجري المكي ت ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م. حافظ إخباري أخذ عنه الناس في الحديث والسير وله مؤلفات كثيرة. الفاسي: العقد الثمين ٢ : ٣ -٥.

ولم يَرَوْني ويتعوّذون من عذابي ولم يرَوْني). وأخرجه أبو حاتم بن حبّان بلفظ (ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة. قال فقال رجل: يا رسول الله هي أفضل من عدّتهن جهادًا في سبيل الله -عزّ وجلّ-، قال: هي أفضل من عدّتهن جهادًا في سبيل الله. وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله إلى سماء الدنيا فيباهي بأهلِ الأرض أهلَ السماء فيقول: انظروا إلى عبادي شُعْثًا غُبْرًا حاجّين جاؤوا من كل فجّ عميق يرجُون رحمتي ولم يرَوْني ويتعوّذون من عذابي. فلم يُرَ يوم أكثر عتقًا من النار من يوم عرفة).

وله في حديث طويل من رواية عمر عن النبي ﷺ: (إنّ العبد إذا وقف بعرفة فإن الله -عزّ وجلّ- ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: انظروا عبادي شُعثًا غُبْرًا، اشْهَدُوا أني قد غفرتُ لهم ذنوبهم، وإن كان عدد قطر السماء ورمل عالج). وأخرج الإسماعيلي طائفة من الحديث الأول بلفظِ (إنّ رسول الله ﷺ قال: عشية عرفة ينزل الله -عزّ وجلّ- فيها إلى السماء الدنيا فيقول [١٠٥] للملائكة: انظروا إلى عبادي شُعثًا غُبْرًا جاؤوا من كل فجّ عميق ضَاجِّينَ يسألون رحمتي ولم يروْني، ويتعوّذون من عذابي ولم يروْني، لا يُرى يومٌ أكثر عتيقًا أو عتيقة فيه من النار منه. ولا يغفر الله لمخْتالٍ). ورواه الحسن البصري في رسالته بلفظ (إذا كان عشية عرفة هبط الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا فينظر إلى عباده فيباهي بهم الملائكة يقول -جلّ جلاله-: يا ملائكتي أما ترونَ إلى عبادي قد أقبَلُوا إليَّ مِن كل فجّ عميق شُعْثًا غُبْرًا يرجُون رحمتي ومغفرتي. أُشهِدكم يا ملائكتي أني قد وهبتُ مسيئهم لمُحْسِنهم وشَفّعْتُ بعضهم في بعضٍ، وغفرت لهم أجمعين. أَفيضُوا عبادي كلّكُم مغفورٌ لكم ما مضى من ذنوبكم فاستأنفوا العمل من الساعة فقد غفرتُ لكم ذنوبكم صغيرها وكبيرها قديمها وجديدها قال: وحجة مقبولة خير من الدنيا وما فيها).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: كان الفضل بن عباس رِدْف النبي ﷺ يوم عرفة قال: فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن وجعل رسول الله ﷺ يصرف بيده وجهه من خلفه وجعل الفتى يلاحظ إليهن، فقال: رسول الله ﷺ: (إنّ هذا يومٌ مَن ملَك فيه سمْعَه وبصَره ولسَانه غُفِر له) رواه البيهقي.

قال: وفي رواية أنه كان رديف النبي -ﷺ [١٠٦] بعرفة قال: فكان الفتى يلاحظ النساء. قال: فقال النبي ﷺ ببصره هكذا وصرفه وقال (يا ابن أخي، هذا يومُ مَن مَلك بصره إلاّ مِن حق وسمعه إلاّ من حق ولسانه إلاّ مِن حق غُفِر له).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لا يبقى أحدٌ يوم عرفة في قلبه وزن ذرّة من إيمان إلاّ غُفِر له. قال رجل: يا رسول الله لأهل يوم عرفة خاصة أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة) رواه أبو ذر عبد بن أحمد الهروي في مناسِكِه وابن الجوزي.

ويُروى أن الرحمة تنزل على أطراف الموقف فتعمُّهم وتُغْفَر لهم بها ذنوبهم ثم تفرق في الأرض من هنالك، رواه الطبراني في التشويق. وقال الإمام الغزالي في الإحياء: ويقال إنّ الله -عزّ وجلّ - إذا غَفَر ذنبًا لعبدٍ في الموقف غَفَره لكل من أصابه في ذلك الموقف.

وعن أنس -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّ الله تطوَّلّ على أهل عرفات فبَاهَى بهم الملائكة فقال: انظروا إلى عبادي شُعْثًا غُبْرًا أقبلوا يضربون إليّ مِن كلّ فجّ عميق، فاشهدوا أني قد غفرتُ لهم إلاّ التّبِعات التي بينهم. قال: ثم إن القوم أفاضُوا مِن عرفات إلى جمع، فقال: يا ملائكتي انظروا إلى عبادي وقَفوا فعادوا في الطلب والرغبة والمسألة، اشهدوا أني قد وهبتُ [١٠٧] مُسيئهم لمحسِنهم وتحمّلتُ عنهم التّبعات التي بينهم) رواه أبو ذر الهروي وأورده المولى سعيد الدين الكازروني في منسكه.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: وقف رسول الله ﷺ بالمزدلفة وقال(يا بلالا أنْصِتِ الناس، فقال بلال: يا معشر الناس إن الله أمركم أن تنصتوا له لمقالته. قال ابن عباس: فما رأيتُ طاعةً مثلها، فانصتَ الناس فقال ﷺ: يا معشر الحاج إن الله تعالى قد اطّلع عليكم في يومكم هذا في جمْعكم هذا، فوهَب مُسيئَكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل).

وقد ورد أن الله تعالى يقول عشية عرفة: أُشْهِدكم يا ملائكتي أني قد غفرتُ لهم إلاّ التبعات، فإذا غداة المجمع يقول الله تعالى قد غفرتُ لهم حتى التبعات. والتبعات هي الدم والمظلمة. وقال ﷺ: (إنّ من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلاّ الوقوف بعرفة. وقال: أعظم الناس ذنبًا مَن وقفَ بعرفة ثم ظنّ أنّ الله لم يغفر له) أوردهُ الإمام المحدث سعيد الدين الكازروني في منسكه.

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: وقف رسول الله ﷺ بعرفات وكادت الشمس أن تغرب فقال(يا بلال أَنْصِتِ الناس، فقال: يا معاشر الناس أتاني جبريل -عليه السلام- آنفًا فأقْرأني السلام مِن ربي فقال: إن الله -عزّ وجلّ- غفر لأهل عرفات ولأهل المشعر وضمن عنهم التبعات. فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: هذا لنا خاصة؟ فقال: هذا لكم [١٠٨] ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: كَثُر خير الله وطاب) رواه عبد الله بن المبارك في مسنده كما قال الشيخ محب الدين الطبري المكي.

وعن مجاهد قال: كانوا يرون أن المغفرة تنزل عند دفعة الإمام يوم عرفة. أخرجه سعيد بن منصور. وعن جابر بن عبد الله قال قال: رسول الله ﷺ: (المغفرة تنزل على أهل عرفة مع الحركة الأولى فإذا كانت الدفعة العظمى، فعند ذلك يضع إبليس التراب على رأسه ويدعو بالويل والثبور فيجتمع إليه شياطينه فيقولون: مالك؟ فيقول قوم: فتنتهم منذ ستين وسبعين سنة غفر لهم في طَرْفَةِ

عين» أورده ابن جماعة في منسكه الكبير.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم عرفة غَفر الله للحاج الخالص، وإذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للتجّار، وإذا كان يوم منى غفر الله للجمّالين، وإذا كان جمرة العقبة غفر الله للسؤال، ولا يشهد ذلك الموقف خلْقٌ ممن قال لا إله إلاّ الله إلاّ غفر له) رواه ابن عبد البر في التمهيد مِن طُرق بألفاظ مختلفة عن أبي عبد الغني وقال: حديث غريب. وأبو عبد الغني لا أعرِفُه وأهل العلم مازالوا يسامحون أنفسهم في رواية الغرائب والفضائل عن كل أحد. وإنما يشدّدون في أحاديث الأحكام، انتهى. وقال ابن العربي: له أحاديث [١٠٩] لا يُتَابَع عليها في الفضائل ثم روى عنه الحديث المذكور. في بعض ألفاظ الحديث خلق من خلق الله إلاّ غفر له. ورواه القرطبي في تفسيره وقال: حديث غريب.

وفي البحر العميق عن سفيان الثوري -رحمه الله تعالى – قال: حجَجْتُ سنة ومِن رأيي أن أنصرفَ مِن عرفات ولا أحجّ بعد، فنظرتُ في القوم فإذا بشيخ يتّكئُ على عصاه وهو ينظر إليّ مليًّا، فقلت: السلام عليك يا شيخ، قال: وعليك السلام يا سفيان ارجع عمَّا نَوَيْتَ، فقلتُ: سبحان الله، مِن أين تعلم نيتي؟ قال: ألهمني ربّي فوالله لقد حججتُ خمسا وثلاثين حجة، وكنتُ واقفًا بعرفات هاهنا في الحجة الخامسة والثلاثين أنظُرُ إلى هذه الزحمة في أمرهم وأمري أن الله هل تقبّل حجّهم وحجّي؟ فبقيتُ متفكرا حتى غربتْ الشمس وأفاضَ الناس مِن عرفات إلى مزدلفة ولم يبق معي أحدٌ، وجنّ الليل ونمتُ تلك الليلة فرأيتُ في النوم كأن القيامة قد قامت وحُشِر الناس وتطايرت الكُتُب ونُصِبَ الميزان والصراط وفُتحتْ أبواب الجنان والنيران، فسمعتُ النار تنادي. اللهمّ وقّ الحجاج من حَرّي وبردي. فنُودِيتْ: يا نار سَلِي غيرَهم، فإنهم ذاقوا عطش البادية وحرّ

عرفات، ووُقُوا عطش القيامة ورُزِقوا الشفاعة، فإنهم طلبوا رِضاي لا لأنفسهم وأموالهم. قال: فانتبهتُ وصليتُ ركعتين ثم نمتُ ورأيتُ ذلك فقلتُ في نومي: هذا من [١١٠] الرحمن أم من الشيطان؟ فقيل لي: مِن الله فَمُدَّ يمينك، فمددتُ فإذا على كتفي مكتوب، مَن وقف بعرفة وزار البيت شفّعتُهُ في سبعين من أهل بيته. قال سفيان: وأراني المكتوب حتى قرأتُه. ثم قال الشيخ: فلم تمرّ عليّ حينئذ سنةٌ إلاّ وأنا أحجّ حتى تمّ لي ثلاث وسبعون حجة. رواه سليمان بن داود السواري ثم السقسيني في كتابه المسمى ببهجة الأنوار[1].

ويروى عن محمد بن المُنْكَدِر أنه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلمّا كان في آخر حجة حجّها قال وهو بعرفات: اللهم إنك تعلم أني وقفتُ في موقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضي والثانية عن أبي والثالثة عن أمي، وأشهدك يا رب أني قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفي هذا ولم يتقبّل منه. فلما دفع من عرفات ونزل بالمزدلفة نُودي في المنام يا ابن المنكدر تتكرّم على مَن خَلَق الكرم، أتجودُ على من خلق الجود؟ إن الله تعالى يقول: وعزّتي وجلالي قد غفرتُ لمن وقف بعرفات قبل أنْ أخلق عرفات بألفي عام. أورده الشيخ شعيب المعروف بالحريفيش في كتابه الروض الفائق في المواعظ والرقائق.

وعن الفُضَيْل بن عياض أنه نظر إلى بكاء الناس بعرفة فقال: أرَأيتُم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوا دانقا أكان يردّهم؟ قيل: لا، قال والله لَلْمَغفرة عند الله –عزّ وجلّ– أهون من إجابة رجل لهم بدانق. أورده الإمام النووي في [١١١] منسكه المسمى بالإيضاح.

وعن علي بن الموفّق قال: حججتُ سنة فلما كانت ليلة عرفة بِتُّ بمنى فرأيت في المنام كأنّ ملكين قد نزلا من السماء فنادى أحدهما صاحبه: يا عبد الله،

(١) هو كتاب في الموعظة باللغة الفارسية. ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ٢٥٧.

فقال: لبيك يا عبد الله، فقال: أتدري كم حج بيتَ ربّنا هذه السنة؟ قال: لا أدري، قال: حج بيت ربنا هذه السنة ستمائة ألف، فقبل منها حج ستة. ثم ارتفعا فغابا في السماء فانتبهتُ فزعًا وغمّني وقلْتُ في نفسي: إذا قُبِل ستة فأين أكون أنا؟ فلما أفضتُ من عرفات وصرتُ عند المشعر الحرام جعلتُ أفكر في كثرة الخلائق وقلّة مَن قُبِل منه فغلبني النوم فإذا الشخصان قد نزلا بعينهما. فقال أحدهما لصاحبه المقالة الأولى. ثم قال: أتدري ما حكم ربنا -عزّ وجلّ- في هذه السنة؟ قال: لا، قال: وهب لكل واحد من الستة مائة ألف. فانتبهتُ وقد دخلني السرور. رواه ابن الجوزي وغيره.

وعن أيوب الجمّال قال: وقفتُ بعرفة ومعي نفقتي فأحببْتُ أنْ أسأَل الله وليس معي من الدنيا شيء فوضعتُها بين يديّ ودعوتُ الله إلى وقت الإفاضة ثم أفضتُ ونسيتُ النفقة فلما أبعدتُ ذكرتها، فقلت: أرجع فلعلي أن أصيبها فرجعتُ فإذا الموضع كله أبْدَان سود بلا رؤوس فتعجبتُ من ذلك فهتف بي هاتف: أتعجَبُ من هذا؟ هذه ذنوب بني آدم رحلوا وتركوها. وأصبتُ نفقتي فأخذتُها.

وعن منيع قال: حججتُ [١١٢] سنة من السنين وكنتُ عديل أبي عبيد القاسم بن سلام، فلمّا ذهبنا إلى عرفات وضعتُ الرحل عند أبي عبيد وذهبتُ إلى عكاض أغتسل في تلك الحياض، وكان في وسطي هميان فيه جملة من الدراهم فوضعتُ همياني خلف الحجارة واغتسلتُ وذهبت إلى أبي عبيد ونسيتُ الهميان فلم أذكر إلى نصف الليل. فلما كان نصف الليل نزلتُ من الكثيب فغدوت إلى عرفات فلما بلغت عرفات رأيت الأرض والجبال ملأى قرودًا كبارا وصغارًا يمينًا وشمالاً يقعدون ويقفزون، فتحيّرتُ وهممتُ أن أرجع ثم تلوتُ آيات من كتاب الله تعالى حتى جزْتُهم، فلما ذهبت إلى عكاض وجدتُ الهميان في الموضع الذي وضعتُه فيه. ثم رجعتُ فرأيت القرود بعرفات مثل ذلك وهم يقفزون كبارًا وصغارًا منهم

مثل البقر ومنهم مثل الضبي ومنهم مثل الشاة. فقرأتُ القرآن وتعوّذتُ حتى رجعتُ إلى أبي عبيد فقال: ما صنعت؟ فأخبرتُه ثم ذكرتُ القرود التي رأيتُها فقال أبو عبيد: ذلك ذنوب بني آدم قد وضعوا عن رقابهم. رواهما البيهقي في شُعَب الإيمان.

ومن فضائل يوم عرفة أنّ كل مَن يستشهد من المؤمنين يكتب اسمه في عشيته كما أخرجه المروزي في كتاب العيدين بسنده. عن محمد بن عباد المخزومي قال: لا يستشهد [١١٣] مؤمن حتى يُكتَب اسمه عشية عرفة في من يستشهدُ.

ومن فضائله أن صوم يومه سببٌ لغفران الذنوب. عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (من صام يوم عرفات غُفِر له ما تقدّم مِن ذنبه وما تأخّر) رواه الحافظ أبو سعيد النقاش في أمالِيه. وعن أبي قتادة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (صيام يوم عرفة قد احتُسِب على الله أن يكفّر السنة التي قبله والسنة التي بعده). وفي رواية (يكفّر سنتيْن ماضية ومستقبلة) رواه البخاري ومسلم. وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما مِن السنة يوم أحبُّ إليّ أن أَصُومه من يوم عرفة. رواه سعيد بن منصور. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات) أخرجه أحمد في مسنده وابن ماجة وأبو ذر. وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه نهى عن صوم يوم عرفة في الحج وكان يقول: اجتهاد وعبادة ودعاء. أخرجه سعيد بن منصور. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- (أن النبي ﷺ أفطر بعرفة وأرسلتْ إليه أم الفضل بلبن فشربَ) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

قال المحب الطبري: هذه الأحاديث تدلّ على استحْبابِ [١١٤] الفطر أو كراهية الصوم في يوم عرفة على مَن يكون حاجًا، انتهى. قلتُ: وليس المراد أن هذا

الثواب لا يحصل في صوم عرفة للحاج بل المراد أنّ الفطر في شأنه أفضل.

روى عطاء الخرساني أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما - دخل على عائشة -رضي الله عنها - وهي صائمة والماء يُرشّ عليها فقال لها: أفطري، فقالت: أفطر وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول (إن صوم يوم عرفة يكفر العام الذي قبله) رواه ابن الجوزي.

وعن عبد الرحمن بن يعمر قال: قال رسول الله ﷺ وسلم (الحجّ عرفة، من جاء قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد أدرك الحج. أيام منى ثلاثة ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[1] رواه أحمد وابن عدي والحاكم والبيهقي في السنن، ورُوي أيضا في الشُّعَب بلفظ (الحج عرفات). وعن عبد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال (أفضل الأيام يوم عرفة وافق يوم جُمُعة وهو أفضل من سبعين حجة في غير جمعة) أخرجه رزين في تجريد الصحاح[2].

وذكر أبو طالب المكي في كتابه المرسوم بقوْتِ القُلوب عن بعض السلف الصالح أنه قال: إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غُفِر لكل أهل الموقف. وروى ابن جماعة عن النبي ﷺ: (إذا كان يوم عرفة [١١٥] جمعة غَفَر الله لجميع أهل الموقف) واستشكل بأن الله يغفر لأهل الموقف فما وجْه تخصيص يوم الجمعة؟ وأجاب عن ذلك البدر بن جماعة بأنه يحتمل أن الله تعالى يغفر للجميع يوم الجمعة بغير واسطة. وفي غيره: يهب قومًا لِقوم، كما ورد أنه يغفر مسيئهم لمحْسِنهم. فإن قيل: المغفرة حاصلة على كل تقدير، فأيّ فائدة تعود على المغفور

---

(١) القرآن البقرة ٢٠٣.

(٢) هو زين بن معاوية السرقسطي الأندلسي المكي. توفي سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م محدث مؤرخ ورد على مكة فأقام بها سنين وتوفي بها. له مؤلفات في الحديث وكتاب في أخبار مكة وآخر في أخبار المدينة. ابن العماد :بشرات الذهب ٤: ١٠٦، مخلوف: شجرة النور الزكية ١: ١٣٣.

له؟ قلنا: كفى فائدة هذا حصول القرب بعدم الواسطة. وفيه من زيادة التنويه لاستقلاله بهذه الرحمة وتأصّله بهذه المغفرة في وقفة الجمعة للحاج وغيره، وفي غيرها يعقد للحاج فقط. انتهى.

وفيه نظرٌ لما مرّ من أنه لا يبقي أحد في قلبه وزن ذرة من أيمان إلاّ غُفِر له. فقال رجل: لأهل عرفة خاصة، أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة وغير ذلك. وقد يُجاب بأنه يحتمل أنّ مراده أنّ يوم الجمعة يغفر لجميع الناس بالاستقلال، وفي غيره: يُوهَب غير أهل عرفة بأهل عرفة، كما في رواية الطبراني السابعة: أن الرحمة تنزل على أطراف الموقف فتعمّهم ثم تُفرّق في الأرض من هنالك.

فإن قيل: في الحديث أنه يغفر لأهل الموقف يوم الجمعة فكيف يقول يغفر للحاج وغيره؟ قلنا: المراد بالحاج المتلبّسون بالنسك وأرض الموقف تجمع المتلبس بالنسك وغيره أو أن أهل الموقف يشمل [١١٦] مَن كان في أرض عرفة ومن لم يكن فيها من المسلمين، لأن كل مسلم فيه أهلية ذلك. والله أعلم.

ثم اعلم أن لوقفة يوم الجمعة مزايا على الوقفة في غير يوم الجمعة منها: أنها بسبعين حجة كما مَرّ، ومنها أنه يغفر لكل أهل الموقف وقد مرّ آنفًا، ومنها أنه أفضل أيام الأسبوع، لما روى البيهقي في شُعَب الإيمان عن أبي هريرة -رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أفضل الأيام عند الله يوم الجمعة) والأعمال تفضل بفضيلة الأزمنة، كما تفضل بفضيلة الأمْكِنة، ألا ترى أن ثواب جميع الحسنات بمكة تُضَاعَف بمائة ألف. ومنها أن في يوم الجمعة ساعة يُستَّجاب فيها الدعاء، ومنها أن يوم الجمعة يُغفَر لجميع المسلمين، كما رواه الطبراني في معجمه الأوسط عن أنس بن مالك -رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى ليس بتاركٍ أحدًا من المسلمين يوم الجمعة إلاّ غفر له) فإن كان الغفران حاصلا لأجل يوم الجمعة فتكون زيادة الدرجات من يوم عرفة كما قال

العلماء في نحو ذلك.

ومنها أن النبي ﷺ حجَّ فيه حجة الوداع، وإنما يختار الله له الأفضل. وكان ﷺ واقفًا بعرفة إذ نزل عليه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] فقال [١١٧] أهل الكتاب: لو أَنزلتْ هذه الآية علينا لاتخّذنا ذلك اليوم عيدًا. فقال عمر -رضي الله عنه-: أشهد لقد أُنزِلت يوم عيدَيْن اثنيْن يوم عرفة ويوم جمعة، لوقوع حج نبينا ﷺ في ذلك اليوم. وفيه أقوال كثيرة ذكرها أهل العلم في قوله تعالى ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾[2]. فقيل ما مرّ وهو المشهور، وقيل: إن يوم الحج الأكبر يوم عرفة مطلقا سواء كان جمعة أو غيرها. وهو قول عمر وابن عمر وغيرهما. وذكره ابن حزم عن علي -رضي الله عنه-.

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي في تفسير قوله ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾[3] عن قيس بن مخرمة أن النبي ﷺ قال (يوم الحج الأكبر يوم عرفة). قال: ويقال الحج الأكبر هو الحج، والحج الأصغر هو العمرة، كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: العمرة هي الحجة الصغرى. وقيل: إنه يوم النحر لما رُوي عن علي -رضي الله عنه- قال سألتُ رسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال (يوم النحر) أخرجه الترمذي.

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: بعثني أبو بكر في من يؤذّن يوم النحر بمنى أن لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ويوم الحج

---

(١) القرآن: المائدة ٣.

(٢) القرآن: التوبة ٣.

(٣) القرآن: التوبة ٣.

الأكبر يوم النحر، والحج الأكبر الحج. رواه أبو داود. قال المحب الطبري: واختُلف في سبب تسميته بيوم الحج [١١٨] الأكبر فقيل: في الكلام إضمار تقديره يوم تمام الحج الأكبر. والحج الأكبر الحج والأصغر العمرة، وهو قول الشعبي. وقيل: سُميّ يوم الحج الأكبر لأنّ أكثر أفعال الحج فيه، وقيل: لأنه يحلق فيه الشعر ويُهْرَاقُ الدم ويحلّ فيه الحرام، قاله عبد الله بن أبي أوْفَى. قال التوربشتي الحنفي في شرح المصابيح[1]: والأغلب والأقوى أنه يوم عرفة لأن تعلّق الحج به أقوى من تعلّقه بيوم النحر. ألا ترى أن عرفة لو فات فاتَ إلى غير بدل؟ وإلى هذا المعنى التفت النبي ﷺ في قوله (الحج عرفة) انتهى.

ونقل في التاتارخانية(٢) عن المحيط: أن الحج الأكبر المذكور في الآية هو طواف الإفاضة، وقيل: إنه أيام الحج كلها، فعبّر عن الأيام باليوم كما قالوا يوم الجمَل ويوم صِفّين. وهو مذهب سفيان الثوري –رحمه الله تعالى–. وقال مجاهد الحج الأكبر القِرَان والأصغر الأفراد.

والحاصل أن في الحج الأكبر ثلاثة أقوال:

الأول أنه إذا كان يوم عرفة يوم جمعة والأصغر ما إذا كان يوم عرفة غيره من الأيام. والثاني أنه القِرَان والأصغر الأفراد، والثالث أنه الحج مطلقًا والأصغر العمرة.

وفي يوم الحج الأكبر أربعة أقوال:

---

(١) الشارح هو فضل الله بن حسين التوربشتي الحنفي توفي سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤ م وعنوان شرحه المشير في شرح مصابيح السنة للبغوي. حاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٦٩٨، كحالة: معجم المؤلفين ٨: ٧٣.

(٢) كتاب كبير في الفتاوى جمعه عالم بن علاء الحنفي. حاجي خليفة: كشف الظنون ص ٢٦٨.

الأول أنه يوم عرفة، والثاني أنه يوم النحر، والثالث أنه يوم طواف الإفاضة، والرابع أنه أيام الحج كلها، ولا [١١٩] تعارض لأن الأكبر والأصغر أمْرانِ نِسْبِيان، فحج الجمعة أكبر من حج غيرها، وحج القِرَان أكبر من حج الإفراد، والحج مطلقًا أكبر من العمرة. ويسمى الجميع حجًّا أكبر ويتفاوَتُ كل أكبر بحسبه. وكذا يُقال في الأيام يوم عرفة يوم تحصيل الحج الأكبر الذي هو الحج مطلقا، ويوم النحر يوم تمام الحج الأكبر من أحد تحلُّلَيْه ويوم الطواف يوم تمامه من تحلُّلَيْه. وأيام الحج كلها، بعضٌ منها يوم الإحرام بالحج وبعض منها يوم تحصيل الحج وبعضٌ منها يوم التحلّل الأول وبعضٌ منها يوم التحلّل الثاني. والله أعلم.

وعن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (كل عرفة موْقِف وكل منى منْحَر وكل مزدلفة موْقف وكل فجاج مكة طريق ومنْحَر) رواه أبو داود والدارمي. وعن جُبير بن مُطعم عن النبي ﷺ قال: (كل عرفات موقف وارتفعوا عن عرفات، وكل مزدلفة موقف وارتفعوا عن محسر، وكل فِجاج مكة منْحر وكل أيام التشريق ذَبْحُ) رواه أحمد. وعن يزيد بن شيبان أنهم كانوا في موقف بعرفة بعيد من موقف الإمام فإذا هم بابن مربع الأنصاري فقال لهم (أني رسول رسول الله ﷺ يأمركم أن تقفوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم -عليه السلام-) رواه أبو داود والترمذي [١٢٠] وقال: حديث حسن، والنسائي وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح. قال التوربشْتي قوله: على إرث إبراهيم أعلمهم أنهم لم يخطوا سنّة خليل الله. وذلك أن قريشًا ومن دان دينَهم كانوا لا يرون الخروج عن الحرم للوقفة. ويقولون: نحن قُطّانُ الحرم فلا ندَعُه بحالٍ. وكان غيرهم من العرب يقفون بعرفات. فلما حجّ رسول الله ﷺ ووقف موقفه الذي دونه -أي عنده الإمام- أعلم مَن وقَفَ بها أنه على منهج إبراهيم -عليه

السلام - وأنّ مَن بَعُد موقفه عن موقف النبي ﷺ كمَنْ دَنا وذلك منه لمعنييْن أحدهما تسْفيهُ رأي من رأى في الخروج عن الحرم حرَجًا للوقفة، والثاني إعلامهم بأن عرفة كلها موقف لئلا يتنازعوا في موقفهم ولا يتوهموا أنّ الموقف ما اختاره رسول الله ﷺ فلا يرَوْنَ الفضل في غيره فينتهي بهم ذلك إلى التشاجر. ولهذا قال (وقفتُ هاهنا وعرفة كلها موقف) انتهى.

وعن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية قال: سئل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - عن الوقوف بالجبل ولِمَ لَمْ يكن في الحرم، قال: لأن الكعبة بيت الله والحرم باب الله، فلما قَصَدُوه وافِدين أوقفهم بالباب يتضرّعون. قيل: يا أمير المؤمنين فالوقوف بالمشعر الحرام؟ قال: لأنه لما أذِن لهم بالدخول إليه وقفهم بالحجاب الثاني وهو المزدلفة، فلمّا أن طال تضرّعهم أذن لهم بتقريب [١٢١] قُربانِهم بمنى، فلمّا أن قَضوا تَفَثَهم وقرّبوا قربانهم فتطهروا بها من الذنوب التي كانت عليهم إذن لهم بالزيارة إليه على الطهارة. قيل: يا أمير المؤمنين من أين حُرّم صيام أيام التشريق؟ قال: لأن القوم زُوّار لله في ضيافته ولا يجوز للضيف أن يصوم دون إذنِ مَن أضافهُ. قيل: يا أمير المؤمنين، فتعلُّقُ الرجل بأستار الكعبة أي معنى هو؟ قال: هو مثل الرجل بينه وبين صاحبه جناية فيتعلق بثوبه ويبتهل له ليهَبَ له حاجته. رواه البيهقي في شعب الإيمان.

قال ابن جماعة: أفضل المواقف في قول غير المالكية عند الصَّخَرات الكبار المفترشة في طرف الروابي الصغار التي عند ذيل الجبل الذي بوسط عرفات، وهو الجبل المسمّى بجبل الرحمة. وفي صحيح مسلم (أنّ النبي ﷺ وقف واستقبل القبلة وجعل بطن ناقته إلى الصخرات وحبل المشاة بين يديه) انتهى.

قال المحبّ الطبري: مَنْ تمكّن مِن موقف رسول الله ﷺ فالأولى أن يُلازِمَهُ. وقد روى أبو الوليد الأزرقي بإسناده عن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن موقف

رسول الله ﷺ كان بين الأجْبُل الثلاثة النبْعة والنُّبَيْعة والنّابت وموقفه ﷺ منها على النابت، قال: والنابت عند النشرة التي خلف موقفه ﷺ على مضرس بين أحجار هناك نابتة من الجبل الذي يقال له ألاَل[1].

[١٢٢] قلت: وعلى هذا يكون موقفه ﷺ على الصخرات الكبار المفترشة في طرف الجبيلات الصغار التي كأنها الروابي عند الجبل الذي يعتني الناس بصعوده، ويسمونه جبل الرحمة، واسمه عند العرب إلال على وزن قِبَال. وذكره الجوهري بفتح الهمزة والمحفوظ خلافه.

قال: إذا تقرّر هذا فمَن كان راكبًا ينبغي أن يلابس بدابته الصخرات المذكورة. كما روي عنه ﷺ (ومن كان راجلاً وقف عليها أو عندها بحسب ما يتمكّن من غير إيذاء أحدٍ) ولا ثَبتَ في الجبل الذي يعتني الناس بصعوده خبرٌ ولا أثَرٌ. قال: وقد افتتنتْ العامة بهذا الجبل في زماننا وأخطؤوا في أشياء منها أنهم جعلوا الجبل هو الأصلي في الوقوف، فهم بذكره لَهِجُون، وعليه دون غيره يعرّجون. حتى ربما اعتقد بعض العامة أن الوقوف لا يصحّ بدون الرقي عليه. ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف. ومنها أيقادهم النيران عليه ليلة عرفة واهتمامهم لذلك باستصحاب الشموع من بلادهم، واختلاط النساء بالرجال هنالك صعودًا وهبوطًا بالشمع الكثير الموقَد. وإنما حدث ذلك بعد انقراض السلف الصالح، انتهى.

قال ابن جماعة: والمشهور من مذهب مالك [١٢٣] أنه ليس لموضع من عرفة فضيلة على غيره، وأنه يُكْره الوقوف على جبال عرفات. وفي البحر العميق: والأفضل للإمام وغيره أن يقف راكبًا على بَعيرِه كما فعل النبي ﷺ ولأن ذلك

(١) الأزرقي: أخبار مكة ٢: ١٩٤ وقد ورد اسم الجبل ألال في المخطوطتين إلال ولكنه مفتوح الأول عند الأزرقي وياقوت الحموي في معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٢ -٢٤٣.

أعْوَن له على الدعاء والذكر، وهو المهمّ في هذا الموضع. وفي الهداية: إنْ وقفَ على قدميه جاز، والأول أفضل. وفي منسك الكرماني: وإن وقف الإمام قائمًا أو جالسًا جاز لأنه أتى بحقيقة الوقوف إلاّ أنه ترك السنة والهيئة. وقال القرطبي في التفسير: لا خلاف بين العلماء أن الوقوف بعرفة راكبا لِمَنْ قدَرَ عليه أفْضَل، انتهى.

ولم يفرّق الأصحاب بين الرجل والمرأة في ذلك بل أطلقوا. وفي منسك ابن العجمي: ومن لم يكن له مركب فالأفضل أن يقف قائمًا وإذا أعْيَى جلس، ولو وقف جالسًا جاز. قال الطبري في شرح حَجّة النبي ﷺ وقوف النبي ﷺ على راحلته وإطالته الوقوف عليها دليل على إباحة ذلك مطلقا خلافًا لمن كرهه. قال: ويحتمل أن يكون ذلك مقصورا على ما هو قُربة دون غيره من المباح وعلى ما خفّ أمرُه كالراكب والرّدِيف خَلْفه والهوادج ونحو ذلك دون الأحمال الثقال والمحامل الثقيلة بالركبان المتعددة، لما فيه من إتعاب الحيوان من غير ضرر، انتهى.

قال ابن الحاج في المدخل: وهذا الموضع مستثنى عما نُهِيَ عنه من اتخاذ [١٢٤] ظهور الدواب مساطِبَ يُجْلَس عليها، انتهى كلامُ البحر العميق، قال الإمام النووي – رحمه الله – الوقوف راكبًا أفضل على الأصح من مذهب الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى–، انتهى.

قال ابن جماعة: هذا حكم الرجل، وأما المرأة فالأفضل كما قال الشافعية أن تكون قاعدة لأنه أسْتَر لها. وقالوا: يستحب أن يكون في حاشية الموقف لا عند الصخرات. وقال الحنفية والمالكية والحنابلة: إن الركوب أفضل ثم القيام ولم يفرقوا بين الرجل والمرأة. وعن أسامة بن زيد قال (كنتُ رديف النبي ﷺ بعرفة فرفع يديه فمالتْ به ناقته فسقط خطامُها فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافعٌ

يدَه الأخرى) رواه النسائي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: (رأيت النبي ﷺ يدعو بعرفة بالموقف ويداه إلى صدره كاستطعام المسكين) أخرجه أبو ذر. وعن عَمْرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال (خيرُ الدعاء دعاء يوم عرفة، وخيرُ ما قُلتُ أنا والنبيون من قَبْلي: لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) رواه أحمد والترمذي.

وعن علي -رضي الله عنه - قال: أكثر ما دعا النبي ﷺ يوم عرفة في الموقف: (اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرًا مما نقول، اللّهم لك صلاتي ونُسُكي [١٢٥] ومَحْيَايَ ومماتي وإليك مآبي ولك رب تراثي، أعوذ بك من عذاب القبر، ووسوسة الصدر، وشتات الأمر ومن شرّ ما تجري به الريح) رواه الترمذي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: كان في ما دعا النبي ﷺ في حجة الوداع (اللّهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دُعاء من خضعت لك رقبتُه، وفاضَتْ لك عَبْرتُه، وذلّ لك خدُّه، ورغِم لك أنفه، اللّهم لا تجعلني بدعائك رب شقيًّا، وكن لي رؤوفًا رحيمًا. يا خَير المسؤولين، ويا أكرم المُعْطين) رواه أبو ذر، وفي الديباجة قال: رواه الطبراني في معجمه الصغير.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ وذكر الدعاء وزاد (إلهي مَن مدح إليك نفسه فإني ذامٌّ لنفسي لائم لها. إلهي أخْرَسَت المعاصي لساني، فمالي وسيلة مِن عمل، ولا شفيع سوى الأمل، إلهي أنت تعلم أن ذنوبي لم تُبْقِ لي عندك جاهًا ولا للاعتذار وجْهًا، ولكنك أكرم الأكرمين، إلهي إن لم أكن أهلاً

أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني، فإن رحمتك وسعتْ كل شيء وأنا شيء. إلهي ذنوبي [١٢٦] وإن كانت عظامًا لكنّها صغار في جنب عفْوك فاغفرها لي يا كريم.

إلهي أنتَ أنتَ، وأنا أنا العوَّاد إلى الذنوب وأنت العوَّاد إلى المغفرة، إلهي أنْ كنتَ لا ترحم إلاّ أهل طاعتك فإلى مَن يفزعُ المذنبون؟ إلهي تجنّبتُ طاعتَك عمدًا، وتوجّهتُ إلى معصيتك قصْدًا، فسبحانك ما أعظم شأنك وأقوى حجَّتك عليّ وأكرم عفوك عني، ألا غفَرْتَ لي يا خير من دعاه داعٍ، وأفضل من رجاه راجٍ، بحرمة الإسلام، وبذمة محمد عليه السلام، أتوسّل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني عن موقفي هذا مَقْضِيّ الحوائج، وهب لي ما سألتُ وحقّق لي رجائي في ما تمنّيْتُ، إلهي دعوتك بالدعاء الذي علّمتنِيه، فلا تحرِمْني الرجاء الذي عرّفتنيه.

إلهي ما أنت صانعٌ العشية بعبدٍ مقرٍّ لك بذنبه، خاشع لك بذلّه، مستكين لك بجرمه، متضرّع إليك من عمله، تائب إليك من اقترافِه، مستغفرٌ لك من ظلمه، مبتهل إليك في العفو عنه، طالب إليك في نجاح حوائجه، لاحٍ إليك في موقفه، مع كثرة ذنوبه، فيا ملْجأ كل حي، وولي كل مؤمن، مَن أحسَنَ فبرحْمَتك يفوز، ومن أساء فبخطيئته هلك. إلهي إليك خرجنا، وبفنائك أنَخْنا، ولبابك أمَّلْنا، وما عندك طَلَبْنا، ولإحسانك تعرّضْنَا، ورحمتك رَجَوْنَا، ومِن عذابك أشْفَقنا، ولبيتك الحرام حَجَجْنا.

يا مَن يملك حوائج [١٢٧] الخلق أجمعين، ويعلم ضمائر الصامتين، يا من ليس معه ربٌّ فيُدْعَى، يا من ليس فوقَهُ خالق يُخْشَى، ويا من ليس له وزير يُرْجَى، ولا حاجب يُرْشَى، يا من لا يزْداد على السؤال إلاّ كرَمًا وجودًا، وعلى كثرة الحوائج إلاّ تفضُّلاً وإحسانا، إنك جعلْتَ لكل ضيفٍ قِرًى ونحن أضْيافُك، فاجعل

قِرَانًا منك الجنة. اللهم إنّ لكل وفد جائزة، ولكلّ سائلٍ عطية، ولكلّ راجٍ ثوابا، ولكلّ ملتمسٍ لِمَا عندك جزاء، ولكلّ مُسْتَرحِم عندك رحمة، ولكلّ راغب إليك زُلْفة، ولكلّ متوسّل إليك عفوًا.

وقد وفَدْنا إلى بيتك الحرام، ووقفنا بهذه المَشَاعر العِظام، وشاهدنا هذه المشاهد الكرام، رَجاءً لما عندك، فلا تخيّب رَجَاءنا. إلهنا تابعْتَ النِّعَم حتى اطمأنّتْ الأنفس بتتابُعِ نِعَمك، وأظْهرْتَ العِبَر حتى نَطقَتْ الصوامِتُ بحجّتك، وظاهَرْتَ المِنَن حتى اعترف أولياؤك بالتقْصِير عن حقّك، وأظْهَرْتَ الآيات حتى أفْصَحَت السماوات والأرَضُون بأدلّتك، وقَهرْتَ بقُدْرتك حتى خَضَع كل شيء لعِزَّتك، وعَنَت الوجوهُ لعظَمَتِك. إذا أساء عبادك أمهَلْتَ، وإذا أحسنُوا تفضَّلْتَ، وقَبِلْتَ، وإذا عَصَوا سَتَرْتَ، وإذا أذْنَبُوا عفَوْتَ، وإذا دَعَوْا أجبْتَ، وإذا نادَوْا سمِعْتَ، وإذا اقبَلُوا إليك قرُبْتَ، وإذا ولّوْا عنك دَعَوْتَ.

إلهنا أنتَ قلتَ في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1] فأرْضَاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود. إنّا نشهد بالتوحيد مُخْبتين، ولمحمد بالرسالة مُخْلصين، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام، ولا تجعل حظّنا فيه أنْقَص من حظّ من دخل في الإسلام.

إلهنا إنك أحْبَبْتَ التقرب إليك بعتق ما ملكتْ أيماننا، ونحن عبيدك وأنت أوْلَى بالفضل فاعتق رقابنا، وإنك أمرْتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك، وأنت أحقّ بالتّطوّلِ علينا فتصدّقْ علينا، ووصّيْتنا بالعفو عمن ظَلَمنا وقد ظلمنا أنفسنا، وأنت أحقّ بالكرم فأعْفُ عنّا. ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا

(١) القرآن: الأنفال ٣٨.

فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

قال الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى- في الإحياء: وليُكثِر مِن دعاء الخضر -على نبينا وعليه السلام- وهو: يا مَن لا يشْغله شأن عن شأن، ولا يشْغله مسموع عن مسموع، ولا تشتبه عليه الأصوات، ولا تُغْلِطه المسائل، ولا تختلف عليه اللغات. يا مَن لا يُبْرِمُه إلحاحُ الملحّين، ولا تضْجِرهُ مسألة السائلين، أذِقْنا بَرْدَ عفْوِك وحلاوة رحمتك.

وهذا الدعاء رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الهواتف والأصبهاني صاحب الترغيب والترهيب من حديث علي -رضي الله عنه- قال: بينا أنا أطوف بالكعبة إذا رجل متعلق بالأستار [١٢٩] وهو يقول: يا مّن لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا تُغْلطه المسائل، يا مَنْ لا يبرمه إلْحَاح المُلِحِيّن في طلب الحاجات، أَذِقْني بَرْد عفْوِك وحلاوة مغفرتك. قال علي -رضي الله عنه- فقلت له: أعِدْ لي هذا الكلام يا عبد الله، قال أسَمِعْتَه؟ قلتُ: نعم، قال: والذي نفس الخضر بيده -وكان هو الخضر عليه السلام- ما مِن عبْدٍ يقولهن دُبُر كل صلاة مكتوبة إلاّ غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل رمْل عالج[2] أو مثل زيد البحر أو مثل ورق الشجر.

والأدعية متوافرة متكاثرة في هذا الباب، أتينا ببعض من ذلك لئلا يخلو عنهما هذا الكتاب، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وهو الكريم الوهاب.

---

(١) القرآن: البقرة ٢٠١.

(٢) عالج: رملة بالبادية بين فيْد والقُريّات الواقعتين بين مكة والكوفة يصعب فيها السير. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤: ٦٩ -٧٠، ٢٨٢.

الباب الرابع

الوقـــوف عند المشعر الحرام

الباب الرابع

في الوقوف عند المشعر الحرام

في المبيت بمزدلفة ومنى والحلق والنحر ورمي الجمار، اقتداء بفعل سيد المرسلين وإمام الأبرار، عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام من الله الكريم البار.

أما ما ورد فيها من الآيات فقد قال الله تعالى ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وقال تعالى ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ [١٣٠] فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[3] فصلِّ صلاة العيد وانحر الهدْيَ. وقال تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾[4].

---

(١) القرآن: البقرة ١٩٨ -١٩٩.

(٢) القرآن: الحج ٣٦ -٣٧.

(٣) القرآن: الكوثر ٢.

(٤) القرآن: البقرة ٢٠٣.

قال بعض أهل العلم: إن معنى قوله ﴿ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ عَلَيۡهِ ﴾[١] أنه يرجع مغفورًا له. وقيل في قوله تعالى ﴿ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴾[٢] إنه المزدلفة.

وقال تعالى ﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ ﴾[٣].

وأما الأحاديث فعن عروة بن مضرّس[٤] -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (من شهد ليلتنا هذه يعني المزدلفة فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهارًا فقد تمّ حجُّه وقضى تفثه) رواه الخمسة وصحّحه الترمذي وابن خُزيْمة.

وعن أسامة لمّا سئل عن سيْر رسول الله ﷺ حين أفاضَ مِن عرفة (كان يسير العنَقَ فإذا وجد فجوةً نصّ) رواه البخاري ومسلم. والعَنَق: السيْرُ الرقيق، والنَّصّ: سيْرٌ فيه سرعة. والفجوة المكان المتسع. وفي بعض الروايات فرْجَة.

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- من حديثه الطويل [١٣١] في صفة حج النبي ﷺ (أتى الموقف فجعل بطن ناقته القُصْوى إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة، فلم يزلْ واقفًا حتى غربتْ الشمس وذهبتْ الصفرة قليلاً حتى غاب القرص، ودفع وقد شنق القُصْوى بالزمام حتى أن رأسها ليصيب مورّك رجله ويقول بيده اليمنى:أيها الناس، السكينة السكينة، كلما أتى

---

(١) القرآن: البقرة ٢٠٣.

(٢) القرآن: العاديات ٥.

(٣) القرآن: الفتح ٢٧.

(٤) صحابي ترجمه ابن الأثير في أسد الغابة ٣: ٤٠٦ – ٤٠٧، وذكر حديثه هذا الذي روي عنه.

جبَلاً أرْخى لها قليلا حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلّى بها المغرب والعشاء بأذانٍ واحدٍ وإقامتيْن[1] ولم يصلّ بينهما شيئا.

ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، فصلّى الفجر حين تبيّن له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصوى حتى أتى المشْعَر الحرام فاستقبل القبلة فدعا وكبّر وهلّل فلم يزل واقفًا حتى أبيضّ جدًّا فدَفَع قبل أن تطلع الشمس حتى أتى بطن محْسر فحرّك قليلا. ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرمى بسبع حُصَيّات يكبّر مع كل حصاة منها، مثل حصى الخذف ورُمِيَ من بطن الوادي. ثم انصرف إلى المنْحَر فنحَر. ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلّى بمكة الظهر) رواه مسلم.

قال المحبّ الطبري: وفي الحديث السابق دلالة على أن السكينة المأمور بها في هذا الحديث إنما هي من أجل الرفق بالناس فإن لم يكن زحام سار كيف شاء.

وعن بلال بن رباح -رضي الله [١٣٢] عنه - أن النبي ﷺ قاله غداة جَمْع[2] (يا بلال أَسْكِت الناس أو أنْصِت الناس. ثم قال: إن الله تطوّل عليكم في جمْعِكم هذا فوهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل. ادفعوا بسم الله) رواه ابن ماجة والإمام الرازي في فوائده. وقال (ادفعوا على بركة الله) وقد تقدم في باب الوقوف إجابة الله -عزّ وجلّ - نبيّه ﷺ في أمته في تلك الغداة أن يغفر لهم المظالم التي بينهم.

قال الدميري في الديباجة في شرح ابن ماجة: وهذه الليلة ليلة عظيمة جامعة لأنواعٍ من الفضل منها شرف الزمان والمكان. فإن المزدلفة من الحرم بالاتفاق

---

(١) في ب: إقامة واحدة.

(٢) جمع: مزدلفة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢: ١٦٣.

وانضم إلى ذلك جلالة أهل الجمع الحاضرين بها، وهم وفد الله لا يشقى بهم جليسهم، فينبغي أن يعتني الحاضر هنالك بإحيائها بالعبادة من صلاة أو تلاوة وذكر ودعاء ويتأهّب بعد نصف الليل للاغتسال أو الوضوء وتحصيل حَصَى الجمار، انتهى.

وعن عائشة -رضي الله عنها- سمعتُ رسول الله ﷺ يقول (يسحّ الله الخير في أربع ليالٍ سحًّا؛ ليلة الأضحى والفطر والنصف من شعبان وليلة عرفة) رواه ابن الجوزي.

عن الحسن -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (أربع ليال يُفرِغُ الله تعالى فيهن الرحمة على عباده إفراغًا؛ أول ليلةٍ من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة [١٣٣] الأضحى).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أنه قال: (أُعْطِيتم أفضل الليالي، ليلة الفطر والأضحى) رواه صاحب الروض الفائق.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (ليلة جمع تعدل ليلة القدر) رواه ابن الجوزي. وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: (منْ قام ليلتيْ العيديْن محتسبًا لم يمتْ قلبُه يوم تموت القلوب) رواه ابن ماجة والطبراني عن عبادة بلفظ: (مَن أحْيَى ليلتيْ العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) قال الإمام النووي: معنى لم يمت قلبه بالكفر أو الفزع الأكبر يوم القيامة أو بالشغف بحبّ الدنيا.

وعن مُعاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال قال رسول الله ﷺ: (من أحيَى الليالي الأربع وجبت له الجنة، ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر) رواه ابن الجوزي. ويحصُلُ الإحياءُ بمعْظَم الليل، وقيل: بساعة منه. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- بصلاة العشاء جماعة، والعزم على صلاة الصبح

جماعة. ويُندَب الدعاء فيها كليلة الجمعة وليلة أول رجب وليلة النصف من شعبان لقول الشافعي -رضي الله عنه - بلغنا أن الدعاء فيهنّ من المستجاب.

وعن عَمْرو بن ميمون قال: حججنا مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - فلما أردنا أن [١٣٤] نُفيضَ من المزدلفة قال: إن المشركين كانوا يقولون: أشرق بشير كيما نُغير. رواه الجماعة إلاّ مسلم.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال (أفاض رسول الله ﷺ الغد يوم النحر وردفه الفضل بن عباس، فما زال يلبّي حتى رَمَى جمرة العقبة) رواه البخاري ومسلم وأحمد. واللفظ له. وعنه قال (أفاض رسول الله ﷺ مِن عرفة وعليه السكينة ورديفه أسامة، فقال: يا أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البرّ ليس بإيحاف الخيل والإبل. فما رأيتُها رافعة يديْها حتى أتى مِنى) رواه أبو داود. والإيحاف: سرعة السير.

وعن علي -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ (لما أفاض من جمع وانتهى إلى وادي مُحَسّر) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد السين المهملة وكسرها. قال بعضهم: هو واد من مزدلفة ومنى، وقال بعضهم ما صبّ منه في المزدلفة فهو منها وما صبّ منه في منى فهو منها. وصوّبَهُ بعضهم وقد جاء: مزدلفة كلّها موقف إلاّ بطن مُحَسّر، فيكون على هذا قد أطلق بطن مُحَسّر، والمراد منه ما خرج من مزدلفة. وإطلاق اسم الكلّ على البعض جائز مجازًا شائعا. وسُميّ بذلك لأنه يحسر سالكيه ويُتْعِبهم. وحَسَرْتُ الناقة أتعبْتُها. قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-: وتحريكه -ﷺ [١٣٥] الراحلة فيه يجوز أن يكون لسعة الموضع، وقيل: يجوز أن يكون فَعَله لأنه مأوى الشياطين، وقيل: لأنه كان موقفا للنصارى فاستحبّ ﷺ الإسراع فيه. وأهل مكة يسمّون هذا الوادي وادي النار، يُقال إنّ رجلا اصطاد فيه فنزلت نار فأحرقته، انتهى.

وعن الفضل بن عباس -رضي الله عنهما- وكان ردف رسول الله ﷺ حين دفعوا فقال(قال رسول الله ﷺ: عشية عرفة وغداة جمع حين دفعوا: عليكم بالسكينة، وهو كافّ ناقته حتى دخل مُحَسّرًا -وهو من منى- قال: عليكم بحصى الحذف الذي تُرمى به الجمرة). أخرجه الشيخان والنسائي. وزاد (والنبي ﷺ يُشير بيده كما يحدف الإنسان).

قال المحبّ الطبري: روى أبو حفص المُلاّ عن أبان بن صالح أنه أخذ حصى جمرة العقبة من المزدلفة ولعل أخْذ الحَصَى كان منها، والأمر به من وادي مُحَسّر لمن لم يأخذ من المزدلفة. أو يكون الراوي نسب مُحَسّرا إلى مزدلفة لأنه حدٌّ لها فأضافَ الأخْذ إليها. وعن أبي سعيد -رضي الله عنه- (قلنا: يا رسول الله هذه الجِمار التي تُرمى كلّ عام لَنَحْسِبُ أنها تنقص، قال: ما تُقبّل منها رُفع ولو لا ذلك لرأيتها مثل الجبال) [١٣٦] رواه الدارقطني. هو حديث حسن وأخرجه أبو ذر والواقدي. وأخرجه سعيد بن منصور موقوفًا على أبي سعيد (ولولا ذلك لرأيته أطول من ثبير).

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ: «أن رامي الجمار لا يدري أحدٌ ما له حتى يوفّاه يوم القيامة» رواه ابن حِبّان في حديث طويل. وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنه كان قاعدًا مع النبي ﷺ في مسجد الخيْف وأنّ رجلاً من الأنصار سأله ﷺ عن مخْرَجَه من بيته يؤم البيت الحرام وعن المشاعر؟ فأجابه ﷺ عن ذلك وقال (إنه يغفر له بكل حصاة رماها كبيرة من الكبائر الموبقات) رواه سعيد بن منصور.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال (سأل رجل النبي ﷺ عن رمي الجمار وماله فيه، فسمعتُه يقول: تجد ذلك عند ربك أحوج ما تكون إليه) رواه الطبراني. وعن أم المؤمنين عائشة زوج النبي ﷺ و -رضي الله عنها— أن النبي ﷺ

قال: (ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم. إنّها لتأتي يوم القيامة بقُرونِها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكانٍ قبْل أن يقع إلى الأرض فطِيبوا بها نفسًا) رواه الترمذي. وقال: حديث حسن وهذا لفظه [١٣٧] وابن ماجة وابن حبان، وقال البخاري: إنه مُرْسَل. ووصَلَه إمام الأئمة محمد بن خزيمة. قال المحبّ الطبري: والحديث عام في الهْدي والأضحية.

وعن زيد بن أرقم قال(قال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: سُنَّة نبيكم إبراهيم ﷺ قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال بكل شعرة حسنة، قالوا: فالصوف يا رسول الله؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة) رواه أحمد وابن ماجة والطبراني ورواه الحاكم والبيهقي وصحّحاهُ.

وعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - (أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة في الأضحية: أما إنها يُجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى تُوضَع في ميزانك) رواه أبو الشيخ. وعن عمران بن حُصَيْن -رضي الله عنه - (أن النبي ﷺ قال لفاطمة: قومي فاشْهدِي أضحيتكِ، فإنه يغفر لك بأول قطرة من دمها كل ذنب عملته، وقولي ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] فقال عمران بن حُصَيْن: يا رسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة أم للناس عامة؟ قال ﷺ بل للناس عامة) رواه الحاكم وصحّحه. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال [١٣٨] رسول الله ﷺ: (ما أنفقتَ الوَرِق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد) رواه الدارقطني.

وعن الأسود بن هلال قال: هاجرتُ على عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - فقدمتُ بإبلٍ لي فأقمتُها في السوق ثم دخلتُ المسجد فإذا عمر يخطُبَ

(١) القرآن: الأنعام ١٦٢ -١٦٣.

ويقول: اهْدُوا فإن الله يحب الهدْيَ. فخرجتُ وقد تعلّقَ بعنق كل بعير رجل فبِعْتُ فأصبْتُ سوقًا. أورده المحبّ الطبري في القِرى.

وعن أنس -رضي الله عنه - (أن رسول الله ﷺ كان يضحّي بكبشين أقْرَنيْن، ويسمّي ويكبّر. ولقد رأيتُه يذبح بيدِهِ واضعًا قدَمَهُ على صِفاحِها) رواه الأئمة الستة. وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه - قال ضحّى رسول الله ﷺ يوم عيد بكبشيْن فقال حين وجّهَهَا: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(1) ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(2) اللهم منك ولك عن محمّد وأمَّتِه) رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ وابن ماجة.

وعن أبي سلمة عن عائشة أو عن أبى هريرة -رضي الله عنهم - (أن رسول الله ﷺ كان إذا أرادَ أن يضحّى اشترى كبشيْن عظيميْن سَمينَيْن أقرَنين أمْلَحَيْن موجونين [١٣٩] فذبح أحدهما عن أُمَّتِه لمن يشهد له بالتوحيد وشهد له بالبلاغ، وذبح الآخر عن محمد وآل محمد ﷺ) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم والبيهقي.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال (أقام النبي ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحّي) رواه الترمذي وحسَّنَهُ. وعن جابر -رضي الله عنه - في حديثه الطويل (أنّ عليا -رضي الله عنه - قَدِمَ ببُدْنِ النبي ﷺ مائة من الإبل فلما رمى النبي ﷺ انصرف إلى المَنْحَر فنَحر ثلاثًا وستين بَدَنَة بيده وأعطى عليًّا -رضي الله عنه - فنحر ما غير وأشركه في هدْيه، ثم أمَر مِن كل بَدَنه ببضعة فجُعلتْ في قِدر فطُبِخت فأكلاَ مِن لحمها وشرِبَا مِن مَرَقِها) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

---

(١) القرآن: الأنعام ٧٩.

(٢) القرآن: الأنعام ١٦٢ -١٦٣.

وذكر ابن حزم أنّ هَديه كان هدْيَ تطوّع. قال المحبّ الطبري: لا أعرفُ له مُخالفًا، انتهى. أقول: ولهذا أكلَ منه النبي ﷺ لأنه لو كان واجبًا لم يأكل منه. والهدْيُ يصير واجبًا إما لنَذْرٍ وإما بالتعيين لفظًا كقوله جعلْتُه هَدْيًا أو هذا هديي أو أضْحِيتي.

وعن علي -رضي الله عنه - قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بُدْنِه وأن أتصدق بلحمها وجُلُودِها وأجلتها وأن لا أُعطي الجزار منها، قال: نحن نُعطِيه [١٤٠] من عندنا) رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ قال: (إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثمّ يوم القر، قال ثور: وهو اليوم الثاني، قال: وقَرَّب رسول الله ﷺ بَدناتٍ خمسٍ أو ستٍ فطفقْنَ يزدلْفن إليه بأيّتهنّ بيدأ، قال: فلما وجبتْ جُنوبها تكلم بكلمة خفيّةٍ لم أفهمْها فقلت: ما قال؟ قال: مَن شاء اقتطع) رواه أبو داود.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - أنه أتى على رجل قد أناخ بدَنَة ينحرها قال: أبعثها قيامًا مقيّدة، سنة محمد ﷺ. رواه البخاري ومسلم. وعن جابر -رضي الله عنه - قال (نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البَدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة) رواه مسلم. وعنه قال (نحر النبي ﷺ عن نسائه بَقَرة في حجته) رواه مسلم. وعنه قال (ذبح رسول الله ﷺ عن عائشة -رضي الله عنها - بقرة يوم النحر) رواه مسلم. وفي سنن أبي داود والمستدرك عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - أنه (كان يضحي بكبشيْن عن نفسه وكبشيْن عن النبي ﷺ وقال: إن رسول الله ﷺ أمره أن يضحّي عنه في كل سنة بكبشيْن فكان يضحّي عنه بهما أبدًا).

و ذكر الدميري في الديباجه أن الشيخ [١٤١] الإمام العلامة أبا العباس محمد بن إسحاق السرّاج النيسابوري كان يضحّي عن النبي ﷺ في كل سنة،

وختَم عن النبي ﷺ أكثر من عشرة آلاف ختمة وكان محدث عصره بخرا سان.

قال الإمام القفّال: وإذا جوّزْنا الأضحية للميت لا يجوز للمضحّي الأكل منها بل يجب أن يتصدق بجميعها لأن الأضحية وقعت عنه فلا يجوز الأكل منها إلاّ بإذنه وهو متعذرٌ فوجب التصدّق بها عنه.

وروى أبو عمرو بن عبد البر في الاستيعاب: أنّ حكيم بن حزام لما حجَّ في الإسلام أهدى مائة بدَنة قد جللها بالحبر، وكفّها عن أعجازها وأهدى ألف شاة، ووقف بمائة وصيف - أي خادم - بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها عُتَقاء الله عن حكيم بن حزام. وكان حكيم قد أعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير ثم أتى النبي ﷺ بعد أن أسلم فقال: يا رسول الله، أشياء كنتُ أفْعَلُها في الجاهلية أتحنَّثُ بها، أَلِيَ فيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ أسلمتَ على ما سلَف مِن خير. وعاش حكيم هذا مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة أو اثنتي عشرة سنة، وولد في الكعبة ولا يُعهَد أحدٌ وُلِدَ في الكعبة [١٤٢] غيره. وقيل: إن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - وُلِدَ فيها ولم يثْبتْ ذلك برواية مقبولة. وقال: وتأخر إسلام حكيم إلى عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية -رضي الله عنه - سنة أربع وخمسين، انتهى.

وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول لبنِيهِ: يا بَنيّ لا يهدي أحدُكم لله تعالى من البُدْنِ شيئا يستحي أن يهديه لكريمه، فإن الله أكرم الكرماء وأحقّ مَن اختيرَ له. رواه مالك.

وعن نافع أن ابن عمر -رضي الله عنهما - سار في ما بين مكة على ناقة بختية فقال لها: بخٍ بخٍ فأعجبتْه فنزل عنها وأشْعَرها وأهداها. أخرجه سعيد بن منصور. قوله: بخٍ بخٍ هي كلمة تُقَال عند المدح والرضى بالشيء وتُكَرَّر للمبالغة

ومعناه تعظيم الأمر وتفخيمه. والبختية الأنثى من الجِمال البخْت، والذكر بختي. أورد القصتين المحبّ الطبري في القِرى.

وفي البحر لابن حيّان عن عمر -رضي الله عنه- أنه أهدى بختية طلبت منه بثلاثمائة دينار، فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشترى بثمنها بُدْنًا فنهاه عن ذلك وقال: اهْدِها. وذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين عن صفوان بن محرز أنه اشترى بَدَنة بتسعة دنانير وليس عنده غيرها. قال سمعتُ الله تعالى يقول لكم فيها خير.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم اغفر للمحلّقين ثلاثا. قالوا: يا رسول والمقصّرين؟ قال: [١٤٣] اللهم اغفر للمحلّقين ثلاثا، قالوا: يا رسول الله والمقصّرين؟ قال: والمقصّرين) رواه الشيخان وابن ماجة.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال (رحم الله المحلّقين قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: والمقصّرين) رواه مسلم وابن ماجة. وعن مالك بن ربيعة السلولي -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (اللهم اغفر للمحلّقين اللّهم اغفر للمحلّقين اللّهم اغفر للمحلّقين. قال: يقول رجل مِن القوم: والمقصّرين؟ فقال رسول الله ﷺ في الثالثة أو الرابعة: والمقصّرين. ثم قال: وأنا يومئذ محلوق الرأس فما يسرّني بحلْق رأسي حُمْر النَّعَم) رواه أحمد.

قال الإمام العلامة المحبّ الطبري: وفي تكرار الدعاء للمحلّقين حثٌّ عليه وتأكيدٌ لندْبَتِه لأنه أبلغ في العبادة وأدلّ على صِدْق النيّة في التذلل لله، لأن المقصّر مبْقٍ لنفسِه من الزينة التي أراد الله تعالى من المستجيبين له بالحج الخروج عنها مظهرين الذلّة والخشوع. ثم جعَل للمقصّرين نصيبًا وهو الرابع أو الثالث لئلا يخيبَ أحدٌ من أمته من صالح الدعاء.

وقد زعم بعض العلماء أن تكرّر الدعاء للحالق لأجل أنه كان أمَرَهُم أن

يحلّوا في حجة الوداع فلم يحلّوا وتوقّفوا استثقالاً لمخالفة فعله وكان طواعيتهم له أولى، فلمّا عزم عليهم مالوا إلى التقصير لأنه أخفّ وأقرب إلى مَن لم يحلّ أو لأنهم لم يعتادوا الحلاق [١٤٤] فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخّرهم في الدعاء. وقد ذكر بعضُهم أن هذا القول كان بالحديبية حين أمرهم بالحلْقِ فلم يقمْ له أحدٌ. وكذلك أخرجه أبو ذرّ في منسكه قال أبو عمرو: هو المحفوظ ولا يبعد أن يكون النبي ﷺ قاله بالحديبية وهي حَجّة الوداع، انتهى.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال (قيل: يا رسول الله لم ظَاهَرْتَ للمحلّقين ثلاثا والمقصّرين واحدة؟ قال: إنهم لم يشكوا) رواه ابن ماجة. وروي (أن النبي ﷺ قال للأنصاري الذي سأله عن مشاعر الحج: إن لك بكل شعرة حلقتها حسنة ويُمحى عنك بها خطيئة. قيل: يا رسول الله فإن كانت الذنوب أقلّ من ذلك؟ قال: إذن يُدّخر لك ذلك) رواه سعيد بن منصور.

وعن النبي ﷺ أنه قال: (إنّ للحالق بكل شعرة سقطَتْ من رأسه نورًا يوم القيامة) رواه ابن حبّان في صحيحه في حديث طويل. وعن أحمد بن العباس البزّار قال: سمعتُ أبا سهل بن يونس الرجل الصالح يقول: رأيتُ في المنام كأنّ سفينة تجري على وجه الأرض، فقلتُ: سبحان الله، سفينة تجري على وجه الأرض! فقال قائل: فيها رسول الله ﷺ ، فقفزْتُ من موضعي وقلتُ: يا رسول الله، استغفر لي، فقال: أحَجَجْتَ؟ فقلت: نعم، فقال لي: حلقْتَ رأسك بمنى؟ قلتُ: نعم، قال: رأسٌ حُلِق [١٤٥] بمنى لا تمسه النار أبدًا) أخرجه ابن الحاج في منسكه. قال الإمام المحبّ الطبري: وفيه عموم يشمل من حلق مطلقا سواء قصّر قبله أو كان في غير نسك. والظاهر حمله على التحلّل بالحلْق حملاً على الأحاديث المتقدمة المقيّدة، ولأن ذلك بعد سؤاله عن حجه فدلّ على أنه يريد حلقه فيه لا أنه استأنف جملة لا تعلُّقَ لها بما تقدم، بل الكلام كله جملة واحدة مرتبط بعضه ببعض، انتهى.

ويُحكي أنه حجّ يزيد بن المهلب فطلب حلاقًا فجاء فحلق رأسه فأمر له بألف درهم فتحيَّر ودهِشَ وقال: هذا الألف لي؟ أمضي إلى أم فلانة أبشّرُها، فقال: اعطوه ألفًا آخر، قال: امرته طالق إن حلق رأس أحد، فقال: أعطوه ألفين آخرين. رواه ابن الجوزي.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - (أنّ رسول الله ﷺ حلق رأسه في حجة الوداع وأناسٌ من أصحابه وقصَّر بعضُهم) متّفق عليه. وعن أنس -رضي الله عنه - (أن النبي ﷺ أتى مِنَى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونَحَر نُسْكه ثم دعا بالحلاق وناول الحالق شقّه الأيمن فحلقهُ ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه. ثم ناول الشقّ الأيسر. فقال: احلق، فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمْهُ بين الناس) رواه البخاري ومسلم. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال قال لي معاوية: إني قصَّرتُ من رأس النبي ﷺ [١٤٦] ﷺ عند المروة بمشْقَصٍ) متفق عليه.

وعن علي وعائشة -رضي الله عنهما - قالا: (نهى رسول الله ﷺأن تحلق المرأة رأسها) رواه الترمذي. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس على النساء الحلق وإنما عليهن التقصير) رواه أبو داود والدارمي.

وعن جابر -رضي الله عنه - قال (رمَى رسول الله ﷺ الجمرة يوم النحْر ضُحًى وأما بعد ذلك فإذا زالت الشمس) متّفق عليه. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الاستجمار تُوٌّ ورمي الجمار تُوٌّ والسعي بين الصفا والمروة تُوٌّ والطواف تُوٌّ إذا استجْمرّ أحدُكم فليستجمر بتُوٍّ)[1] رواه مسلم. وعن عائشة -رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: (إنما جُعِل رمْي الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله) رواه الترمذي والدارمي.

(١) بالهامش تعليق توضيحي نصه: تُوٌّ أي وِترٌ.

وعن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس -رضي الله عنهما - رفعه قال (لما أتى خليل الله ﷺ المناسك عرض له إبليس عند الجمرة فرماه بسبع حُصَيّات حتى ساخَ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حُصَيّات حتى ساخَ في الأرض) قال ابن عباس -رضي الله عنهما - الشيطان ترجمون، وملة أبيكم تتّبعون. رواه البيهقي.

وعن نافع قال: إن ابن عمر -رضي الله عنهما - كان يقف عند الجمرتيْن الأُولَيين وقوفا طويلا [١٤٧] يكبر الله ويسبّحه ويحمده ويدعو الله ولا يقف عند جمرة العقبة، رواه مالك. وروى البخاري والنسائي وابن ماجة بمعناه وزاد: وذكر أن النبي ﷺ فعل مثل ذلك. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال (كان رسول الله ﷺ إذا رمى جمرة العقبة مضى ولم يقفْ) رواه ابن ماجة. وعن عائشة -رضي الله عنها - قالت: قلنا يا رسول الله ألا نَبْني لك بناءً يظلك بمنى؟ قال: لا، منى مناخُ مَنْ سَبَق.) رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي.

وإذ قد فرغْنَا من هذه الأحكام المذكورة أتْبَعْناها بفضائل يوم النحر ويوم القرّ وأيام العشر وفضل منى وفضل مسجد الخَيْف.

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال (أفْضَل الأيام عند الله -عزّ وجلّ - يوم النحر ثم يوم الفطر) رواه ابن الجوزي. وفي البحر العميق: يروى عن النبي ﷺ أنه قال (إنّ اليوم الذي غفر الله فيه لآدم أول يوم من ذي الحجة مَن صام ذلك اليوم غَفر الله له كل ذنب، واليوم الثاني الذي نجّى فيه يونس من بطن الحوت مَن صَام ذلك اليوم كان كمنْ عَبَد الله سنة لم يعْصِ الله في عِبادته طرْفَة عين، والثالث منه الذي استجاب الله فيه لزكريا من صام ذلك اليوم استجاب الله له كل دعوة، والرابع منه ولد فيه عيسى -عليه السلام - مَن صامه نُفِي عنه البؤس والفقر، والخامس [١٤٨] منه وُلِدَ فيه موسى -عليه السلام - مَن صام ذلك اليوم برئ

من النفاق وأمن من العذاب، والسادس منه فتح الله على نبيه خَيْبَر من صامه نظر الله إليه ومن نظر إليه لا يعذّبه أبدا، والسابع منه تخمدُ فيه جهنّم وتُغلق فلا يُفتَح فيها باب حتى تنقضي العشرة أيام، والثامن يوم الترويه مَن صام ذلك اليوم أُعْطِيَ من الأجر ما لا يعلمه إلاّ الله، والتاسع يوم عرفة وهو اليوم المشهود من صامه كتب الله له بصيامه سنتيْن سنة ماضية وسنة مستقبلة وكُتِب من القانتين، والعاشر يوم الأضحى مَن قرَّب قربانًا فأول قطرة تقطر من دمِه غفر الله له ذنوبه وذنوب عياله، ومن أطعم فيه مؤمنا بُعث يوم القيامة آمنا ويكون في ميزانه ثقل من جبل أحد) رواه سليمان بن داود السواري ثم السقسيني في بهجة الأنوار.

ويقال: مَن صام العشر أكرمه الله بعشرة: البركة في عمره والزيادة في ماله والحفظ في عياله والتكفير لسيئاتِه والتضعيف لحسناته في الميزان والنجاة من الدركات والصعود في الدرجات[1].

ومن فضائل أيام العشر أن الله أقسم بها لشرفها وفضلها عنده فقال ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[2] ومن فضلها أن الله -عزّ وجلّ - ذكَرَ هذه الأيام العشر في ثلاث مواضع في كتابه فقال ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾[3] وقال ﴿ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ [١٤٩] أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[4] وهي عشر ذي الحجة، وقال ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[5] وفي الأخبار عن رسول الله ﷺ: (مَن تصدَّق في أيام

(١) يلاحظ أن ما ورد في النص من إكرام الله سبعة لا عشرة كما صرح به سابقًا.

(٢) القرآن: الفجر ١ -٢.

(٣) القرآن: الأعراف ١٤٢.

(٤) القرآن: الحج ٢٨.

(٥) القرآن: الفجر ١ -٢.

العشر على مسكين فكأنما تصدّق على أنبياء الله ورُسُله، ومن عَادَ فيها مريضًا فكأنما شيّع جنائز الشهداء، ومن كسا فيها مؤمنًا كساه الله من حُلَلِ الجنّة، ومن حضر فيها مجلس عالمٍ فكأنما حضر بمجالس أنبياء الله ورسله).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه - قال (كنّا مع النبي ﷺ بتبوك قد طلعت الشمس يومًا بنورٍ وضياءٍ لم نرها طلعت مثل ذلك، فسأل النبي ﷺ جبريل فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي فبعث الله سبعين ألْفَ ملكٍ إلى جنازته، قال: ولِمَ ذلك؟ قال: كان إذا دخل عشر ذي الحجة يُكْثِر مِن قراءة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[1] وإن شئت أحملك حتى تصلّي عليه، قال: بلى فحمله على جناحِه وساحت الجبال في الأرض حتى صلّى عليه النبي ﷺ) ذكرهن سليمان بن داود السواري السقسيني.

وعن زيد بن الأسود -رضي الله عنه - قال (شهدتُ الصلاة مع النبي ﷺ في حجَّتِه فصلّيتُ معه صلاة الصبح في الخيف) رواه الترمذي والنسائي وابن حبّان في صحيحه.

وعن خالد بن مضرس أنه رأى أشياخًا من الأنصار يتحرَّوْن مُصَلّى النبي ﷺ أمام المنارة هي موضع مصلّى النبي ﷺ ولم يزل يرى الناس وأهل [١٥٠] العلم يُصلّون هنالك ويقال له مسجد العَيْشُومة، فيه عيشومة أبدًا خضراء في الجدْب والخصب بين حجرين من القبلة. وتلك العيشومة قديمة لم تزل ثَمَّ. رواه الأزرقي[2]. قال الطبري: العيشومة نبتٌ دقيق محدّد الأطراف كأنه الأسيل يُتّخذ منه الحُصَر الدِّقاق[3]. ويروى عن النبي ﷺ أنه قال (صلّى في مسجد الخيف

(١) القرآن: الإخلاص ١.

(٢) الأزرقي: أخبار مكه ٢: ١٧٤ -١٧٥.

(٣) وذكر ابن منظور في لسان العرب أنها شجرة فخمة الأصل لها عيدان كأنها سعف... مادة:ع ش م.

سبعون نبيا فيهم موسى). وفي معجم الطبراني الكبير عن النبي ﷺ (أن فيه قبر سبعين نبيًّا) صلوات الله وسلامه عليهم، قال أبو سعيد: ذكروا أن قبر آدم بقُرْب المنارة. قال المرجاني في بهجة النفوس: ويُروى أن قبر أربعمائة نبي ماتوا بالعمل بمسجد الخيف، انتهى.

وعن عطاء قال: سمعتُ أبا هريرة -رضي الله عنه - يقول: لو كنتُ من أهل مكة لأتيتُ مسجد منى كل سَبْتٍ، رواه الأزرقي. وعن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار منى إذ نزلتْ عليه والمرسلات. وإنه ليتلوها وأني لأتلقاها مِن فيه، وإن فاه لرطبٌ بها إذْ وثبت علينا حيّة فقال النبي ﷺ: (اقتلوها فابتدرناها فذهبتْ، فقال النبي ﷺ وُقِيَتْ شَرَّكم كما وُقيتُم شرَّها) متفق عليه واللفظ للبخاري.

وعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما - قال: صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا كلهم مخطمون [١٥١] باللّيف. أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة والأزرقي[(١)] وقال مروان يعني: رواحلهم. وعن أبي الفضل قال: سمعتُ ابن عباس -رضي الله عنهما - يقول بمنى ويقال له عجبًا لضِيقِه في غير الحج. فقال ابن عباس: إن منى يتسع بأهله كما يتّسع الرحم للولد. رواه الأزرقي[(٢)].

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه - قال (قلنا: يا رسول الله ﷺ إنّ أمر منى لعَجَب هي ضيّقة فإذا نزلها الناس اتّسعتْ. فقال رسول الله ﷺ: (إنما مثل منى كالرحم إذا حملتْ وَسّعها الله سبحانه وتعالى) أورده ابن جماعة في منسكه. وعن الكلبي أن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: إنما سُمّيتْ منى منى لأن جبريل

(١) الأزرقي: أخبار مكة ٢: ١٧٤.

(٢) الأزرقي: أخبار مكه ٢: ١٧٩.

-عليه السلام - حين أراد أن يفارق آدم -عليه السلام - قال له: تَمَنَّ، قال أتمنى الجنّة، فسَميتْ منى لأمنية آدم ﷺ رواه الأزرقي[1] وغيره.

قد آن أَوان أن ننتقل إلى بابٍ غيره مَنّ الله علينا من فضله وخيره، آمين.

(١) الأزرقي: أخبار مكه ٢: ١٨٠.

الباب الخامس

فضيلة الطواف بالبيت الحرام

الباب الخامس
في فضيلة الطواف بهذا البيت الحرام والسعي وفضائل الركن والمقام والحجر

أما الآيات فقد قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾(١). وقال تعالى ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(٣). وقال ﴿ وَٱتَّخِذُواْ [١٥٢] مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾(٤) وقال ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾(٥).

وأما الأحاديث فعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (استمتعوا من هذا البيت فإنه قد هُدِم مرتين ويُرْفَع في الثالثة) رواه الطبراني والحاكم وابن حِبّان. والاستمتاع يشمل النظر إليه والطواف به والصلاة فيه.

وعن ابن مسعود قال: أكثروا من زيارة هذا البيت قبل أن يُرفَع ويَنْسى الناس مكانه. وأكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يُرفَع، قالوا: هذه المصاحف تُرْفَع فكيف بما في صدور الرجال؟ قال: يُسرى عليها ليلاً فتُصبح صفراء وقفراء حتى تنسَوْا

(١) القرآن: الحج ٢٩.

(٢) القرآن: البقرة ١٢٥.

(٣) القرآن: آل عمران ٩٧.

(٤) القرآن: البقرة ١٢٥.

(٥) القرآن: البقرة ١٥٨.

لا إله إلاّ الله، فيقولون: قد كنَّا نقول قولاً ونتكلم به فيرجعون إلى أشعار الجاهلية، وكلامهم، رواه الأزرقي. فإن قيل: هدم البيت وقع كثيرا فإنه بنتْه الملائكة ثم بناه آدم ثم بناه بنو آدم، ثم بناه إبراهيم ثم بنتة العمالقة ثم بنتة جرهم ثم بناه قُصيّ وهو أول من سقفها. روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: أنّ أول من جدَّدَ الكعبة بعد كلاب بن مرّة قُصي، انتهى. ثم بنتْه قريش، وقد كان انهدَم في كل مرة -كما مرّ ذلك أوائل الكتاب - تلويحًا وتصريحا. فهذه سبع هَدْمات قبل النبي ﷺ وهُدِم بعد النبي ﷺ مرتيْن [١٥٣] إحداهما هدم ابن الزبير والثانية هدم الحجَّاج.

وقد أخبر الصادق المَصْدوق الأمين ﷺ بأنه هُدِم مرتين، وأنه يُرفَع في المرة الثالثة. وظاهره مُشكِل في أخبار الهدم وفي أخبار الرفع.

قلنا: الظاهر أن النبي ﷺ أراد بالهدميْن الهدميْن اللذيْن حصل عقبهما نسيان موضع الكعبة، بقرينة أن الهدم الثالث كذلك كما يُفسّره قول ابن مسعود السابق. وذانك الهدمان أحدهما لما ذهبت آثار البيت بعد بناء الملائكة إلى أنْ بناه آدم ﷺ فإنه لم يكن في الأرض للكعبة أثر فأتاه جبريل فخطّ له فألقت الملائكة في أُسِّها الصخار إلى أن أشرف على وجه الأرض. وثانيهما لما ذهبت آثار البيت بعد الطوفان إلى زمن إبراهيم ﷺ لما مرّ أنه كان لا يُعرف مكان البيت بعد الطوفان قبل بناء إبراهيم. ومرّت الرواية عن علي -رضي الله عنه - أن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام - لما أُمِر بذلك ضاقَ ذرعًا فأرسل الله إليه السكينة... الحديث. فهما الهدمان المعتبران اللّذان ذهب بهما أثر البيت بالكلّية، بخلاف بقية الهدامات فإنها كانت مع علم مكانها عقب الهدم وإعادة بنائها عقِبَه فنزل منزلة عدم الهدم. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ويظهر أيضا جوابان لهما قرب بظاهر العبارة ولكن بارتكاب مجازٍ شائعٍ في

الكلام، الأول ارتكاب [١٥٤] المجاز في قوله ﷺ هدم وذلك أن من الشائع أنه إنما يعبر عن المستقبل بلفظِ الماضي تنبيها على تحقّق وُقوعه نحو قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[١] وقوله تعالى ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[٢] فيحتمل أن النبي ﷺ أخبر بتحقيق وقوع الهدميْن بعده وهما هدم ابن الزبير -رضي الله عنهما- وهدم الحجاج -عليه من الله ما يستحقّ- وأنه يُرفَع في الثالثة وهي هدم الحبشة -والله أعلم-.

والجواب الثاني ارتكاب المجاز في قوله ﷺ مرتين يحتمل أن يكون بمنزلة قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[٣] قال المفسرون: المراد بالتثنية هنا التكرار بكثرة كقولهم لبيْك وسعديْك يريدون بها إجابات كثيرة بعضها أثر بعض. وحينئذ فقوله ﷺ في الثالثة معناه في الآخرة. وعبَّر بالثالثة لمناسبة المرتين من جهة تعانق الأعداد ونظْمها، والله أعلم.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يُنْزِل على أهل المسجد -مسجد مكة- في كلّ يوم وليلة عشرين ومائة رحمة، ستون منها للطائفين وأربعون منها للعاكفين حول البيت وعشرون منها للناظرين للبيت) رواه الطبراني في الكبير والحاكم في الكنى وابن عساكر، ورواه [١٥٥] الحسن البصري في رسالته بلفظ:(إنّ لله تعالى مائة وعشرين رحمة لهذا البيت يُنزِلها كل يوم، فستُّون منها للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين إليه) ورواه البيهقي في الشُّعَب بلفظ (ينزل الله كل يوم مائة رحمة وعشرين رحمة، منها على الطائفين ستون، وأربعون على المصلين، وعشرون على الناظرين).

(١) القرآن: النمل ٨٧.

(٢) القرآن: النحل ١.

(٣) القرآن: الملك ٤.

وعنه -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنـزِل الله تعالى كل يوم مائة رحمة؛ ستين منها للطائفين، وعشرين على أهل مكة وعشرين على سائر الناس) رواه البيهقي في الشُّعَب. ولا تَخَالُف بين هذه الروايات لأنه يحتمل أنه ﷺ أراد بالعاكفين المصلّين.

وأما حديث المائة ففيه إثبات عشرين رحمة لأهل مكة وعشرين لسائر الناس وهو لا يُنَافي الحديثيْن الآخريْن إذ فيه إثبات ستين للطائفين وليس فيه تعرّض لعاكفٍ ولا مصلٍّ ولا ناظرٍ. ويحتمل أن للعاكف أربعين وللمصلين أربعين، ويكون كل حديث على ظاهره. ولا يلزم من عدم التعرّض لذكره في الحديث الآخر أنه ليس له شيء، وليس في الحديث صيغة حصر فتكون الرحمات النازلة مائة وستين، مائة وأربعون منها لأهل مكة، وعشرون منها لسائر الناس. والله أعلم.

قال [١٥٦] الشيخ محبّ الدين الطبري في القِرَى لفضائل أم القُرى: يحتمل في تأويل القسم بيْن كلّ فريق وجهان، الأول قِسْمَة الرحمات بينهم على المسمى بالسوية لا على العمل بالنظر إلى قلّته وكثرته وصِفَتِه، وما زاد على المسمى فله ثوابٌ من غير هذا الوجه.

ونظير هذا في الكلام: اعْطِ الداخلين بيتي مائة دينار فدخلِ واحد مرة وآخر مرارًا فلا خلاف في تَسَاوِيهما في القسمة. الوجه الثاني -وهو الأظْهَر - قِسمتُها بينهم على قدر العمل، لأن الحديث ورد في سياق الحثّ والتحضيض. وما هذا سبيله لا يستوي فيه الآتي بالأقل والأكثر. ونظيره أن يقْتطع إنسان قطعةً من ماله على وجه التبرك ويعيّنُها لطلبة العلم ثم يفاضل بينهم في العطاء بحسب طلبهم فإن ذلك مُسْتحسَنٌ ولا يُعَدُّ فعله مخالفًا لمقتضى لفظه. ولو كان مقتضى لفظه الاستحقاق على التساوي لما استحسن بل لِيمَ عليه بل نقول لو سوّى بينهم مع تفاوُت الطلب توجه لَوْمُه وليس ذلك كدخول الدار إذ لا مناسبة

فيه تقتضي التفاوت بين المُقِلّ والمكْثِر بل هو مجرّد وصف علّق عليه حكم، فاستوى الموصوفون به في ما رُتّب عليه. بخلاف ما نحن فيه فإن فيه مناسبة تقتضي التفضيل بين المقلّ والمكْثر. فإنه ورد في معرض الحثّ على هذه العبادة العظيم شأنُها والتكثير منها فكان إطلاقها بما ذكرناه أنفًا عن التنظير أولى من التنظير بدخول الدار. لأن إلحاق العبادات بعضها ببعض أولى من إلحاق عبادة [١٥٧] بما ليس بعبادة بالأصالة. إذا تقرّر ذلك فنقول الرحمات متنوّعة بعضها أعلى من بعض، فرحمة يُعبَّر عنها بالمغفرة وأخرى عن العصمة وأخرى عن الرضى وأخرى عن القُرْبِ من الله تعالى وأخرى عن تبوُّئه مقعد صدقٍ وأخرى عن النجاة من النار. هكذا إلى ما لا نهاية له، إذ لا معنى للرحمة إلاّ العطف فتارة يكون باكتساب نعمة وتارة بدفْع نِقْمة وكلاهما يتنوعان إلى ما لا نهاية له. ومع هذا التنويع كيف يفرض التساوي بين المقلّ والمكثر والمخلص وغير المخلص والحاضر قلبه والساهي والخاشع وغير الخاشع بل ينال كلٌّ من رحمات الله بقدر عمله وما يناسبه من الأنواع. هذا هو الظاهر.

ثم نقول: يحتمل أن يحصل لكل طائف ستون رحمة ويكون ذلك العدد بحسب عمله على ترتيب أعلى الرحمات وأوسطها وأدناها. ويحتمل أن جميع الستين بين الطائفين كلهم والأربعين بين المصلين والعشرين بين الناظرين، وتكون القسمة بينهم على حسب أعمالهم في العدد والوصف حتى يشترك الجمّ الغفير في رحمة واحدة من تلك الرحمات ويتفرّد الواحد برحمات كثيرة.

إذا تقرّر ذلك فالتفصيل في الرحمات بين المتعبّدين بأنواع العبادات الثلاث أو دليل على أفضلية الطواف على الصلاة على النظر إذا تساوَوْا في الوصف. هذا [١٥٨] هو المتبادر إلى الفهم عند سماع ذلك فيخصّ به، وربما ورد من الأحاديث في فضل الصلاة عموم قوله ﷺ: (واعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة) وقوله (الصلاة

خير) موضوع. أو نقول: الطواف نوع من الصلاة بشهادة ما في الأحاديث الآتية فيكون داخلا في عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن. ولا يُنكَر أنّ بعض الصلاة أفضل من بعض، لا يُقال: ورد الطواف بالبيت مثل الصلاة والمشبه بالشيءِ دُونَه في الرتبة. لأنّا نقول: ماهياتُ الصلاة متغايرة والاسم حقيقة في الكل وأعمّها ذات الركوع والسجود، وصلاة الجنازة صلاة وليس فيها ركوع ولا سجود، والطواف صلاة على ما يأتي في نِسْبتها في الشروط. وسُمّي طوافًا لوجود حقيقة الطواف فيه لغةً وعرفا وهو الدوران حول المطاف به ثم غلب هذا الاسم نظرًا إلى الحقيقة اللغوية العرفية. واسم الصلاة ثابتٌ له حقيقة شرعية لكن لمّا اختلف حكمه وحكم ذات الركوع والسجود في ما اشترط منه نُبّهَ على ذلك فقيل: الطواف بالبيت، وإن كان صلاة فهو مثل الصلاة ذات الركوع والسجود في الشروط والأحكام إلاّ ما استثنيَ في الحديث بالقول والفعل كشُربه ﷺ على ما يأتي.

وصلاة الجنازة لمّا لم يَخْتَلِف الشرط فيها لم يُحتَجْ إلى استثناء، ومع ذلك فاسم [١٥٩] الصلاة يشتمل الكلّ حقيقة شرعية. ووجْه تفضيل هذا النوع من الصلاة - وهو الطواف - على غيره من الأنواع ثبوت الأخصّية له لمتعلّق الثلاثة وهو البيت الحرام ولا خفاء بذلك، ولذلك بُدئ به في الذكر هنا وفي قوله ﴿ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾[1] في الآيتين. ولما كانت الصلاة على تنوّعها ولم تشرع إلاّ عبادة، والنظر قد يكون عبادة إذا قُصِد به التعبّد وقد لا يكون وذلك إذا لم يقترن به قُصْد التعبّد تأخّر في الرتبة.

وقولنا: إذا تساووا في الوصف يُحترَز مما إذا اختلف وصْف المتعبّدين وكان الطائف ساهيًا غافلاً والمصلّي والناظر خاشعا حاضرًا يعبد الله كأنه يراه أو كأنّ

(١) القرآن: الحج ٢٦.

الله يراه كان المتّصف بذلك أفْضَل من غير المتّصِف به، إذ ذلك الوصف لا يَعْدلُه عمل جارحةٍ خاليًا عنه وهو المشار إليه -والله أعلم - في قوله تعالى ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[1] وسُئل رسول الله ﷺ عن الإحسان فقال (أن تَعبُد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك).

وكثير من العلماء ذهبوا في توجيه اختلاف القسم بين الطائفين والمصلين والناظرين أن الرحمات المائة والعشرين قُسِمتْ ستة أجزاء فجعل جزءًا للناظرين وجزءًا للمصلين لأنّ المصلي ناظر في الغالب. وجزء للنظر وجزء للصلاة وجزء للطائف لما اشتمل على المعاني الثلاثة كان له ثلاثة [١٦٠] أجزاء جزء للنظر وجزء للطواف. وهذا القائل لا يُثبت للطواف أفضلية على الصلاة وإنما نقول كثرة الرحمات له بسبب اشتماله على الصلاة، وما ذكرناه أولى.

وفي ما ذكره نظر فإنّ الطائف الأعمى وكذلك المصلي ينالهما ما ثبت للطائف والمصلي وإن لم ينظرا، وكذلك المتعمّد ترك النظر فيهما لا ينتقص قسمه بسبب ذلك. ودلَّ ذلك على أن المراد صلاة غير ركعتي الطواف، فإن ركعتي الطواف منسوبة إليه إما وجوبا أو ندبا فهي منه. وأما النظر في الطواف فإن لم يقترن بقصد التعبّد فلا أثر له وإن قصد به التعبّد فالظاهر أنه ينال به أجر الناظر زائدًا على أجر الطواف، والله أعلم. انتهى كلام المحبّ الطبري، وسيأتي لهذه الأحكام بقية.

روى الحسن البصري في رسالته أن النبي ﷺ قال (إن لله -عزّ وجلّ - لوحًا من ياقوتة حمراء ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، ثمانون ومائة نظرة رحمة وثمانون ومائة نظرة عذاب، وإن أول من ينظر الله إليه بالرحمة أهل مكة فمن رآه قائما يصلّي غفر له، ومن رآه طائفا غفر له، ومن رآه جالسا مستقبل

---

(١) القرآن: الكهف ٣٠.

الكعبة غفر له، فتقول الملائكة -وهو أعلم بذلك -: ربنا لم يبْقَ إلاّ النائمون فيقول تبارك وتعالى: النائمون حول بيتي ألحقوهم بهم).

وعن النبي ﷺ أنه قال (أكثروا من الطواف بالبيت [١٦١] فإنه أقل شيء تجدونه في صُحُفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه) رواه ابن الجوزي. قال: وحكى بعض العلماء أن الله -عز وجل - ينظر كل ليلة إلى أهل الأرض، وأول من ينظر إليه أهل الحرم، وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام، فمن رآه طائفا غفر له، ومن رآه مصليا غفر له، ومن رآه نائما مستقبل الكعبة غفر له. وأنه لا تغرب شمس يوم إلاّ ويطوف بالبيت رجل من الأبدال ولا يطلع فجرّ ليلة إلاّ طاف به واحد من الأوتاد، فإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه. قال المولى الكازروني: وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد، انتهى.

قال ابن الجوزي: وذلك أن الكفر يعود مستوليا على ذلك المكان فينقُضون البيت. كما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال (يخرب الكعبة ذو السويقتيْن من الحبشة) أخْرجاه في الصحيحين، انتهى.

وعن علي -رضي الله عنه - قال: استكثروا الطواف بالبيت قبل أن يُحال بينكم وبينه، فكأني أنظر إلى رجل من الحبشة أصمع أصلع خمش الساقين جالسا عليه وهو يهدم. أخرجه سعيد بن منصور. والأصمع الصغير الأذن من الناس والأصلع الذي انحسر الشعر عن رأسه، وخمش الساقين أي دقيقهما. وعن شيخٍ من بني شيبة قال: حدثتني [١٦٢] جدّتي قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أشرف الأعمال عند الله طواف أسبوع بهذا البيت وصلاة ركعتين). وعن الحجاج ابن أبي رقيه قال: كنتُ أطوف بالبيت فإذا أنا بابن عمر -رضي الله عنهما - فقال: يا ابن أبي رقية استكثروا من الطواف فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من طاف بهذا البيت حتى توجعه قدماه كان حقا على الله أن يريحهما في الجنة)

رواهما الفاكهي. وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه - قال: من طاف بهذا البيت لا يتكلم فيه إلاّ تهليلا أو تكبيرا كان عدل رقبة. رواه البيهقي.

وعن عائشة -رضي الله عنها - أنها سألت رسول الله ﷺ عن رجل حج وأكثر أيجعل نفقته في صلة أو عتق؟ فقال النبي ﷺ: (طواف سبع لا لغو فيه يعدل رقبة) رواه عبد الرزاق وأبو يعلى ورواه الطبراني برجال ثقاة بلفظ (من طاف بالبيت أسبوعا لا يلغو فيه كان كعدل رقبة). وعن محمد بن المنكدر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (من طاف حول هذا البيت أسبوعا لا يلغو فيه كان كعتق رقبة يعتقها) رواه البيهقي.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من طاف بالبيت سبعا يحصيه كتبت له بكل خطوة حسنة ومُحِيتْ عنه سيئة ورُفعت له به درجة وكان له عدل رقبة) رواه البيهقي ورواه مالك وأحمد والطبراني ولفظهم (وكفّرت [١٦٣] عنه سيئة ورفعت له درجة وكان كعتق رقبة).ورواه الترمذي -وحسّنهُ - والنسائي والحاكم ولكن روايتهم (من طاف بهذا البيت اسبوعًا فأحصاه كان كعتق رقبة[1] لا يضع قدما ولا يرفع أخرى إلاّ حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة). وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من طاف سبعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة) رواه البيهقي، ورواه ابن ماجة بلفظ (من طاف بالبيت وصلّى ركعتين كان كعتق رقبة). ورواه الترمذي وزاد فيه (أو أحصاه دخل الجنة) وقال: حديث حسن. وفي الإحياء: أن النبي ﷺ قال: (من طاف أسبوعا حافيا حاسرًا كان له كعتق رقبة ومن طاف في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (من طاف

(١) سطران سقطا من أ وثبتا في ب.

بالبيت سبعًا وأحصاه وركع ركعتين كان كعدل رقبة نفيسة من الرقاب» أخرجه أبو الشيخ في الثواب. وعن مولًى لأبي سعيد الخدري قال: رأيتُ أبا سعيد يطوف بالبيت وهو متكئ على غلام يقال له طهمان وهو يقول: والله لأن أطوف بهذا البيت أسبوعا لا أقول فيه هجرًا وأصلي ركعتين أحب إليّ من أن أعتق طهمان وضرب بيديه على منكبيه، رواه الأزرقي وسعيد بن منصور.

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه -رضي الله عنهما- أن ابن عمر كان يزاحِم على الركنيْن فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنك تزاحم على الركنين زحامًا ما رأيتُ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يزاحم عليهما، قال: إن أفعل فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إن مسّهما كفارة للخطايا) وسمعتُه يقول (لا يضع قدما ولا يرفع أخرى إلاّ حط الله بها خطيئة وكتب له بها حسنة) رواه الحاكم [١٦٤] والترمذي.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الركن فاستلمه خاض في الرحمة فإذا استلمه قال: بسم الله والله أكبر أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده رسوله غمرتْه الرحمة، فإذا طاف بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة وحط عنه سبعين ألف خطيئة ورفع له سبعين ألف درجة وشُفِّع في سبعين من أهل بيته، فإذا أتى مقام إبراهيم فصلَى عنده ركعتين إيمانا واحتسابا كتب الله له عتق أربعة محررة من ولد إسماعيل وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب وغيره وله حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ إذ مثل ذلك لا يقال من قِبَل الرأي.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض في الرحمة، فإذا دخله غمرته ثم لا يرفع قدمًا

ولا يضَع قدما إلاّ كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة) أو قال (ورُفعت له خمسمائة درجة، فإذا فرغ من طوافه فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وكتب له أجر عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل واستقبله مَلَك على الركن فقال له: استأنف العمل في ما بقي فقد كُفيتَ ما مضى، وشُفّع في سبعين [١٦٥] من أهل بيته) رواه الأزرقي والفاكهي.

وعنه عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص قال: من توضأ فاسبغ الوضوء ثم أتى الركن يستلمه خاض في الرحمة، فإن استلمه فقال: بسم الله والله أكبر أشهد أن لا إله إلاّ الله لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله غمرتْه الرحمة، فإذا طاف بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنه وشُفّع في سبعين من أهل بيته، فإذا أتى مقام إبراهيم فصلى عنده ركعتين إيمانا واحتسابا كتب الله له كعتق أربعة عشر محررًا من ولد إسماعيل وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه. رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب، ورواه الأزرقي وزاد فيه في رواية: وأتاه ملك فقال: اعمل لما بقي فقد كُفيتَ ما مضى، ورواه ابن الجوزي وسعيد بن منصور.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: إذا توضأ الرجل فأحسن وضوءه ثم خرج إلى المسجد فاستلم وكبر وتشهد وصلى على النبي ﷺ واستغفر الله تعالى للمؤمنين والمؤمنات وذكر الله تعالى ولم يذكر من أمور الدنيا شيئا كتب الله له بكل خطوة يخطوها سبعين ألف حسنة وحطّ عنه سبعين ألف سيئة، فإذا انتهى إلى ما بين الركنين - الركن الأسود واليماني كان في خراف الجنّة وشُفّع في أهل بيته أو في سبعين من أهل بيته -الشك من بعض الرواة - فإذا ركع ركعتين فأحسن [١٦٦] ركوعه وسجوده كتب الله له عِدْل سبعين رقبة كلهم من ولد إسماعيل -عليه السلام- رواه الفاكهي.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (من طاف بهذا البيت أسبوعا وصلى خلف المقام ركعتين فهو عدل محرّر) أخرجه الطبراني في الكبير وابن الجوزي. وعن أنس -رضي الله عنه - (أنّ رسول الله ﷺ جعل في الركعتين بعد الطواف ثواب عتق رقبة) أورده ابن جماعة.

وعن النبي ﷺ أنه قال: (من صلّى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحُشر يوم القيامة من الآمنين) أورده القاضي عياض في الشفاء. وعن عطاء الخراساني (أن رجلا من الأنصار سأل رسول الله ﷺ عن ثواب الحج وما له فيه؟ فقال له رسول الله ﷺ: بكل خطوة يخطوها حول البيت وبين الصفا والمروة درج ترفع وحسنة تكتب وسيئة تكفّر، فإذا صلّيتَ ركعتين عند مقام إبراهيم فعدل رقبة مؤمنة تعتقها وملك يضرب بين كتفيك يقول كُفِيتَ ما مضى، اعمل لما بقي) رواه ابن الجوزي.

وعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - قال: (كنتُ طائفا مع النبي ﷺ ببيت الله الحرام فقلت: فداك أمي وأبي ما هذا البيت؟ فقال لي: يا علي أسّس الله سبحانه وتعالى هذا البيت في دار الدنيا كفارة لذنوب أمتي. فقلت: فداك أبي وأمي ما هذا [١٦٧] الحجر الأسود؟ قال: تلك جوهرة كانت في الجنة أهبطها الله إلى الدنيا لها شعاع كشعاع الشمس فاشتدّ سوادها وتغيّر لونها لمّا مسَّتْه أيدي المشركين) رواه الفقيه أبو الليث السمرقندي في كتاب تنبيه الغافلين.

وعن عمر -رضي الله عنه - قال: مَن أتى هذا البيت لا يريد إلاّ إياه فطاف طوافًا كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه، رواه سعيد بن منصور. وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (من طاف بالبيت سبعًا وصلّى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غُفِرتْ له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت) أخرجه أبو سعيد الجندي والإمام الواحدي مسندا في تفسيره الوسيط. وعنه قال:

قال رسول الله ﷺ: (من طاف بالبيت سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم أخرجه الله من ذنوبه كيوم ولدته أمه) رواه الديلمي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح. قال: وسألتُ عنه البخاري فقال: إنما يروى عن ابن عباس موقوفا.

قال المحب الطبري: والمراد -والله أعلم- خمسون أسبوعا، يدل له ما روي عن سعيد بن جبير (من حج البيت فطاف خمسين أسبوعا قبل أن يرجع كان كما ولدته [١٦٨] أمه) أخرجه سعيد بن منصور. وكذلك روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ومثل هذا لا يكون إلاّ توقيفًا، أي له حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ. قال: وقد جاء الحديث من طريق آخر: خمسين أسبوعا مكان مرة، ثم ذكر بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (من طاف بالبيت خمسين أسبوعًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) قال: وقد أخرجه عبد الرزاق وهذا مفسر للحديث الأول وبيان لإرادة الأسبوع بالمرة فيكون ردًا لقول من قال: المراد بالمرة الشوط. قال أهل العلم: وليس المراد أن يأتي بها متوالية في آنٍ واحد وإنما المراد أن يوجد في صحيفة حسناته ولو عمره كله، انتهى كلامه وهذا الذي نقله عن أهل العلم هو مفهوم من ظاهر الحديث المروي، لكن حديث سعيد بن جبير يفيد لزوم المقاربة بينها لأن فيه تحديد الوقت بقوله قبل أن يرجع، ومعلوم أن مدة مكث الحاج قليل فيقاس غير الأفاقي على نحو تلك المدة وتَخَصَّص بذلك الحديث.

وعن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب -رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله ﷺ: (طَوافانِ لا يوافقهما عبد مسلم إلاّ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه يغفر له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت: طواف بعد صلاة الفجر فراغه مع طلوع الشمس،

وطواف بعد صلاة العصر [١٦٩] فراغه مع غروب الشمس) أخرجه الأزرقي[١] وأبو سعيد المفضل بن محمد الجَنَدي ورواه الفاكهي وزاد (فقال رجل: يا رسول الله إن كان قبله أو بعده. قال: يلتحق به) وفي رواية له (أنّ رجلا قال: يا رسول الله فلِمَ تستجيب بهاتين الساعتين؟ قال: إنهما ساعتان لا تعدوهما الملائكة)[٢].

قال المحبّ الطبري: يحتمل أن يريد بالبعدية ما قبل الطلوع والغروب ولو بزمانٍ يَسَعُ أسبوعًا ويحتمل أن يريد استيعاب الزمنين ولعله الأظهر وإلاّ لقال: طواف قبل الطلوع وقبل الغروب، انتهى. وفي زيادة الفاكهي إشارة إلى عدم التحديد بل المراد التقريب بزمن الطلوع والغروب.

وعن داود بن عجلان قال: طفْتُ مع أبي عقال في مطر فلما فرغنا من طوافنا قال إئتَنِفُوا العمل فإني طفتُ مع أنس بن مالك في مطر فلما فرغنا من طوافنا قال إئتَنِفُوا العمل فإنى طفت مع رسول الله ﷺ في مطر فلما فرغنا من طوافنا قال رسول الله ﷺ: (إئتَنِفُوا العمل فقد غفر لكم) أخرجه أبو ذر وأخرجه ابن ماجة بلفظ: طفنا مع أبي عقال في مطر فلما قضينا طوافنا أتينا خلف المقام فقال: طفتُ مع أنس بن مالك -رضي الله عنه- في مطر فلما قضينا الطواف أتينا خلف المقام فصلينا ركعتين، فقال أنس -رضي الله عنه- (إئتَنِفُوا العمل فقد غفر لكم) هكذا قال لنا رسول الله ﷺ [١٧٠] وقد طفنا معه في مطر. وأخرجه البيهقي في الشُّعَب بلفظ: طفتُ مع أنس والحسن بن أبي الحسن في مطر فقال لنا أنس: استأنفوا العمل فقد غُفِر لكم، طفتُ مع نبيكم ﷺ في مثل هذا اليوم فقال (استأنفوا العمل فقد غُفِر لكم) وأخرجه أبو سعيد الجندي وأبو الوليد الأزرقي بزيادة.

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة ٢: ٢٢.

(٢) الفاكهي: أخبار مكة ١: ٢٥٣ -٢٥٤.

ولفظه طفنا مع أبي عقال في مطر ونحن رجال فلما فرغنا من سبعنا أتينا نحو المقام فوقف أبو عقال دون المقام فقال: ألا أحدثكم بحديث تسرّون به أو تعجبون به؟ قلنا: بلى، قال: طفتُ مع أنس بن مالك والحسن وغيرهما في مطر فلمّا صلينا خلف المقام ركعتين أقبل علينا أنس بوجهه فقال لنا: استأنفوا العمل فقد غُفِر لكم ما مضى، هكذا قال لنا رسول الله ﷺ وطفنا معه في مطر. وأبو عقال مولى لأنس بن مالك -رضي الله عنه- اسمه هلال بن زيد. وأخرجه ابن عساكر وتمام والشيرازي في الألقاب.

وعن الطراح قال: سمعتُ الحسن بن علي -رضي الله عنهما- يقول كنا مع النبي ﷺ في الطواف فأصابتنا السماء -يعني المطر- فقال رسول الله ﷺ: (استأنفوا العمل فقد غفر لكم ما مضى). وعن النبي ﷺ أنه قال: «مّن طاف بالكعبة في يوم مطر كتب الله له بكل قطرة تصيبه حسنة ونُحّي عنه بالأخرى سيئة» أورده ابن [١٧١] جماعة.

قال الدميري في الديباجة في شرح ابن ماجة: وخطر لي في فضل الطواف في المطر أن الرحمة تنزل عند نزول المطر وتجتمع للطائف تلك الرحمة مع الرحمات التي تنزل كل يوم له فمِن ثَمَّ حصل له بذلك غفران الذنوب ونيل المطلوب، ولم يزل أهل الخير يقصدون الطواف عند نزول المطر ويسمون المطر مطر الرحمة، انتهى. قلت: وأولى ما استنبطتُه من الأحاديث وذلك أنه ينزل مع كل قطرة ملك من الملائكة. وورد أن الله ما بعث ملكا في حاجة إلى الأرض إلاّ انقضّ مُحرما فيطوف بالبيت كما مرّ.

وورد أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن استحباب الطواف في الساعتين اللتين إحداهما بعد الفجر إلى طلوع الشمس وثانيهما بعد العصر إلى غروب الشمس[١]

---

(١) جملة سقطت من ب.

فقال: إنهما ساعتان لا تعدوهما الملائكة أي لا تُجاوِزُهما إلاّ بالطواف، وجعل النبي ﷺ ثواب ذَيْنك الطوافين غفران الذنوب بالغة ما بلغتْ وذلك -والله أعلم- لما عُلِم من الأحاديث أن موافقة الملَك تكون سببا لغفران الذنوب. كما ورد مَنْ وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِر له، وأيضا من يُقمْ ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له. قال الله تعالى ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾(١) ويدلّ على ذلك الحديث المروي (مَنْ أكل مع مغفور [١٧٢] غُفِر له، ومن جلس مع مغفور غُفِر له) فعلم أن موافقة المغفور توجب الغفران. إذا تقرر ذلك فالمطر ينزل مترتبا، فبين نزول كل قطرة يطوف قبله مَلَك ويحصل للطائف موافقة لهم فيغفر له ذنبه. وأما حصول الثواب معه أيضا فلنزول الرحمة مع المطر أيضا، كما مرّ عن الدميري، والله أعلم بالصواب.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: (من طاف حول البيت سبعا في يوم صائف شديد حرّه حاسرا عن رأسه وقارب بين خطاه وقلّ خطؤه وغضّ بصره وقلّ كلامه إلاّ بذكر الله -عزّ وجلّ- واستلم الحجر في كل طواف من غير أن يؤذي أحدًا. كتب الله تعالى له بكل قدَم يرفعها ويضعها سبعين ألف حسنة ونَحَّي عنه سبعين ألف سيئة وتُرفع له سبعون ألف درجه، ويَعْتَق عنه سبعين ألف رقبة ثمنُ كل رقبة عشرة آلاف درهم، ويعطيه الله سبعين ألف شفاعة في أهل بيته من المسلمين وإن شاء في العامة، وإن شاء عجلتُ له في الدنيا وإن شاء أخَّرتُ له في الآخرة) أخرجه أبو سعيد الجندي وذكره ابن الحاج في منسكه أخصر من هذا، ولفظه: أن رسول الله ﷺ قال: (من طاف بالبيت أسبوعا في يوم صائفٍ شديد الحر واستلم الحجر في كل طواف من غير أن يؤذي أحدًا وقلّ كلامه إلاّ بذكر الله تعالى، كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون [١٧٣] ألف حَسَنة،

(١) القرآن: القدر ٣-٤.

ومُحِي عنه بكل خطوة يرفعها ويضعها سبعون ألف سيئة، ورفع له سبعون ألف درجة) وأخرجه الحسن البصري في رسالته كذلك وزاد بعد قوله (في يوم صائف شديد الحر) (حاسرًا عن رأسه واستلم الحجر) ثم ذكر باقيه.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (من طاف بالبيت أسبوعا لا يضع قدما ولا يرفع الأخرى إلاّ حطّ الله تعالى عنه بها خطية وكتب له بها حسنة ورفع له بها درجة) رواه ابن حبان وهو حديث صحيح. وعنه أنه طاف وصلى ركعتين فقال (هاتان تكفّران ما أمامهما) أوْرَده ابن جماعة.

وعن عائشة -رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى يباهي بالطائفين ملائكته) رواه الحسن البصري في رسالته، وأخرجه أبو ذر وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن أكرم الملائكة عند الله الذين يطوفون بالعرش، وإن أكرم بني آدم الذين يطوفون حول بيته، ومن نظر إلى البيت نظرة ثَمّ كان عليه خطايا مثل زَبَد البحر غفرها الله تعالى له كلها).

وقال ﷺ: «لو أنّ الملائكة صافحتْ أحدًا لصافحتُ الغازي في سبيل الله والبار لوالديْه والطائف حول البيت الحرام»[1] وقال ﷺ: (الكعبة محفوفة بسبعين ألفا من الملائكة يستغفرون لمن طاف ويصلون عليه) رواهما الحسن البصري في رسالته.

وعن جابر -رضي الله عنه - قال: قال رسول [١٧٤] الله ﷺ: (إنما جُعِل الطواف بالبيت ملاذًا لأن الله تعالى لمّا خلق آدم عليه الصلاة والسلام أمر إبليس بالسجود له فأبي، فغضب الرحمن فلاذت الملائكة بالبيت حتى سكن غضبه) أخرجه ابن مِرْدُويَة بكسر الميم وإسكان الراء المهملة وضم الدال وإسكان الواو

(١) سقط هذا الحديث من النسخة أ.

بعدها ياء مفتوحة.

وعن علي بن الحسين -رضي الله عنهما - وقد سئل عن ابتداء الطواف فقال: لما قال الله تعالى للملائكة ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] ظنّت الملائكة أن ما قالوا رَدٌّ على ربّهم فلاذوا بالعرش وطافوا به إشفاقا من الغضب عليهم فوضع لهم البيت المعمور فطافوا به. ثم بعث ملائكةً فقال: ابنوا لي بيتًا في الأرض بمثاله، وأمر الله تعالى أهل الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور. رواه ابن الجوزي.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (بعث الله جبريل إلى آدم وحواء عليهما السلام فقال لهما: ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل حتى أجابه الماء فنودي من تحته: حسبك يا آدم. فلما بناه أوْحى الله تعالى إليه أن يطوف به قيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت. ثم تناسخت القرون حتى [١٧٥] رفع إبراهيم القواعد منه) أخرجه البيهقي في الدلائل.

وعن عطاء -رضي الله عنه - أن عمر -رضي الله عنه - سأل كعبًا فقال: أخبرني عن هذا البيت ما كان أمره؟ قال: إن هذا البيت أنزله الله من السماء ياقوتة حمراء مجوّفة مع آدم، فقال يا آدم إن هذا بيتي فطفْ حوله وصَلّ حوله كما رأيتَ ملائكتي يطوفون حول عرشي ويصلّون، ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت على القواعد. فلما أغرق الله قوم نوح رفعه الله وبقي قواعده. رواه البيهقي في شُعَب الإيمان.

---

(١) القرآن: البقرة ٣٠.

وعن عبد الرحمن بن سابط -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ (مكة لا يسكنها سافك دم وتاجرٌ بِرِبًا ولا مَشّاءٌ بنميمة، قال: ودُحيتْ الأرض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت. وهي أول من طاف به وهي الأرض التي قال الله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1]. وكان النبي من الأنبياء إذا هلك قومه فنجا هو والصالحون معه أتاها بمن معه فيعبدون الله حتى يموت بها. إن قبر نوح وهود وشعيب وصالح بين زمزم والركن والمقام) أخرجه الجنَدي والأزرقي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: إن الله تعالى وجّه السفينة إلى مكة المشرفة فدارتْ بالبيت أربعين يوما ثم وجّهها [١٧٦] إلى الجودي فاستقرت عليه، رواه ابن الجوزي. ويُروى أن سفينة نوح طافت بالأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا، كذا ذكره الثعلبي في العرائس[2].

وروى الأزرقي أن جبريل طاف بالطائف سبعا حول البيت لما اقتلعه من الشام حين قال إبراهيم -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾[3] قال: ولذلك سمي طائفا، وقيل:إن الكعبة -شرفها الله تعالى - منذ خلقها -عزّ وجلّ - ما خلتْ عن طائف يطوف بها من جنّ أو إنس أو ملك.

قال بعض السلف: خرجتُ يوما في هاجرةٍ ذات سموم فقلت: إن خلت الكعبة عن طائف في حين فهذا الحين، ورأيت المطاف خاليا فدنوْتُ فرأيت حيّةً عظيمة

(١) القرآن: البقرة ٣٠.

(٢) الثعلبي هو أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي توفي ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م: ابن العماد: شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٣٠ وهو مؤلف كتاب عرائس المجالس في قصص الأنبياء. حاجي خليفة: كشف الظنون ص ١١٣١.

(٣) القرآن: البقرة ١٢٦.

رافعة رأسها تطوف حول الكعبة. ذكره ابن الصلاح في منسكه.

وعن ابن الزبير قال: بينا عبد الله بن صفوان قريبا من البيت إذ أقبلت حية من ناحية العراق حتى طافت بالبيت أسبوعا ثم أتت الحجر فاستلمته، فنظر إليها عبد الله بن صفوان فقال: أيها الجان إنك قد قضيتَ عمرتك وإنا نخاف عليك بعض صبياننا فانصرفت راجعة من حيث جاءت، رواه ابن الجوزي.

وروي أن يوم قتل ابن الزبير بمكة اشتدّتْ الحرب واشتغل [١٧٧] الناس بالقتال فلم يُرَ طائف يطوف بالكعبة إلاّ جمل يطوف بها، ذكره السهيلي. ويقال: إن لله عُبّادًا تطوف بهم الكعبة تقربًا إلى الله تعالى.

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -: كان أحب الأعمال إلى النبي ﷺ إذا قدم مكة الطواف بالبيت. أخرجه الفاكهي وأبو ذر وفيه دليل على أن الطواف للغرباء أفضل من الصلاة. لكن إذا حمل على طواف القدوم لم يكن دليلا. واختلفوا هل الأفضل عند البيت الطواف أو الصلاة؟ ثم رجّحوا أن الصلاة أفضل للأحاديث الصحيحة أنها بمائة ألف، لكن إذا قلنا بالتحقيق الذي قدّمناه عن المحب الطبري لم يأت هذا الترجيح.

قال في البحر العميق: أفضل الأعمال بمكة للغرباء الطواف لأنه مخصوص ببقعة البيت دون غيرها من أقطار الأرض وآفاقها، فليغتنم العبد تحصيله ولا يَرْجَحُ على الاشتغال به هنالك غيرُه. واختلف أصحابنا هل الطواف لأهل مكة أفضل أم الصلاة؟ فذكر في شرح الطحاوي أن صلاة التطوع لأهل مكة أفضل من طواف التطوع بخلاف الغرباء، لأن الغرباء يفوتهم الطواف ولا تفوتهم الصلاة، وأهل مكة لا يفوتهم الأمران، فعند الاجتماع الصلاة أفضل. وبمثل ذلك قال الفارسي في منسكه وعلّل فضيلة الصلاة بأن معنى العبادة فيها أظهر وأمكن، فقال: وهذا هو مذهب ابن [١٧٨] عباس وسعيد بن جبير وعطاء ومجاهد كما

نقله البغوي وغيره وهو مذهب مالك. قال: وأطلق بعض أصحابنا أن الطواف أفضل من الصلاة وبه قال صاحب الاختيار، انتهى كلامه ملخصا. وعن موسى الجهني قال: قلتُ لمجاهد: أَكَثْرةُ الطواف للشاب مثلي أحبّ إليك أم كثرة الصلاة؟ قال: الطواف للشاب مثلك. وقال سعيد بن جبير: الطواف هنالك أحبّ إليّ من الصلاة، يعني بالبيت.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أنه كان يقول: أمّا أهل مكة فالصلاة لهم أفضل، وأمّا أهل الأقطار فالطواف، وتابعه على ذلك سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد، أخرجهن البغوي في شرح السنة. وعنه أنه قال: الطواف لكم يا أهل العراق أفضل والصلاة لأهل مكة أفضل، أخرجه ابن قدامة المقدسي في كتابه المغني. وقال الماوردي من أصحاب الشافعي: الطواف أفضل، لرواية عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يُنْزِل على هذا البيت في كل يوم عشرين ومائة رحمة...... الحديث) قال ابن جماعه: هذا الحديث ضعيف فلا حجة فيه. قلت: ومن ثَمَّ عدل المحب الطبري عن هذا الاستدلال إلى الاستدلال الذي قدمناه عنه.

واختلفوا أيضا هل الطواف أفضل أم العمرة؟ على ثلاثة أقوال: الأول أن الطواف أفضل من العمرة، [١٧٩] والثاني أن العمرة أفضل، والثالث إن استغرق زمان الاعتمار بالطواف فالطواف أفضل، وإلاّ فالاعتمار أفضل حكاها المحب الطبري. وقال أحمد بن حنبل: العمرة مِن الناس مَن يختارها على الطواف ومنهم من يختار الإقامة بمكة والطواف، قال: واحتج من اختار العمرة بأن النبي ﷺ أعْمر عائشة. انتهى.

وعن قدامة بن موسى بن قدامة بن مضعون أن أنس بن مالك قدم المدينة فركب إليه عمر بن عبد العزيز فسأله عن الطواف للغرباء أم العمرة؟ فقال: بل

الطواف، رواه الأزرقي. قال المحب الطبري: ومراد أنس، والله أعلم، إن تكرار الطواف أفضل من العمرة، ولا يريد طواف أسبوع واحد فإنه موجود في العمرة، وتزيد العمرة بما فيها عن غيره. قال: وقد ذهب قوم من أهل عصرنا إلى تفضيل العمرة عليه ويرون الاشتغال بها أفضل من تكراره والاشتغال به ويستفرغون وسْعهم فيها بحيث لا يبقى في أحدهم مُنَّةٌ[1] يستعين بها على الطواف وذلك خطأ ظاهر.

وأول دليل على خطئه مخالفة السلف الصالح في ذلك قولا وفعلا إذ لم ينقل تكرارها والإكثار منها عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابع التابعين. وقد اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر في أربع سفرات في أربعة أعوام،وكلها كانت في ذي القعدة. رواه السيوطي في مختصرات الأوراق[2] ولم يُنقل أنه ﷺ [١٨٠] زاد في كل سفرة على عمرة لا أحد ممن كان معه من الصحابة. والتابعين ولم ينقل عنهم الإكثار منها فضلا عن مداركتها في أيام أو يوم. وأكثر ما روي عن عطاء أنه قال: في كل شهر عمرة وفي كل شهر عمرتان وفي كل شهر ثلاث عُمَر.

وعن علي -رضي الله عنه - في كل شهر عمرة. وعن أنس -رضي الله عنه - أنه كان إذا حَمّم[3] رأسه خرج فاعتمر. وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - أنه كان يعتمر في رجب في كل عام، وعن عمر وعثمان مثله. وعن القاسم أن عائشة -رضي الله عنها - اعتمرت في عام واحد ثلاث عُمر. ففعْل أنس محمول على السبب، وقول علي وعطاء وفعلُ غيرهما محمول على تعاهد

---

(١) المنة: القوة.

(٢) جملة سقطت من النسخة أ.

(٣) بالهامش من النسخة أ تفسير لهذه الكلمة نصه: حمم رأسه أي نبت شعر رأسه. وفي لسان العرب لابن منظور: إذا بنت الشعر بعد الحلق.

العبادة حتى لا تصير مهجورة، ولا يلزم من القدرة على الأفضل أن لا يُتَعَاطَى المفضول وإلاّ لأدّى ذلك إلى اندراس كل مفضول من العبادات وتطابقَ الناس على عبادة واحدة أو عبادات متساوية بل قد يكون تعاطي المفضول بقصد التعهّد له عند هجر الناس أو أكثرهم له أفضل من تعاطى الأفضل وينتظم به في سلك ذاكرين الله في الغافلين. ولأجل هذا المعنى فُضّلَت الصلاة في مسجد الجوار على الأكثر جماعة، فهذا تأويل مذهب من ذكرناه من الصحابة في تكراره لها. قال: وقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما - أنه قال: يا أهل مكة ما عليكم أن لا تعتمروا؟ إنما [١٨١] عمرتكم طوافكم بالبيت، يشير بذلك إلى أن اشتغالهم به أفضل من اشتغالهم بها، كما صرّح به أنس.

وتخصيص الغرباء في سؤال عمر بن عبد العزيز بالذكر خرج مخرج الغالب، فإن الغالب أن تكرارها إنما يكون منهم حرصا عليها لأنها تفوت لمفارقتهم الحرم وهذا المعنى موجود في الطواف، فكان اشتغالهم به أولى من العمرة إذ هو المقصود منها، فإن معنى العمرة زيارة البيت والطواف تحيته. ويتأيّد ذلك بأنه ليس منها ما هو عبادة مستقلة عن غيره، وما سواه منها إنما كان عبادة بربط القصد إليه فهو تابع له إمّا وسيلة سابقة أو تتمة لاحقة، ولهذا لو انفكت عن ربط القصد به عدّ متلاعبًا ولا مساواة بين المقصود والتابع.

وهذا طاووس من أكبر الأئمة يقول: الذين يعتمرون من التنعيم ما أدري يؤجَرون عليها أم يُعذبون، قيل له: فَلِمَ يعذّبون؟ قال: لأن أحدهم يدَعُ الطواف بالبيت ويخرج أربعة أميال ويجيء. ومراده بالتعذيب -والله أعلم - إتعابه نفسه لا أن الله معذّبه على ذلك. وذهب الإمام مالك إلى كراهية تكرارها في العام الواحد، وذهب الإمام أحمد أنها لا تستحب في أقل من عشرة أيام، ولم يذهب أحد إلى كراهية تكرار الطواف بل أجْمعوا على استحبابه، وقد روي تكراره والإكثار

منه عن كثير من الصحابة.

وقد رُوي عنه [١٨٢] ﷺ أنه كان في حجة الوداع يفيض إلى البيت كل ليلة من ليالي منى وفي بعض الأيام مع[1] قوله ﷺ: (إنها أيام أكل وشرب وبعال) وقد روي أنه ﷺ طاف ثلاثة أسابيع وصلّى خلف المقام ست ركعات، وهذا مشهور. وعن عائشة -رضي الله عنها- وكانت صلاتها بصفّة زمزم. على أنا لا ندّعي كراهية تكرارها بل نقول: إنها عبادة كثيرة الفضل عظيمة الخطر، لكن الاشتغال بتكرار الطواف في مثل مدّتها أفضل من الاشتغال بها، انتهى كلامه.

قال ابن جماعة: وكلامه حسن، ولكن قال: إنه لم يُنقَل عن أحد من الصحابة الإكثار منها. وكان الأحسن أن يقول:إنه لم يثبت عن أحد منهم، فإن في بعض كتب الفقه أنّ عليًا -رضي الله عنه- كان يعتمر في كل يوم وأن ابن عمر كان يعتمر كل يوم من أيام ابن الزبير، وليس لذلك أصل في كتب الحديث. قال: وكيف يكون حال مَن يجعل نفسه قصيًّا مبعَدًا لينال فضيلة القصد والزيارة أفضل من حال من وهو بالحضرة مشاهد مقيم يتردّد حول المقصود والمزار، بخطوات ترفع الدرجات وتُكسِبُ الحسنات وتمحو الأوزار، ولهذا كان رأي السلف الصالح تعهد العمرة دون الاشتغال بها عن الطواف بحيث لا تصير مهجورة، والخير في اتباعهم.

قال حذيفة -رضي الله عنه-: كل عبادة لم يتعبّدها [١٨٣] أصحاب النبي ﷺ فلا تعتدُّوا بها، فإن الأول لم يَدَعْ للآخر مقالاً، فاتقوا يا معشر القراء وخذوا طرايق من كان قبلكم، انتهى.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (كان آدم إذا

(١) جملتان سقطتا من النسخة ب.

طاف بالبيت قال هؤلاء الكلمة يعني سبحان لله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر) وكان آدم يطوف سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار.

وقال ﷺ: (إن آدم سأل ربه فقال يا رب أسألك من حج هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئا أن تُلْحِقه بي في الجنة، فقال الله تعالى: يا آدم مَن مات في الحرم لا يشرك بي شيئا أبعثه آمنا يوم القيامة) أخرجه الجندي في فضائل مكة في حديث طويل. وعنه قال: (كان آدم يطوف سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار ويقول يا رب اجعل لهذا البيت عُمّارًا يعمرونه من ذريتي، فأوحى الله – عزّ وجلّ – إليه أني معمره بنبيّ من ذريتك اسمه إبراهيم أقضي على يديه عمارته وأنبط له سقايته وأريه حلّه وحرمه ومواقفة وأعلّمه مشاعره ومناسكه) أورده المحب الطبري، وتقدم أن ابن عمر كان يطوف كذلك.

قال الطبري: ذكر بعض أهل العلم لعدد الطواف سبع مراتب: الأولى خمسون أسبوعًا في اليوم والليلة للحديث المتقدم، الثاني أحد وعشرون وقد قيل: سبعة أسابيع كعمرة وورد ثلاث عمر كحجة، الثالث أربعة عشر [١٨٤] وقد ورد عمرتان بحجة، وهذا في غير عمرة شهر رمضان لأن العمرة فيه كحجة، الرابع اثنا عشر أسبوعا خمسة بالنهار وسبعة بالليل كما تقدم عن فعل آدم -عليه السلام - وابن عمر، الخامس سبعة أسابيع، السادس ثلاثة أسابيع، السابع أسبوع واحد. انتهى.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام –رحمه الله تعالى – الطواف أفضل أركان الحج لأنه مشَبَّه بالصلاة ويشتمل عليها، والصلاة أفضل من الحج، والمشتمل على الأفضل أفضل. انتهى.

وعن محمد بن فضيل قال: رأيتُ ابن طارق في الطواف قد انفرج له أهل الطواف وعليه نعلان مطرقتان فحرزوا طوافه في ذلك الزمان فإذا هو يطوف في

اليوم والليلة عشرة فراسخ، رواه ابن الجوزي. وللعلماء في تفضيله على الوقوف بعرفة وفي أيهما أفضل خلاف، وفي ذكره طول.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (الطواف صلاة فأقلوا فيه الكلام) رواه الطبراني في معجمه الكبير، وأخرجه أحمد والنسائي عن طاووس عن رجل أدرك النبي ﷺ قال: (الطواف بالبيت صلاة ولكن الله أحلّ فيه النطق فمن نطق فيه فلا ينطق إلاّ بخير) وأخرجه سعيد بن منصور أيضا كذلك، وأخرجه الترمذي. فعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: (الطواف بالبيت مثل الصلاة إلاّ أنكم تتكلمون فيه فمن [١٨٥] تكلم فلا يتكلم إلاّ بخير).

وعن ابن عمر -رضي الله عنه - أنه قال: أقلوا الكلام في الطواف فإنما أنتم في الصلاة. رواه النسائي ورواه الشافعي عن عمر -رضي الله عنه - وقال: في صلاة. وعن عطاء قال: طفتُ خلف ابن عمر وابن عباس -رضي الله عنهما - فما سمعتُ واحدا منهما متكلما حتى فرغ من طوافه. وكان عطاء يكره الكلام في الطواف إلاّ الشيء اليسير منه، إلاّ ذكر الله تعالى وقراءة القرآن، رواه الشافعي.

قال المحبّ الطبري في قوله ﷺ: (الطواف بالبيت صلاة) إن ما وردت فيه الرخصة من الكلام بشرط أن يكون بخير، ووجهه أنه جعله صلاة، أو مثل الصلاة ومقتضى ذلك إبطاله بالكلام مطلقا، فيحمل على هذا، فلما رخّص في كلام خاص وجب أن يُقتصر عليه فلا يلحق به ما عداه تقليلاً لمخالفة الدليل، وما ورد في إباحة الكلام مطلقا فيحمل على هذا المقيَّد.

ومن الخير المشار إليه في الحديث أن يسلّم الرجل على أخيه ويسأله عن حاله وأهله، ويأمر الرجل بالمعروف وينهاه عن المنكر وأشباه ذلك من تعليم جاهل وإجابة مسألة، وهو مع ذلك كله مقبل على الله تعالى في طوافه خاشع بقلبه

ذاكر بلسانه متواضع في قلبه يطلب فضل مولاه ويعتذر إليه. فمن كان بهذا الوصف رجَوْتُ أن يكون ممن قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى يباهي بالطائفين) انتهى.

وعن [١٨٦] وهيب بن الورد قال: كنتُ في الحجر تحت الميزاب بعد العشاء الآخرة فسمعتُ من تحت الأستار: إلى الله أشكو وإليك يا جبريل مما ألقى من الناس من التفكُّه حوْلي ومن الكلام، أخرجه الأزرقي. وأخرج الإمام أبو بكر في مسألة الطائفين بزيادة، ولفظه: يا جبريل، أشكو إلى الله –عزّ وجلّ - ثم إليك ما يفعل هؤلاء الطائفون حوْلي من تفكّههم في الحديث ولغطهم وسهوهم.

قال وهيب: فأولُنا أنّ البيت شكا إلى جبريل ورواه ابن الجوزي. وزاد أوّله: وكنتُ أطوف أنا وسفيان الثوري بالبيت ليلا فانقلب سفيان وبقيتُ في الطواف فدخلت الحجر فصليت تحت الميزاب فبينما أنا ساجد إذ سمعتُ كَلامًا بين أستار البيت والحجارة وهو يقول: يا جبريل، ثم ساق القصة مثل أبي بكر الآجرى.

وعن عبد المجيد بن أبي روّاد قال: كانوا يطوفون بالبيت خاشعين ذاكرين كأنّ على رؤوسهم الطير وقد يستبين لمن رآهم أنهم في نسك وعبادة. قال أبي: وكان طاووس ممن يرى في ذلك النعت. وعن علي بن الموفق يخبر عن[1] نفسه أو غيره أنه رقد في الحجر فسمع البيت يقول لئن لم ينته الطائفون حولي عن معاصي الله لأصرخن صرخة أرجع إلى المكان الذي جئتُ منه. أخرجهما أبو بكر الآجري في مسألة وأبو الفرج الجوزي.

ومما رُخِّصَ في الطواف الشرب. وعن ابن عباس رضي [١٨٧] الله عنهما - (أن النبي ﷺ شرب في الطواف) أخرجه أبو حاتم والشافعي. وعن أبي مسعود الأنصاري (أنّ النبي ﷺ عطش وهو يطوف بالبيت فقال عَلَيَّ بذنوبٍ من ماء زمزم

---

(١) جملة سقطت من النسخة ب.

فصبّ عليه ثم شرب وهو يطوف بالبيت) أخرجه الدارقطني. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -(أنه شرب وهو يطوف فجلس على جدار الحِجْر) أخرجه الشافعي والبيهقي.

وأما شروط الطواف فمعلومة من كتب الفقه لا نطيل بذكرها الكتاب. ومما يدخل في هذا الباب ما رَوتْه أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها - (أن أول شيء بدأ به النبي ﷺ حين قدم مكة أنه توضأ ثم طاف) أخرجه الشيخان.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال (كان النبي ﷺ إذا طاف بالبيت استلم الحجر والركن في كل طواف) رواه الحاكم، والركن هو اليماني. ويستحب للطائف استلامهما في كل طوفة. وعنه أنه سئل عن استلام الحجر فقال (رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله) رواه الشيخان. وعن ابن غفلة[1] أن عمر قبّل الحجر والتزمه وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفيًّا أي معتنيًا.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال (استقبل النبي ﷺ الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي فقال: يا عمر هاهنا تُسكَب العبَرات. رواه ابن ماجة والحاكم وقال: استلمه ثم وضع شفتيه عليه) وصحح إسناده. وعنه قال: لم أر رسول الله ﷺ يستلم من البيت إلاّ الركنين اليمانيين. وفي رواية: يمسح ما كان يستلم، رواه في جامع الأصول. ولمسلم: لم يكن يستلم من أركان البيت إلاّ الركنين الأسود والذي يليه من [١٨٨] نحو دُور الجُمَحيين. وفي الحقائق أنه استلم الحجر بيده ثم قبل يده وقال: رأيت النبي ﷺ يستلم الحجر ويقبله. وفي شرح السنة عن عطاء قال: رأيت جابر بن عبد الله وابن عمر وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة -رضي الله عنهم - إذا استلموا قبلوا أيديهم. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال (كان النبي ﷺ يقبل الركن

(١) كذا بالأصلين.

اليماني ويضع خده عليه) رواه الدارقطني. وعنه قال (كان النبي ﷺ إذا استلم الركن قبّله) رواه البخاري في تاريخه. وعنه (أن النبي ﷺ سجد على الحجر) أخرجه الدارقطني. وعنه (أنه قبّل الركن وسجد عليه ثلاث مرات) أخرجه الإمام الشافعي في مسنده.

وعنه قال (رأيت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - يقبّله ويسجد عليه ثم قال: رأيتُ رسول الله ﷺ فعل هكذا) أخرجه البيهقي. وعن أبي الطفيل (أنّ النبي ﷺ كان يقبّل الركن بمحجن ويقبل المحجن) أخرجه مسلم. وعن جابر -رضي الله عنه - قال (طاف رسول الله ﷺ على راحلته استلم الركن بمحجنه ثم يعطف المحجن ويقبّله حتى فرغ من سبعة ثم أناخها عند المقام فصلى ركعتين) رواه ابن الجوزي.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - أنه قال ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلاّ أن البيت لم يتمّ على [١٨٩] قواعد إبراهيم، رواه الشيخان. وعنه أنه أُخْبِر بقول عائشة -رضي الله عنها - أن الحِجر بعضه من البيت. قال ابن عمر: والله إني لا أظن عائشة إن كانت سمعت هذا من النبي ﷺ وأنه لم يترك استلامهما إلاّ لأنهما ليسا من قواعد البيت، ولا طاف الناس من وراء الحجر إلاّ لذلك، أخرجه أبو داود.

وذكر الأزرقي أن ابن الزبير لما فرغ من بناء البيت وأدخل من الحجر ما كان فيه منه وردّ الركنين على قواعد إبراهيم وجعل له بابين شرقيًا وغربيًا لاصقين بالأرض خرج إلى التنعيم واعتمر وطاف بالبيت واستلم الركنين الشامي والغربي لأن البيت لم يكن تاما. فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير، إذا طاف الطائف استلم الأركان الأربعة جميعها ويدخل البيت من هذا الباب ويخرج من الغربي وأبوابه لاصقة بالأرض حتى قتل ابن الزبير.

قال ابن إسحاق: وبلغني أن آدم -عليه السلام- لما حج استلم الأركان كلها. ولما فزع إبراهيم من بناء البيت جاء جبريل -عليه السلام- فقال: طفْ به سبعًا فلما طاف به سبعا هو وإسماعيل استلما الأركان كلها في كل طواف، انتهى.

وعن مجاهد قال: إذا ابتدأتَ بالطواف فلا تأت الحجر من قِبَل الباب ولكن استقبله استقبالا فإني أخشى أن يكون ذلك في أول ما تستلم ذلك نقصا من الطواف، أما عند إفراغك فلا يضرّك من حيث أتيته، أخرجه سعيد بن [١٩٠] منصور. ورأى ابن عمر -رضي الله عنهما- رجلا يطوف ولا يستلم فقال: أيّ شيء تصنع ها هنا؟ قال: أطوف، قال: مثل الجمل تخبط ولا تسلم ولا تكبر ولا تذكر الله -عزّ وجلّ- ثم قال: ما اسمك؟ قال: حنين، فكان ابن عمر إذا رأى الرجل لا يتسلم الركن قال أحنيني هو؟ أورده المولى سعيد الدين الكازروني في منسكه.

وعن ابن جرْيج أن ابن عمر رأى رجلا يطوف بالبيت ولا يستلم، فقال: يا هذا ما تصنع؟ قال: أطوف، قال: ما طفْتَ، رواه الأزرقي وهو محمول على تأكد فعله، يدلّ لذلك ما رُوي عن عروة أن رسول الله ﷺ: قال لعبد الرحمن بن عوف: (كيف صنعتَ يا أبا محمد في استلام الحجر؟ -وقد كان استأذنه في العمرة- قال: كلا قد فعلت استلمت وتركت، فقال رسول الله ﷺ أصبتَ) رواه سعيد بن منصور.

وعن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (أبلغوا أهل مكة والمجاورين أن يخلّوا بين الحاج وبين الطواف والحجر الأسود ومقام إبراهيم والنصف الأول من عشر بقين من ذي القعدة إلى يوم الصدر) أخرجه الديلمي. ويوم الصدر هو يوم النحر لأنه يوم طواف الإفاضة. والحكمة فيه عدم مزاحمة

القادمين، وفيه أمرهم بالإكثار من الطواف والاستلام والتقبيل. إذ النهي عنه بسبب المزاحمة فلو لا كثرتهم وإكثارهم منه لما نُهوا عن ذلك. ويُستفاد من الحديث جواز الإيثار بالقرب بل نَدْبه [١٩١] في بعض الأحوال.

قال المولى سعيد الدين الكازروني: الاستلام هو المسح بالسلام وهو الحجر. وقيل: افتعال من السلام وهو تحية كأنه يستلمه أفترى منه السلام. وأهل اليمن يسمّون الركن المحيّا لأن الناس يحيونه انتهى. والتقبيل والاستلام مسنون متأكد، وفي الأوتار آكد. روى الأزرقي عن أبي نجيح قال: طفنا مع طاووس حتى إذا حاذى بالركن قال: استلموا بنا هذا لنا خامس. قال ابن أبى نجيح[1] فظننتُ أنه يستحب أن يستلمه في الوتر فإن عجز عن الإستلام -وهو وضع اليد عليه - أشار إلى الركن بيده ثم قبَّل يده. وإنما يُسَنّ كلٌ من التقبيل والاستلام حيث لم يزاحم بحيث لا يؤذي أحدًا أو يتأذّى. فقد أخرج الأزرقي وغيره أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب (يا عمر إنك رجل قوي وإنك تؤذي الضعيف، فإذا رأيتَ خلوة فاستلمه وإلاّ فكبر وامْضِ).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن جبريل عليه السلام وقف على رسول الله ﷺ وعليه عصابة حمراء قد علاها الغبار، فقال له رسول الله ﷺ: (ما هذا الغبار الذي على عصابتك أيها الروح الأمين؟ قال: إنى زرتُ البيت فازدحمت الملائكة على الركن فهذا الغبار الذي ترى مما تثير بأجنحتها). رواه الأزرقي.

وذكر في رواية عنه وفيها: (وعليه عصابة خضراء قد علاها الغبار) فلعل السؤال كان مرتين. وعن أبي [١٩٢] سعيد الخدري -رضي الله عنه - قال: حججنا مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولو لا أنى رأيتُ رسول الله ﷺ

---

(١) جملتان سقطتا من النسخة ب.

يقبّلك ما قبلتُك ثم قبّله. فقال: له علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - بلى يا أمير المؤمنين إنه يضرّ وينفع، قال بِمَ؟ قال: بكتاب الله تعالى. قال: وأين ذلك في كتاب الله؟

قال: قال الله -عزّ وجلّ - ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾[1] خلق الله آدم ومسح على ظهره فقدّر لهم بأنه الرب وأنهم العبيد وأخذ عهدهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رقّ. وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال له: افتح فاك ففتح فاه فألقمه ذلك وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد) فهو يا أمير المؤمنين يضرّ وينفع. فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لستَ فيهم يا أبا الحسن. رواه الحاكم والأزرقي أيضا.

وروى الجماعة -ما عدى ابن ماجة - عن عباس بن ربيعة عن عمر أنه جاء إلى الحجَر فقبله وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك [١٩٣] ما قبّلتك. وفي بعض طرقه لما قال عمر ذلك قرأ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2]

وروي أنه لما قال ذلك قال له أُبيّ بن كعب: إنه يضرّ وينفع، إنه يأتي يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن قبّله واستلمه فهذه منفعته. ولعلهما قالا لعمر -رضي الله عنه وعنهما - قال ابن الجوزي: وفي الحديث من الفقه أن عمر - رضي الله عنه - نبه على مخالفة الجاهلية في ما كانت عليه من تعظيم

(١) القرآن: الأعراف ١٧٢.

(٢) القرآن: الأحزاب ٢١.

الأحجار. وأخبر أني إنما فعلتُ هذا للسنّة لا لعبادة الجاهلية، وفيه بيان متابعة السنن وإن لم يوقف بها على عِلَلٍ، على أنه قد ذُكرت عِلّتان في تقبيل الحجر ولمسه، إحداهما أنه قد روي في الحديث أن الحجر الأسود يمين الله في الأرض، وكان ذلك في ضرب المثل كمصافحة الملوك للبيعة وتقبيل المملوك يد المالك. عن حفص بن عمر العدني قال: حديث الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: الحجر يمين الله في الأرض، فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله. وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما - من لفظ آخر قال: الركن الأسود يمين الله يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه.

والعلة الثانية أن الله تعالى لما أخذ الميثاق كتب كتابًا على الذرية فألْقَمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء وعلى الكافر بالجحود. وهذا مروي عن علي بن أبي [١٩٤] طالب -رضي الله عنه - قال العلماء: لهذه العلة يقول إذا لامسه: إيمانًا بك ووفاء بعهدك. وعن سعيد بن جبير قال سمعتُ ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: قال رسول الله ﷺ: (ليبعثنّ هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق) انتهى.

وأورد المولى المحدّث سعيد الدين الكازروني في منسكه أن النبي ﷺ كان يقبّله كثيرًا. وروي أنه ﷺ سجد عليه. وكان ﷺ يطوف على الراحلة فيضع المِحْجَن عليه ثم يقبّل المحجن. وقبّله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - ثم قال: إني أعلم أنك حجَر لا تضرّ ولا تنفع. ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبّلك لما قبّلتُك، ثم بكى حتى علا نَشيجَهُ فالتفتَ إلى ورائه فرأى عليا -رضي الله عنه - فقال: يا أبا الحسن هاهنا تُسكَبُ العَبرات، فقال علي: يا أمير المؤمنين، بلى يضرّ وينفع. قال وكيف؟ قال إن الله -عزّ وجلّ - لما أخذ الميثاق على الذرية في قوله

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[1] كتب على ذلك عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر، فهو يشهد على المؤمنين بالوفاء، ويشهد على الكافرين بالجحود. قيل فذلك معنى قول الناس عند الاستلام: اللهم إيمانا بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك.

وقال النبي ﷺ: (الحجر الأسود يمينُ الله يُصافِح بها عباده [١٩٥] كما يصافح أحدكم أخاه) يعني من صافحه في الأرض كان له عند الله عهد، وكان العهد تعْقِدُه الملوك بالمصافحة لمن يريدون موالاته، وكما يصفق أيدي الملوك للبيعة. وقد فضّل الله الحجر الأسود كما فضّل بعض البقاع والبلدان والليالي والأيام والشهور، وباب هذا كله تسليم وانقياد.

وقيل: لما انتهى بنيان الكعبة إلى موضع الركن الأسود قال إبراهيم –عليه السلام - لإسماعيل –عليه السلام -: إيتني حجرًا فرجع وقد أتى جبريل عليه السلام بالحجر الأسود. وكان الله استودع الركن أبا قبيس حين غرقت الأرض زمن نوح –عليه السلام - وقال: إذا رأيت خليلى إبراهيم يبني بيتي فأخرجه له. فقال إسماعيل –عليه السلام - يا أبتِ من أين لك هذا؟ قال جاء به مَن لم يكِلْني إلى حجرك، جاء به جبريل، انتهى. وطريق الجمع بين هذا وبين ما مَرّ أن جبريل أتى به كما جاء هنا أيضا. وحديث أنّ إبراهيم صعد فأخذه من أبي قبيس كما أورده صاحب البحر العميق أن هذا الحجر صاح: يا إبراهيم، من أبي قبيس –كما ورد في رواية - ثم صعد إبراهيم ﷺ ليأخذه فناوله جبريل، أو أنه أتى به إلى البيت ثم وضعه بنفسه كما تدلّ عليه الروايات الآتية، والله أعلم.

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: (إن الله لمّا أخذ من بني آدم ميثاقهم جعله في الحجر) رواه ابن الجوزي. وعن الحسين [١٩٦] بن علي

---

(١) القرآن: الأعراف ١٧٢.

-رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (لما أخذ ميثاق الكتاب جعله في الحجر، فمن الوفاء بالبيعة استلام الحجر) رواه الدولابي في الذرية الطاهرة[1].

وعن عائشة -رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه، بينما الناس ذات ليلة يطوفون به إذ صبّحوا وقد فقدوه، إن الله لا يترك شيئا من الجنة في الأرض إلاّ أعاده إليها قبل يوم القيامة) رواه الديلمي والأزرقي. وقال ﷺ: (أول ما يرفع الركن والقرآن) أورده المحدث الكازروني ورواه الأزرقي. وعن عثمان بن ساج أنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال: (أول ما يرفع الركن والقرآن) ورؤيا النبي ﷺ في المنام. وأخرج أيضا عن يوسف بن ماهك قال: إن الله جعل هذا الركن عيد أهل هذه القبلة كما كانت المائدة عيدًا لبني إسرائيل. وإنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم فإن جبريل -عليه السلام - وضعه في مكانه وأنه يأتيه فيأخذه من مكانه. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن جبريل نزل بالحجر من الجنة، وإنه وضعه حيث رأيتم، وإنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمتعوا به ما استطعتم فإنه يوشك أن يجيء فيرفع به من حيث جاء. أخرجه الأزرقي والطبراني.

[١٩٧] وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ (والله ليبعثنّه الله -يعني الحجر - يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق) رواه الترمذي ورواه أبو حاتم وقال: لسان وشفتان، ورواه أحمد وقال: يشهد لمن استلمه بحق. ورواية على بمعنى اللام أيضا إلاّ في ما وقع فيه ذكرهما فيكون كل على معناه للتقابل، والله أعلم.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الحجر الأسود ياقوتة من ياقوت الجنة وإنما

---

(١) من كتب الحديث ألّفه أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي الحافظ. حاجي خليفة: كشف الظنون ٨٢٧.

سوّدته خطايا المشركين، يُبعث يوم القيامة مثل أُحد يشهد لمن استلمه وقبّله من أهل الدنيا) رواه ابن خزيمة. وعن مجاهد: يأتي الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة. أخرجه الأزرقي. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان) رواه أحمد. وعن مجاهد أنه قال (يأتي الركن والمقام يوم القيامة مثل أبي قبيس كل واحد منهما له عينان وشفتان يناديان بأعلى أصواتهما يشهدان لمن وافاهما بالموافاة) رواه عبد الرزاق. وعن عائشة –رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: (اشهدوا هذا الحجر خيرًا فإنه شافع مشفّع له لسان [١٩٨] وشفتان يشهد لمن استلمه) رواه الطبراني في الكبير.

وعن أنس –رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: (الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله) رواه الديلمي ورواه الأزرقي عن عكرمة موقوفا بلفظ (الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه[1] فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ ثم أدرك الحجر فمسح الركن فقد بايع الله ورسوله) وبهذا اللفظ رواه أبو طاهر المخلص في فوائده. وأخرجه الحسن البصري في رسالته بلفظ (الركن يمين الله في الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه ومن لم يُدرك بيعة[2] رسول الله ﷺ ثم أدرك الحجر ومسحه فقد بايع الله. وعنه قال قال رسول الله ﷺ: (الحجر يمين الله، فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله أن لا يعصيه) رواه الديلمي.

وعن جابر –رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: (الحجر يمين الله في

---

(١) جملة سقطت من النسخة ب.

(٢) جملة سقطت من النسخة أ.

الأرض يصافح بها عباده) رواه الخطيب في التاريخ وابن عساكر. وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يَحطّان الخطايا حطًّا) رواه أحمد وابن حبّان.

وعن أنس -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الحجر الأسود من حجارة الجنة) رواه ابن الجوزي ورواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس -رضي الله عنهما - وزاد (وما في الأرض من الجنة غيره، وكان أبيض كالماء لو لا ما مسَّهُ من رجس الجاهلية وما مسَّهُ ذو عاهة إلاّ برئ) ورواه الأزرقي.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الأحبار أنهما قالا: ما تمسَّح به من الأرجاس [١٩٩] في الجاهلية، ما مسه ذو عاهة إلاّ شفي، وما من الجنة في الأرض شيء إلاّ هو).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (لو لا ما مَسَّ الحجر من أنجاس الجاهلية، ما مسَّه ذو عاهة إلاّ شفي، وما على وجه الأرض من الجنة غيره) رواه البيهقي في السنن ورواه الأزرقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفا. وقوله ﷺ: (ما مسه من أنجاس الجاهلية) يحتمل أن يكون تفسيره ما رواه ابن الجوزي وغيره عن أبي الطفيل عامر بن واثله عن أبيه أو جده قال: رأيت الحجر أبيض، وكان أهل الجاهلية إذا نحروا بُدُنهم لطخوه بالفرث والدم. ويحتمل أن يكون المراد استلامهم له بكفرهم كما جاء في حديث(سوّدَتْه خطايا بني آدم). ويدلّ لذلك ما رواه سعيد بن

منصور عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: الحجر الأسود من حجارة الجنة لو لا ما تعلّق به من الأيدي الفاجرة، ما مسّه أكْمَهُ ولا أبرص ولا ذو وباء إلاّ بَرِئَ.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ: (أنّ الحجر الأسود أُخْرِجَ

من الجنة أبيض له ضياء ونور وكان طوله قدر عظم الذراع، وكان كذلك حتى مسَّتْه أيدي المشركين فاسودّ، لولا ذلك ما مسَّه ذو عاهة إلاّ بَرِئَ) أخرجه أبو ذر. وعن عكرمة قال: الركن ياقوتة من يواقيت الجنة وإلى الجنة [٢٠٠] مصيرُه. قال ابن العباس -رضي الله عنهما - لو لا مَسُّهُ من أيدي الجاهلية لأبْرَأَ الأكْمَه والأبرص، رواه الأزرقي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (الحجر الأسود من الجنة وكان أَشدّ بياضًا من الثلج حتى سوّدته خطايا أهل الشرك) رواه أحمد وابن عدي في الكامل والبيهقي. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: نزل الركن وأنه لأشدّ بياضا من الفضّة، رواه الأزرقي.

وعن أنس -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجر الأسود من الجنة» رواه أحمد ورواه النسائي عن ابن عباس. وعن مجاهد قال: الركن من الجنة ولو لم يكن من الجنة لفَنِيَ، رواه الأزرقي. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: الركن والمقام من الجنة، رواه الأزرقي. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: أُنزِل الركن والمقام مع آدم -عليه الصلاة والسلام - ليلة نزل، فلما أصبح رأى الركن والمقام فعرفها وضمّهما إليه وأنِسَ بهما.

وعنه -رضي الله عنه - قال: نزل آدم -عليه السلام - من الجنة معه الحجر الأسود متأبطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة، لو لا أن الله طمس ضوءه ما استطاع أحد أن ينظر إليه، ونزل بالباسنة ونخل العجوة. قال أبو محمد الخزاعي: الباسنة: الآت الصناع. أخرجهما الأزرقي[1].قال الهروي: وليس الباسنة بعربي محض. قال الطبري: ولا تضادّ بين هذا وما قبله فإنه يحتمل [٢٠١] أن يكون آدم أخذه من الجنه ليلة نزوله أو أُعْطِيَه فتأبطهُ وهو لا يعلم أنه هو، وأنزل معه

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة ١: ٣٢٩.

المقام.، فلما أصبح ورآهُ ضمّه إليه ضَمَّ أُنْسٍ ومحبّة، انتهى.

وأخرج الأزرقي عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (الحجر الأسود نزل به ملك من السماء) ولا منافاة بينه وبين ما قبله لجواز أن يكون الملك نزل به قبل ذلك لمّا بنت الملائكة البيت ثم رُدَّ إلى الجنة فنزل به آدم، ويكون مع تَأَبُّطِ آدم له كان الملك واضعًا يده عليه، أو يكون المراد أن الملك نزل به من السماء لما رفع البيت في الطوفان ورفع معه الحجر فنزل به الملك وأودعه أبا قبيس كما في الرواية الأخرى. وتقدم الجمع بين روايات وضع إبراهيم له في البيت، والله أعلم.

وفي البحر العميق: ورد أن المقام نزل مع آدم وعصا موسى - عليه الصلاة والسلام - وهي من آس الجنة. وعن أبي برّه قال: الركن والمقام مِن يواقيت الجنة وأنزل بين دار السائب بن أبي وداعة وبين دار مروان ودار أبي محذورة، رواه الأزرقي.

وعن أنس -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة) رواه الحاكم. وعن عثمان بن ساج قال: حدثني ابن زهير أنه بلغه أن الحجر من رضراض ياقوت الجنة وكان أبيض يتلألأ فسوّدتْه أرجاس المشركين وسيعود إلى ما كان عليه وهو يوم [٢٠٢] القيامة مثل جبل أبي قبيس في العِظَم له عينان ولسان وشفتان يشهد لمن استلمه بحق ويشهد على من استلمه بغير حق، رواه الأزرقي.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب) رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم. وعن مسافع بن شيبه قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أشهد بالله ثلاثا - ووضع أصبعيْه على أذنيْه - سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما

بين المشرق والمغرب) رواه ابن الجوزي ورواه الأزرقي وقال: ما بين السماء والأرض.

وعن قتادة قال: دخلتُ على أنس فسألته عن الحجَر فقال: ياقوتة من ياقوت الجنّة، رواه ابن الجوزي. وعن أبان بن أبي عياش أن عمر سأل كعبًا عن الحجر الأسود فقال: مروة من مروة الجنة، أورده المحبّ الطبري وقد أخرجه الأزرقي. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ليس في الأرض من الجنة إلاّ الركن الأسود والمقام وهما جوهرتان من جوهر الجنة، ولولا ما مسّهما من أهل الشّرْك ما مسّه ذو عاهة إلاّ شفاه الله. وعنه -رضي الله عنه- قال: الركن والمقام من جوهر الجنة، رواهما الأزرقي.

وقال [١٠٣] الحسن البصري في رسالته: إن رسول الله ﷺ قال: (لم يبق في الأرض من الجنة غير هذا الحجر ولو لا مسَّهُ من أنجاس الجاهلية وأرجاسها ما مَسَّه ذو عاهة يستشفي به إلاّ بَرِئ) والحصر في هذه الأحاديث نسبي لما جاء في كثير من الأحاديث ذكر أشياء من الجنة وهي موجودة فيكون حينئذ التقدير هنا في رواية ليس في الأرض من الجنة إلاّ الحجر يعني ممّا في البيت، ورواية إلاّ الركن الأسود والمقام يعني مما في البيت وما قرب منه أو نحو ذلك.

وحاصل ما يتجمّع من الأحاديث أنها من الجنه: جبل طور ولبنان والجودي وحصيب وهو بالروحاء وأُحُد وثبير وثوْر وحراء وورقان، وقد يدخل جبل بمكة ورضوى هذه الجبال. ومن الأنهار سيحان وجيحان وسيحون وجيحون وهما غير الأولين والنيل والفُرات والدجلة، ومن الثمار عجوة المدينة، وورد غير ذلك من الأراضي والحيوانات لا نطوّل بذكرها الكتاب.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل الحجر الأسود من الجنه وهو أشدّ بياضًا من اللبن فسوّدته خطايا بني آدم» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. قال ابن الجوزي: وقد اعترض الملحدون على هذا

الحديث فقال: ما سوّدته خطايا المشركين فينبغي أن يُبيّضَهُ توحيد المسلمين. فأجاب عنه ابن قنيبة فقال: لو شاء الله لكان ذلك ثم [٢٠٤] قال: أَمَا علمتَ أيها المعترض أن السواد يصبغ ولا ينْصَبِغ والبياض ينصبغ ولا يصبغ؟ هذا قول ابن قتيبة. قال ابن الجوزي: والذي أراه من الجواب أن إبقاء أثر الخطايا فيه وهو السواد أبلغ في باب العبرة والعِظة من تغيير ذلك ليعلم أن الخطايا إذا أثرتْ في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم فوجب لذلك أن يجتنب. انتهى.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال لعائشة -رضي الله عنها- وهي تطوف بالكعبة حين استلم الركن (لولا ما طبع الله على هذا الحجر يا عائشة من أرجاس الجاهلية وأنجاسها لاستُشْفِيَ به مِن كل عاهة وأذى، لأُلفِيَ اليوم كهيئة يوم أنزله الله -عزّ وجلّ- ليُعِيدَنَّه الله إلى ما خلقه -عزّ وجلّ- أول مرة وإنه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة، ولكن الله سبحانه وتعالى غيّره بمعصية العاصين وستر زينَتُه عن الظلمة والأثمة لأنه لا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء كان بَدْوُهُ من الجنة) رواه الأزرقي. فهذا الحديث يُفهَم منه جواب أيضا.

قال بعض العلماء: يحتمل أنه كان يسمى أسود حال بياضه، ومعنى أسود ذو سؤدد، ويحتمل أنه لم يُسَمّ بذلك إلاّ بعد اسْوِداده. قال السهيلي: والحكمة في كونه سوّدته خطايا بني آدم دون غيره من بناء الكعبة أن العهد الذي فيه هو الفطرة التي فطر الناس عليها من توحيد الله تعالى وكل مولود يولد على الفطرة[١] وقلبه في غاية البياض لأن فيه ذلك العهد ثم سُوِّدَ [٢٠٥] بالذنوب، فكذلك الحجر الذي فيه العهد المأخوذ عليه، فلما تناسبا أثرت فيه الخطايا كما أثرت في بني آدم انتهى. وهذه الحكمة غير مطّردة في هذا المقام. قال المولى

(١) جملتان سقطتا من النسخة أ.

المحدّث الكازروني في منسكه: وقيل سوّد الحجرَ الحريقُ مرتيْن قبل الإسلام وبعده، وقد روى أنه رُئي قبل الحريق أبيض يترآى الإنسان فيه وجهه. انتهى.

وعن ابن جريج قال: أخبرني منصور بن عبد الرحمن أن أمه أخبرته أن الركن كان لونه قبل الحريق كلون المقام، رواه عبد الرزاق. وعن نوفل بن معاوية الديلمي قال: رأيت المقام في عهد عبد المطلب مثل المهاة والمهاة حريرة بيضاء. ذكره في البحر العميق، وهذا القيل فيه مخالفة لظاهر الحديث. والحاصل في وجه الجمع بين هذا والأحاديث الواردة في ذهاب بياض الحجر أن الحجر الأسود لما أنزله الله من الجنة طُمِس نوره لحديث (لأضاءَ ما بين السماء والأرض) وقد مرّ أن إضاءته كانت إلى حدّ الحرم، ثم غُيّر إلى لون المقام لما مسّه من الرجس والذنوب، ثم اشتد لسواده بعد الحريق حتى صار إلى ما هو عليه الآن. ويدلّ لذلك ما في البحر العميق: وقيل شدة سواده لأنه أصابه الحريق مرة بعد أخرى في الجاهلية والإسلام. فأمّا حريقه في الجاهلية فإنه ذهبت امرأة في زمن قريش تبخّر الكعبة فطارت شرارة في أستار الكعبة فاحترقت الكعبة واحترق [٢٠٦] الركن الأسود وتوهّنتْ الكعبة. وكان هذا الذي هاج قريشا على هدمها وبنائها. وأما حريقه في الإسلام ففي عصر ابن زبير أيام حاصره الحصين بن نمير الكندي واحترق الركن فتفلّق بثلاث فلق حتى شعّبه ابن الزبير بالفضة، وانفلقت منه فلقةٌ لو يسده من أعلاه، موضعها بَيّنٌ في أعلا الركن. وكذا يقال في وجه الجمع بين الأحاديث التي مرّت إن الحجر من ياقوت الجنة، وفي آخر إنه من أحجار الجنة، وفي آخر إنه مروة من مروة الجنة بأنه لا تّعارض لصحة الروايات في أن أحجار الجنه جواهر، والمروة نوع من الحجر. وكذا يقال في الجمع بين قوله ﷺ: (إنه يأتي مثل أُحُد) وقوله: (إنه يأتي مثل أبي قبيس) وقوله: (أعظم من أبي قبيس) بأن الغرض تشبيهه بشيء عظيم. ولعله يكون في الحقيقة مثل أُحُد لما قيل إنه إلى

الأرض السابعة، ورواية أعظم من أبي قبيس مُشْعِرٌ به، والله أعلم.

قال المولى المحدث الكازروني في منسكه: وفي الخبر أن طول الركن ذراعان فقد أخذ عرض جدار الكعبة، وكون مؤخر الركن موردا انتهى. ولعل وجه الجمع بين هذا وما مرّ أنه قدّر عظم الذراع أن المراد عظم ذراع آدم ﷺ أو أن عظم الذراع اسم جنس يشمل الذراعين، والله أعلم.

قال [٢٠٧] ابن جماعة: رأيتُ الحجر سنة ثمان وسبعمائة [٧٠٨ هـ/ ١٣٠٨ — ١٣٠٩م] وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد، ثم رأيتُ البياض بعد ذلك نقص نقصانًا بيّنًا. وقال الإمام أبو الربيع سليمان بن خليل المكي في مناسكه الكبرى: ولقد أدركتُ في الحجر الأسود ثلاث مواضع بيض نقية في ناحية باب الكعبة المعظمة، إحداها وهي أكبرهن في قدر حبّة الذرة الكبيرة، والأخرى إلى جنبها وهي أصغرها، والثالثة إلى جنب الثانية وهي أصغر من الثانية قدر حبّة الدّخن، قال: ثم إني أتلمّح تلك النقط فإذا هي كلَّ وقت في نقص. انتهى.

وعن جابر بن سمرة -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أُبْعث، إني لأعرفه الآن) رواه مسلم. وفي بعض المسندات إنه الحجر الأسود.

وقد روي أن الدعاء يستجاب عند الحجر الأسود، ذكره ابن الصلاح في منكسه. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: الركن يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه، والذي نفس ابن عباس بيده ما من امرئ مسلم يسأل الله —عزّ وجلّ - عنده شيئا إلاّ أعطاه إياه، رواه الأزرقي. وعن عمر بن حمزة بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم - أن النبي ﷺ لم يكن يمر بالركن اليماني إلاّ وعنده ملك يقول: يا محمد استلم. وعن عائشة —رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما مررتُ بالركن اليماني إلاّ وجدتُ جبريل —عليه السلام -

قائما)[1].

وعن عطاء قال (قيل: يا رسول الله تُكثِر [٢٠٨] استلام الركن اليماني، قال: فقال إن كان فإنه ما أتيتُ عليه قط إلاّ وجبريل قائم عنده يستغفر لمن استلمه) وعن عبد الله بن الزبير عن أبيه أنه قال: بُنَيّ ادْنِنِي من الركن اليماني فإنه كان يقال إنه باب من أبواب الجنه.

وعن عثمان بن ساج قال: أخبرني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي -رضي الله عنهم - ومررنا قريبا من الركن اليماني ونحن نطوف دونه فقلتُ: ما أبرد هذا المكان؟ فقال: قد بلغني أنه باب من أبواب الجنه. وعن مجاهد قال: من وضع يده على الركن ثم دعا استجيب له، قال: قلتُ: قم بنا يا أبا الحجاج فلنفعلْ ذلك ففعلنا ذلك. وعنه قال: ما من إنسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو إلا استُجيبَ له. قال: وبلغني أنّ بين الركن اليماني والركن الأسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه هم هناك منذ خلق الله البيت.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: على الركن اليماني ملكان يؤمّنان على دعاء مَن مرَّ بهما. وإن على الأسود ما لا يُحصَى. أخرجهن الأزرقي. وعن حميد بن أبي سويد قال: سمعتُ ابن هشام يسأل عطاء بن أبي رباح عن الركن اليماني وهو يطوف بالبيت، فقال عطاء: حدثني أبو هريرة -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «وُكّل به سبعون ألف ملكٍ فمن قال: اللّهم [٢٠٩] إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[2] قالوا: آمين. فلما بلغ الركن الأسود قال: يا أبا محمد ما بلغك في هذا الركن الأسود؟ فقال عطاء: حدثني أبو هريرة -رضي

(١) فقرة سقطت من النسخة أ.

(٢) القرآن: البقرة ٢٠١.

الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من فاوَضَه فإنما يفَاوِضُ يد الرحمن).
قال ابن هشام: يا أبا محمد فالطواف؟ قال عطاء: حدثي أبو هريرة -رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من طاف بالبيت سبعًا لا يتكلم إلاّ بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله مُحيتْ عنه عشر سيئات وكُتِبت له عشر حسنات ورفع له بها عشر درجات، ومن طاف فتكلم في تلك الحال خاض في الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه) رواه ابن ماجة.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (على الركن اليماني ملك موكّل به منذ خلق الله السمات والأرض، فإذا مررْتُم به فقولوا ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1] فإنه يقول: آمين آمين) رواه الخطيب في التاريخ والبيهقي وابن الجوزي.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما مررتُ [٢١٠] بالركن اليمانيّ إلاّ وعنده ملَك ينادي يقول: آمين آمين، فإذا مررتم به فقولوا ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[2] أخرجه أبو ذر. ولا تضادّ بين هذه الأحاديث، فإن حديث (إنّ ثَمّ ملكين) عامٌ لكل دعاء وحديث السبعين خاص بمن دعا بقوله اللهم إني أسألك العفو والعافية إلى آخره. وحديث الملك لمن يقول ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾[3] الخ والظاهر أن رواية الخطيب تفسير لرواية أبي ذر، فتقديرها ملك يقول آمين إذا قلتم ذلك وهو المناسب لأن التأمين إنما يكون على دعاء. وحينئذ فالظاهر أن من أتى بدعاء أبي هريرة أمّنتْ عليه جميع الملائكة لأنه

(١) القرآن: البقرة ٢٠١.
(٢) القرآن: البقرة ٢٠١.
(٣) القرآن: البقرة ٢٠١.

حَصَل كُلّ لو طاف، ويحتمل أن يخصص كل دعاء ورد فيه. وجمع المحبّ الطبري بينهما بأن السبعين موكّلون به لم يكلّفوا قول آمين دائما، وإنما يؤمّنون عند سماع الدعاء، والملك كُلِّف أن يقول آمين دائما سواء سمع دعاء أو لم يسمعه. وعلى هذا يحتمل ما رُوي في طريق آخر، وذكر رواية الخطيب ثم قال: وإن كان ظاهر لفظه يدلّ على أن تأمينه عند الدعاء لكنه محتمل لما ذكرناه ويكون التقدير فإنه يقول: آمين آمين دائما فيحمل عليه جمعًا بين الحديثين وحملا لهما على المعْنَيَيْن، انتهى.

وجمع ابن جماعة بأن السبعين موكلون به لم يكلفوا قول آمين دائما [٢١١] وإنما يؤمنون عند سماع الدعاء، والملكان كُلِّفا أن يقولا آمين دائما. وملك في الرواية الأخيرة محمول على الجنس.

وذكر القاضي عياض اليحصبي في الشفاء بسنده المتّصل إلى سيدنا محمد المصطفى ﷺ أنه قال: (ما مِن أحدٍ يدعو الله تعالى عند الركن الأسود إلاّ استجاب الله له وكذلك عند الميزاب).

وعن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: مَن استلم الركن ثم دعا استجيب له. قال: فقيل لابن عباس: وإن أسرَع؟ قال: وإن كان أسرع مِن برق الخُلّب، رواه الجَنَدي. وعن مجاهد قال: كان يقال لعل ما يضع أحد يده على الركن اليماني فيدعو إلاّ كاد أن يستجاب له، رواه الفاكهي.

وروى الحسن البصري في رسالته أن رسول الله ﷺ قال: (إن عند الركن اليماني بابا من الجنة، والركن الأسود بابٌ من الجنة، وما مِن أحد يدعو الله تعالى عند الركن الأسود إلاّ استجاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب) وقال ﷺ: (ما بين الركن اليماني والركن الأسود روضة من رياض الجنة).

قال الشعبي: رأيت عجبًا، كنّا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن

الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان فقال القوم بعد أن فرغوا من [٢١٢] حديثهم: ليقمْ كلّ رجل فليأخذ بالركن اليماني وليسأل الله تعالى حاجته فإنه يعطي مِن سَعَة، قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود وُلد في الهجرة. فقام فأخذ بالركن ثم قال: اللّهم إنك عظيم تُرْجَى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيّك ﷺ أن لا تُميتَني من الدنيا حتى تولّيني الحجاز ويُسلّم عليّ بالخلافة. وجاء حتى جلس.

وقالوا: قم يا مصعب بن الزبير، فقام فأخذ بالركن اليماني فقال اللهم إنك رب كل شيء، وإليك كل شيء، أسألك بقدرتك على كل شيء، أن لا تُميتَنّي من الدنيا حتى توليني العراق وتزوّجني سكينة بنت الحسين. وجاء حتى جلس.

فقالوا: قم يا عبد الملك بن مروان، فقام فأخذ بالركن فقال: اللهم رب السمات السبع والأرض ورب ذات النبات بعد القفر، أسألك بما سألك به عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تُميتنّي حتى تولّيني شرق الأرض وغربها ولا ينازعُني أحد إلاّ أُتيتُ برأسه، ثم جاء فجلس.

فقالوا: قم يا عبد الله بن عمر، فقام حتى أخذ بالركن ثم قال: اللهم يا رحمن يا رحيم أسألك برحمتك التي سبقتْ غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك، أن لا تميتنّي من الدنيا حتى توجب لي الجنة. قال الشعبي: [٢١٣] فما ذهبتْ عيناي من الدنيا حتى رأيتُ كل واحد منهم وقد أُعْطِي ما سأل، وبُشّر عبد الله بن عمر بالجنة. أوْرَده ابن جماعة وغيره.

وذُكر في خلاصة الحقائق أنّ مقام إبراهيم -عليه السلام - والحجر الأسود والركن اليماني يقلن للنبي ﷺ يوم القيامة: اشفع في من لم يزرْنا فإنا نشفع في

من زارنا. وعن جابر -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم القيامة زفت الكعبة إلى قبري فتقول: السلام عليك يا محمد فأقول -عليك السلام - يا بيت الله، ما صنّع بك أمتي من بعدي؟ فتقول: يا محمد مَن أتاني فأنا أكفيه وأكون له شفيعا، ومن لم يأتني فأنت تكفيه وتكون له شفيعا). أخرجه ابن مَردويه واللفظ شامل لإتيانها بالنسك المتضمن للطواف ولإتيانها للطواف ونحو ذلك. وعنه -رضي الله عنه - قال (دخلنا مكة ارتفاع الضحي فأتى النبي ﷺ باب المسجد فأناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضتْ عيناه بالبكاء ثم رمل ثلاثا ومشى أربعا حتى فرغ، فلما فرغ قبل الحجر ووَضْع يديه عليه ومسح بهما وجهه) أخرجه الحاكم وهو صحيح على شرط مسلم. والرمل أن يُسْرِع في مشيه مقاربًا خطاه، ويختصّ بطواف يعقبه سعي.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ: كان إذا طاف بالبيت [٢١٤] الطواف الأول خبَّ ثلاثًا ومشى أربعا، وكان يسعى ببطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة. وفي رواية: كان إذا طاف في الحج والعمرة أول ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أطواف بالبيت ثم يمشي أربعة، أخرجه الشيخان. وعن ابن الزبير قال: رَمَل رسول الله ﷺ في عَمْرة كلها وفي حجّه وأبو بكر وعمر وعثمان والخلفاء، أخرجه أحمد وأبو ذر. وعن ابن عمر قال: رَمَل رسول الله ﷺ من الحجر إلى الحجر ثلاثا ومشى أربعا.

وعن جابر قال: رأيت رسول الله ﷺ رَمَل من الحجر الأسود حتى انتهى إليه ثلاثة أطواف، أخرجهما الشيخان. وعن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رَمَل بالبيت وأن ذلك سنّة، قال: صدقوا وكذبوا، قلنا ما صدقوا وما كذبوا؟ قال: صدقوا قد رمل رسول الله ﷺ وكذبوا ليس بسنة. إن قريشا قالت زمن الحديبية: دَعُوا محمدًا وأصحابه حتى يموتوا موت النغف، فلما

صالحوه على أن يجيئوا في العام المقبل فيقيموا ثلاثة أيام. فقدم رسول الله ﷺ والمشركون مِن قَبَل قعيقعان فقال النبي ﷺ لأصحابه (ارملوا بالبيت ثلاثا وليس بسنة) رواه مسلم وأبو داود. وقوله: ليس بسنة معناه [٢١٥] أمر لم يُسَنَّ فعله لكل المسلمين على معنى القربة كالسنن التي هي عبادات، ولكنه شيء فعله رسول الله ﷺ لمعنى خاص، ويدل لذلك قوله -في ما يأتي - فكانت سنة يعني أنها يعمل بها وإن فقد المعنى الذي شرعت من أجله، وعليه يدل كلام عمر الآتي، فإنه لما رأى الرمل قد ارتفع سببه الذي فعل من أجله هم بتركه، ثم لاذ بالاتباع تبركًا به وتعرضًا للفضل. وقد يحدث شيء من أمر الدين بسببٍ ثم يزول السبب ولا يزول حكمه كالقُرب والاغتسال للجمعة ونحو ذلك.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ (لمّا نزل بمرّ الظهران في عمرته بَلَغَ أصحابَ رسول الله ﷺ أن قريشًا تقول: ما يتباعثون من العجف؟ فقال أصحابه: لو نحرنا من ظهورنا فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غدًا حين نقدم على القوم وبنا جماعة. قال: لا تفعلوا ولكن اجمعوا من أزوادكم، فجمعوا وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تولّوا وحشى كل واحد منهم في جرابه. ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى أتي الحجر وقعدت قريش نحو الحجر فاضطبع بردائه ثم قال: لا يرى القوم فيكم عجيزة، فاستلم الركن ثم رَمَل حتى إذا تغيّب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود. قالت قريش ما يرضون أما أنهم ينقزون نقز الظباء، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكان سنة، وفعل ذلك في حجة الوداع) أخرجه أحمد. وعنه [٢١٦] قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه حين أرادوا دخول مكة في عمرة الحديبية (إن قومكم غدا سيرونكم فليروكم جلَدًا، فلما دخلوا المسجد استلموا الركن ورملوا والنبي ﷺ معهم حتى بلغوا الركن اليماني، ثم مشوا إلى الركن الأسود ففعل ذلك ثلاث مرات ثم مشى الأربع) رواه

ابن ماجة.

وعنه -رضي الله عنه- قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه وقد وهنتهم الحُمَّى ولقوا منها شدة فجلسوا مما يلي الحجر. وفي لفظ البخاري: والمشركون من قبل قعَيقعان فأمرهم أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشون ما بين الركنين اليمانيين ليُرِيَ المشركين جَلَدَهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم قد وهنتهم؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا. قال ابن عباس: ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلاّ الإبقاء عليهم. أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي. قوله في الحديث: (مما يلي الحجر) يجوز أن يريد به مما قبل قعيقعان لأنه مما يلي الحجر فلا تضاد. ويؤيده ما روي أن المشركين أخْلَوا مكة للنبي ﷺ وأصحابه ثلاثة أيام في عمرة القضاء وصعدوا رؤوس الجبال، ذكره أبو سعد في شرف النبوة وغيره.

وعنه -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ اضطبع واستلم وكبّر ثم رمل ثلاثة أطواف. وكانوا إذا بلغوا الركن اليماني [٢١٧] وتغيبوا من قريش مشوا ثم يطلعون عليهم يرملون فتقول قريش: كأنهم الغزلان. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: فكانت سنة. أخرجه أبو داود.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: ما لنا وللرمل إنما كنا رأينا به المشركين وقد أهلكهم الله تعالى، ثم قال: شيء صنَعَه رسول الله ﷺ فلا نحبّ أن نتركه، أخرجه الشيخان. وعنه أن عمر -رضي الله عنه- قال: فِيمَ الرَّمَلانِ والكشف عن المناكب وقد أضاء الله الإسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله مع رسول الله ﷺ. أخرجه أبو داود وابن ماجة. والرمَلانِ -بكسر النون- تثنية الرمل والمراد الرمل في الطواف والسعي بين الصفاء والمروة فغلب الأخف منهما. قال ابن الأثير: وهو غريب، ثم قال: بل هو مصدر كالنزَوان ويؤيّد

ذلك أن عمر أراد الرمل الذي أمر به النبي ﷺ في عمرة القضاء لِيُرِي المشركين جَلَدَهم لمّا قالوا: وهنتهم حُمَّى يثرب.

أما السعي بين الصفا والمروة فهو شعار قديم من عهد هاجر أم إسماعيل – عليه السلام – انتهى. وتدلّ له رواية البيهقي في الشعب: فيم الرملات الثلاث؟ أقول: وعلى رواية التثنية يصح أن يكون المراد الرملان لطواف الحج والعمرة، والقارن إذا طاف طوافين [٢١٨] والله أعلم. ولا تضادّ بين هذه الأحاديث والحديث الذي مرّ أنه رمل من الحجر إلى الحجر لأن المشي بين الركنين كان في عمرة وكان المشركون على قعيقعان أو مما يلي الحجر على ما تقدم ينظرون إليهم فأمر ﷺ بالمشي بينهما حيث لا تقع عليهم أبصار المشركين إبقاءً عليهم ورفقًا بهم. فلما كان في حجة الوداع أمرهم بإكمال الرمل إلى الحجر وهو كان آخر فعله ﷺ فكان العمل عليه. وقد جاء عن نافع: وقيل له: أكان عمر يمشي بين الركنين؟ فقال: إنما يمشي ليكون أيسر لاستلامه.

وأعلم أنه يجب أن يطوف الطائف من وراء الحِجْر لما صحّ أن النبي ﷺ طاف من وراء الحِجر، أخرجه الشيخان. وعن عائشة –رضي الله عنها - قالت (سألتُ رسول الله ﷺ عن الحجر أمن البيت هو؟ قال: نعم، قلت: فما لهم لم يُدْخِلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت عنهم النفقة، قلت: فما شأن بابه مرتفعًا؟ قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا وألولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدْخِل الحجر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض) أخرجه الشيخان.وقد قال الله تعالى ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾(١) فإذا كان الحِجْر من البيت وجب الطواف به.

ومما ورد في الحِجْر [٢١٩] ما روته أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها - قالتْ

---

(١) القرآن: الحج ٢٩.

(كنتُ أُحِبّ أن أدخل البيت فأصلّي فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلني الحجر. فقال لي ﷺ صلي في الحجر إذا أردتِ دخول البيت، فإنما هو قطعة مِن البيت، ولكن قومك استقصروا حين بنُوا الكعبة فأخرجوه من البيت) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث صحيح.

وعن سعيد بن جبير (أن عائشة –رضي الله عنها - قالت: يا رسول الله كل نسائك دخلْن الكعبة غيري، قال: فانطلقي إلى قرابتك شيبة يفتح لك الكعبة. فأتته فأتى النبي ﷺ فقال: والله ما فتحتُ بليلٍ قطّ في جاهلية ولا إسلام، وإن أمرتَني أن أفتحها فتحتها، قال: لا، ثم قال: إن قومك قصرتْ بهم النفقة فقصروا في البنيان. وإن الحجر من البيت، فاذهبي فصلي فيه) أخرجه أحمد وسعيد بن منصور وأبو ذر.

وعن مجاهد قال: دخلتْ عائشة –رضي الله عنها - البيت ومعها نسوة فأغلقت حَجَبة البيت دون النساء فجعلن تنادين: يا أم المؤمنين فسمعتُ عائشة تقول: عليكن بالحجر فإنه من البيت. وعن عروة عن عائشة –رضي الله عنها - قالت: ما أبالي في الحجر صلّيتُ أم في البيت، أخرجهما سعيد بن منصور واستدلّ بظاهر هذه الأحاديث من قال: إن الحجر [٢٢٠] كله من البيت.

وعن عائشة –رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ: (يا عائشة لوْ لا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمتُ الكعبة فألزقتُها بالأرض ولجعلت لها بابا شرقيًا وبابًا غربيًا. وزدتُ ستة أذرع من الحِجر، فإن قريشًا استقصرتْها حين بنت الكعبة) وفي رواية (فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمّي لأرِيكِ ما تركوا فيه، فأراها قريبًا من سبعة أذْرُع) أخرجه الشيخان، كذا ذكره المحبّ الطبري في القِرى.

وحاصل ما ذكره المؤرخون كما نقل عنهم الإمام المحَدّث سعيد الدين

الكازروني وصاحب البحر العميق أن البيت كان مبنيًا برضمٍ ولم يكن لها سقف وكانت كسوتها تدلّى من أعلى الجُدُر ويربط من بطنها. ثم إن امرأةً كانت تجمر الكعبة فطارت شرارة إلى الكسوة فأحرقتْ البيت وتوهَّنتْ جدرانها وتصدّعت. وكانت السيول متواترة فجاء سيْل عظيم فدخل الكعبة فصدّع جدرانها ففزعت قريش وهابوا هدْمَها مخافة العذاب. إنْ مَسُّوها وكانوا يتشاورُون في ذلك إذ أقبلتْ سفينة للروم على جدّة فانكسرتْ فاشْتَروْا خشبها. وكان في السفينة روميّ بحار يقال له "باقوم" فلما قدموا بالخشب مكة قالوا: لو بنيْنا بيت ربّنا، فاجتمعوا وتعاونوا في النفقة ونقلُوا الحجارة ورسول الله ﷺ معهم تبركا بالكعبة، فلما جمعوا الآلات غَدَوْا على هدْمها فخرجت الحيّة [٢٢١] السوداء الرأس منذ سمعت هذا الحديث من أبي عبد الرحمن. قال محمد بن ناصر: ما دعوت الله فيه بشيء قط إلاّ استجابَ لي منذ سمعتُ هذا الحديث من أبي بكر. قال ابن الجوزي: ما سمعتُ لفظ ابن ناصر في هذا، بَلَى أنا دعوتُ الله فاستجاب لي. قال الصاحب محيي الدين: وأنا دعوتُ الله واستجاب لي[1]. قال الشيخ مجد الدين عبد الصمد: وأنا دعوتُ الله عند الملتزم فاستجاب لي، قال الشيخ تقي الدين الدقوقي: وأنا [٢٣٤] دعوتُ الله عند الملتزم فاستجاب لي، قال المولى المحدّث الكازروني: وأنا دعوتُ الله عند الملتزم فاستجاب لي.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه قال: طفتُ مع عبد الله بن عمرو فلما جئنا دبر الكعبة قلت: ألا تتعوّذ؟ قال: أعوذ بالله من النار، ثم مضى حتى إذا استلم الحجر قام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه بسطًا وقال: هكذا رأيتُ رسول الله ﷺ يفعل. رواه الأزرقي وأبو داود وابن ماجة.

وعنه عن أبيه أنه قال: طاف محمد بن عبد الله بن عمرو مع أبيه عبد الله بن

(١) جملة سقطت من النسخة أ.

عمرو بن العاص فلمّا كان في السابع أخذ بيده إلى دبر الكعبة قال فجبَذَه وقال أحدهما: أعوذ بالله من النار، وقال الآخر: أعوذ بالله من الشيطان، ثم مضى حتى أتى الركن فاستلمه ثم قام بين الركن والباب فألصق وجهه وصدره بالبيت وقال: هكذا رأيتُ رسول الله ﷺ فعل. رواه الأزرقي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: الملتزم ما بين الركن والباب، رواه الطبراني. وسُمّي الملتزم لأن الناس يلتزمونه. وعن عبد الرحمن بن صفوان قال: رأيت رسول الله ﷺ بين الركن والباب واضعًا وجهه على البيت. رواه أحمد. وعن ابن عباس -رضي الله [٢٣٥] عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (بين الركن والمقام ملتزم ما يدعو به صاحب عاهة إلاّ برئ) رواه الطبراني في الكبير.

وعنه -رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: (ما دعا أحد في هذا الملتزم إلاّ استُجيبَ له) رواه الديلمي. وعنه -رضي الله عنه - أنه قال: (من دعا في الملتزم من ذي غمّ أو كربة فرّج الله عنه)، نقله الدميري في الديباجه. وعن عطاء قال: مرّ ابن الزبير بعبد الله بن عباس -رضي الله عنهم - بين الباب والركن الأسود فقال: ليس ههنا الملتزم، والملتزم دبر الباب، قال ابن عباس -رضي الله عنهما -: هناك ملتزم عجائز قريش.

وعنه قال: طاف عبد الملك بن مروان والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أسبوعهما حتى إذا كان في دبر الكعبة تعوذ عبد الملك فقال الحارث تدري مَن أحدث هذا؟ عجائز قومك، أخرجهما الأزرقي. وكان جماعة من السلف منهم القاسم بن محمد وعمر بن عبد العزيز -رحمهما الله - أن ذلك الملتزم وهذا المتعوّذ كأنه جعل ذلك موضع رغبة وهذا موضع استعاذة. وعن مجاهد قال: قال معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما -: من قام عند ظهر البيت فدعا استُجِيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، أخرجه الأزرقي.

[٢٣٦] وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ كان يدعو بين الباب والحجر (اللّهم إني أسألك ثواب الشاكرين، ونُزُل المقرّبين، ويقين الصادقين، وحُلة المتقين، يا أرحم الراحمين) أورده الطبراني.

وعن أبي سليمان الداراني قال: وقف رجل على باب الكعبة حين فرغ من الحج فقال: الحمد لله بجميع محامده ما علمتُ منها وما لم أعلم، وعلى جميع نِعَمِه كلها ما علمتُ منها وما لم أعلم، لدى خلقتهم كلهم ما علمت منها وما لم أعلم، ثم قفل إلى بلده فحجّ مِن قابل فوقف على باب الكعبة وذهب يقول مثل مقالته فنُودي: يا عبد الله أتعبتَ الحفَظَة من عام أول إلى الآن فما فرغوا مما قُلْتَ. أورده صاحب البحر العميق. وعن معروف الكرخي -رحمه الله- قال: ودّع رجل البيت -يعني الكعبة- فقال: اللهم لك الحمد عدد عفوك عن خلقك. ثم حج من قابل فقالها فسمع صوتا: ما أحصيناها مُذْ قلتَ عام أول.

وفي رسالة الحسن البصري: قال رسول الله ﷺ: (إن خير البقاع وأقربها إلى الله بين الركن والمقام). ويروى عن أبي هريرة وسعيد بن جبير وزين العابدين أنهم كانوا يلتزمون ما تحت الميزاب من الكعبة. أورده صاحب البحر العميق وغيره.

وعن أبي صالح قال: بلغنا أن آدم [٢٣٧] -عليه الصلاة والسلام- صلى ركعتين تحت ميزاب البيت ثم قال: اللّهم رب كل شيء، وخالق كل شيء، ناصية كل شيء بيدك، أسألك بجميع محامدك عليّ وجميع نعمك أن تُلَقّنني أحبّ الكلمات إليك. قال فحين رفع رأسه لُقّنَ هؤلاء الكلمات: أسألك يا الله القريب الرقيب، الحافظ الرؤوف الرحيم، يا الله الحي الجليل الغفور الرحيم، يا الله الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، أن تعصمني في دار الدنيا أبدًا. فقال الله -عزّ وجلّ-: حقٌ عليَّ أن لا يدعوني بها أحد من ذريتك إلاّ حُلْتُ بين قلبه

وبين وسواس الشيطان أورده الإمام صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي[1] في عدته.

وعن ابن جريج قال: الحطيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر. وسُمّي هذا الموضع حطيما لأن الناس كانوا يُحطمون هناك بالأيمان ويستجاب فيه الدعاء للمظلوم على الظالم، فقلّ مَن دعا هناك على ظالم إلاّ هلك، وقلّ مَن حلف هنالك آثما إلاّ عجّلت له العقوبة. وكان ذلك يحجز بين الناس من المظالم ويتهيّب الناس الأيمان هنالك. فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله بالإسلام فأخّر الله ذلك لما أراد إلى يوم القيامة. رواه الأزرقي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: الحطيم الجدار يعني جدار حجر الكعبة. أخرجه أبو داود. قال في البحر العميق: والمشهور عند الأصحاب [٢٣٨] أن الحطيم اسم للموضع الذي فيه الميزاب وبينه وبين البيت فُرْجَةٌ فَسُمّيَ هذا الموضع حطيما لأنه محطوم من البيت أي مكسور منه، فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، وقيل فعيل بمعنى فاعل، أي حاطم كعليم بمعنى عالم لأنه جاء في الحديث (من دعا على من ظلمه فيه حطمه الله) ويسمّى أيضا حِجرًا -بكسر الحاء المهملة - لأنه حُجِرَ من البيت أي منع منه، ويسمى حظيرة إسماعيل لأن الحِجر قبل الكعبة كان زربًا لغنم إسماعيل.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما -: من طاف فليطف من وراء الحِجر، ولا تقولوا الحطيم، وكره له هذا الاسم، انتهى. وفي موطإ مالك -رضي الله عنه -: بلغني أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قضى طوافه وركع ركعتين وأراد أن يخرج إلى السعي يستلم الركن الأسود قبل أن يخرج. وفي حديث جابر الطويل:

---

(١) دمشقي توفي سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م. لم نعرف له كتابًا بعنوان العدة. انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٤: ١٢٦.

فلما دنا رسول الله ﷺ من الصفا قرأ ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[1] الآية (أبدأ بما بدأ الله به) فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة. أخرجه مسلم.

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ لما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه ثم نظر إلى البيت ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو ما شاء الله أن يدعو، أخرجه مسلم. وعن جابر [٢٣٩] بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا وقف على الصفا يكبّر ثلاثا ثم يقول (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو، ويصنع على المروءة مثل ذلك. زاد في رواية (يُحيي ويُميتُ وهو على كل شيء قدير). وفي رواية قال ثلاث مرات (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له) إلى آخره فكبر الله وحمده ثم دعا ما قدّر له ثم مشى حتى أتى المروة وصعد فيها ثم بدا له البيت فقال (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ثلاث مرات وسبّحه وحمده ثم دعا بما شاء الله، ثم فعل هذا حتى فرغ من الطواف. أخرجه النسائي بطرقه وفي حديث جابر الطويل: نزل من الصفا إلى المروة حتى إذا أنصبتْ قدماه رَمَل في بطن الوادي حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة.

وعن بنت أبي تجراة[2] واسمها حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار قالت: دخلتُ مع نسوة من قريش دار أبي حسين ننظر إلى رسول الله ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وإن مئزره ليدور من شدة السعي حتى لأقول إني لأرى ركبته، وسمعتُه يقول (اسعَوْا فإن الله كتب عليكم السعي) أخرجه الشافعي في مسنده والدارقطني، وأخرجه أحمد مختصرا. وعن امرأة من بني نوفل أن النبي ﷺ كان

(١) القرآن: البقرة ١٥٨.

(٢) ترجمها ابن الأثير في أسد الغابة ٥: ٤٢١.

يقول بين الصفا والمروة (رب اغفر وارحم، إنك أنت الأعزّ الأكرم). وعن أم سلمة -رضي الله عنها - قالت [٢٤٠] كان رسول الله ﷺ يقول في سعيه (رب اغفر وارحم، واهدني السبيل الأقوم) أخرجهما المُلاّ في سيرته. وعن أنس عن النبي ﷺ أنه قال (الطواف بين الصفا والمروة يعدل سبعين رقبة). رواه سعيد بن منصور.

قال ابن جماعة: واختلف العلماء هل المروة أفضل أم الصفا؟ ففضّل الشيخ عز الدين بن عبد السلام المروة على الصفا لأنه يزورها من الصفا أربعا ويزور الصفا منها ثلاثا، وما كانت العبادة فيه أكثر فهو أفضل. وتبعه في ذلك تلميذه الشيخ شهاب الدين القرافي المالكي. قال ابن جماعة: وفي ذلك نظر، ولو قيل بتفضيل الصفا لأن الله تعالى بدأ به لكان أولى وأظهر، وكذلك لو قيل بتفضيل المروة لاختصاصها باستحباب النحر والذبح فيها دون الصفا لكان أظهر مما قاله. انتهى كلامه وبه ينتهي هذا الباب ويكون عليه اختتامه، وبالصلاة على النبي الكريم ﷺ ختامه، صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله وصحبه ما استحبّ تقبيل الركن وسنّ استلامه، وما دام رحمة الله تعالى نازلة على هذا البيت الشريف ومكرمته وأنعامه، آمين آمين.

الباب السادس

وعيد من أساء الأدب في هذا البيت الشريف

الباب السادس

في وعيد من أساء الأدب في هذا البيت الشريف

وسرعة [٢٤١] العقوبة فيه والوبال

كما أنذر الله تعالى عن ذلك في أصدق المقال حيث قال الله تعالى العزيز الحكيم ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١].

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾[٢].

أما الأحاديث فمنها ما روى الحاكم وابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان أن النبي ﷺ: قال (ستة لعنهم الله -عزّ وجلّ - وكلّ نبي مجاب: المكذِّب بقدَر الله تعالى، والزائد في كتاب الله تعالى، والمتسلط بالجبروت يذلّ مَن أعزّ الله ويعز من أذل الله، والمستحلّ حرم الله، والمستحل من عِترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي).

وفي رواية رزين في مسنده والبيهقي في المدخل عن عائشة -رضي الله عنها - قال: قال رسول الله ﷺ: (ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة: الزائد في كتاب

(١) القرآن: الحج ٢٥.

(٢) القرآن: الفيل ١ -٥.

الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلّط بالجبروت ليعز مَنْ أذله الله ويذلّ من أعزه الله، والمستحّل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنتي). قوله: والمستحلّ لحرم الله يحتمل أن يكون المراد الحرم الشريف وهو المتبادر، ويحتمل أن يكون المراد جميع ما حرّم الله، وحينئذ فاستحلال [٢٤٢] الحرم من جزئياتِه وكذلك ما قبله وما بعده، لكن الأول أظهر.

وعن طلق بن حبيب عن عمر أنه قال: اتقوا الله في حرمكم هذا، أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا من قبلكم؟ كان فيه بنو فلان فأحلوا حرمته فهلكوا، وبنو فلان فأحلوا حرمته حتى هلكوا، حتى عدّ ما شاء الله. ثم قال والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحبّ إليّ من أن أعمل واحدة بمكة. رواه البيهقي في شُعب الإيمان. قال مجاهد حذّر عمر قُريشًا الحرم قال: كان بها ثلاثه أحياء من العرب فهلكوا. لأن أخطئ ثنتيْ عشرة خطيئة بركْبَة أحبّ إليّ أن أخطئ خطيئة واحدة إلى ركنها، رواه الأزرقي.

وفي البحر العميق: قال ابن عباس -رضي الله عنهما- حين اختار المقام بالطائف وحواليه على مكة: لأنْ أُذنِب سبعين ذنبًا بركْبَة أحبّ إليّ من أن أُذنِبَ واحدا بمكة. وركْبَة -بفتح الراء وضمّها. موضع بقرب الطائف كثير العشب والماء[1].

وقال عمر -رضي الله عنه-: خطيئة أصبتها بمكة أعزّ عليّ من سبعين خطيئة في غيرها. وقال ابن مسعود: ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمّ قبل العمل إلاّ بمكة، وتلا ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.[2]

وقال أحمد بن حنبل: لو أن رجلا بعَدَن همّ بأن يقتل عند البيت أذاقه الله من العذاب الأليم، ثم قرأ الآية. وفي الاختيار شرح المختار أنّ في الحديث أنّ الحسنة

---

(١) ياقوت الحمري: معجم البلدان ٣: ٦٣ -٦٤.

(٢) القرآن: الحج ٢٥.

تُضاعف فيه إلى [٢٤٣] مائة ألف وأن السيئة كذلك. قال ابن جماعة: واختلفوا في تضعيفها فقيل: كمضاعفة الحسنات بالحرم، وقيل: كمضاعفة الحسنات خارج الحرم. قال وهو خرج منفي بما وضح من القرآن المجيد قال تعالى ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[1] وأكثر أهل العلم على أن السيئة لا تضاعف بمكة للآية المتقدمة. وكان ابن عباس -رضي الله عنهما - يقول: الاحتكار بمكة من الإلحاد، انتهى.

وعن أبي يعلي بن أمية قال: قال رسول الله ﷺ: (احتكار الطعام في الحرم إلحاد) رواه أبو داود. وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (احتكار الطعام بمكة إلحاد) رواه الطبراني في الأوسط.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال (الإلحاد في الحرم ظلم الخادم فما فوق ذلك) رواه الأزرقي. قال مجاهد: إن السيئة تُضاعَف بمكة كما تُضاعف الحسنة. وسئل أحمد هل تُكتَب السيئة أكثر من واحدة؟ قال: لا، إلاّ بمكة لتعظيمها. قال بعض العلماء: وظاهر كلام مجاهد أنّ السيئة تبلغ في التضعيف مبلغ الحسنة وهو مائة ألف، انتهى. ويدلّ لذلك ما رواه الأزرقي عن ابن جريج أنه قال: بلغني أن الخطيئة بمكة بمائة خطيئة والحسنة على نحو ذلك، يعني تستوي مضاعفة الحسنة والسيئة فيه ولكن الأظهر في [٢٤٤] قول مجاهد: إنّ التشبيه في مطلق المضاعفة، ألا ترى إلى قول عمر -رضي الله عنه - أعظم من عشر خطيئات واثنتيْ عشرة خطيئة وسبعين خطيئة، وأيضا فقواعد الشريعة في باب المضاعفة المحققة مقتضية أنّ السيئة عُشُر الحسنة. فإذا كانت الحسنة بمائة ألف كانت السيئة بعشرة آلاف.

ولا دلالة في قول ابن جريج على المساواة لأن المائة في عبارته كناية عن

---

(١) القرآن: الأنعام ١٦٠.

التكثير وليس المراد حقيقة مفهوم العدد، لصحة الأحاديث في أن الحسنات في مكة بمائة ألف، ونحو ذلك واقع كثيرًا في كلام العرب يعبرون بسبعة وسبعين وأربعين ومائة ونحو ذلك يريدون العدد الكثير. فحينئذ يكون معناه أن السيئة تُكتب بمكة سيئات كثيرة وكذلك الحسنات وأعداد كلٍّ والتفاوت بينهما يعلَم مِن قواعد الشريعة في مقدار المضاعفة. وكذا لا دلالة في الحديث الذي رواه صاحب الاختيار لجواز أن يكون قوله كذلك عائدًا إلى تضاعفٍ فقط.

قال بعض المتأخرين: قول مجاهد وأحمد بن حنبل تبعًا لابن عباس وابن مسعود في تضعيف السيئات إنما أرادوا مضاعفتها في الكيفية دون الكمّية إذ ليس مَن عصى الملك على بساط ملكه كغيره، انتهى. وهذا القول لا نزاع فيه لاتفاق كلّ من قال بالتضعيف وعدمه على ذلك. فإنْ قيل: هل تكون [٢٤٥] السيئة مغلّظة وهي واحدة أو كونها مائة ألف سيئة عددًا أي سواء كان ذلك كله بمنزلة تلك الواحدة أم لا ثمرة؟ قلنا: نعم لأنه ورَدَ: من زادت حسناته على سيئاته في العدد دخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته في العدد دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف، والله أعلم.

وبالجملة فأمر الذنب بمكة يربو على الذنب في ما عداه من البلدان وهو حريّ بأن يورِثُ المقْتَ، إذ المعصية في حرم السلطان وفناء بيته ليس كالمعصية في ما يبعد عن تلك الحال، لأن المنابذة لأحكام السلطان هناك أظهر. وقد جعل الله مكة حرمه وجعل بيته فيها، ولله المَثَل الأعلى، فلا جَرَم وفي المعصية مع أنّ المعصية الواحدة في الحرم يلزم ثلاث معاصٍ محققًا لأنه يلزم فيها ارتكاب الأمر المنهي عنه على العموم وعليه به إثم، والثاني أنه مأمور بتعظيم الحرم قد خالف ذلك، والثالث أنه قد علم من الشريعة الغراء والملة الزهراء تضاعُفُ الذنب في شرائف الأزمان والأحوال فكذا في شرائف الأمكنة، ألا ترى ما يترتب على الرفث في مدة

الإحرام وما يترتب من تغليط دية الخطأ في الحرم وفي الأشهر الحرم؟ وقول الله تعالى لنساء نبيه ﷺ ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾[1] [٢٤٦] فانظر كيف صارت معصيتهن إن وقعت ضعفين لشرفهن. وقد قال الله تعالى في أجرهن ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾[2] فأي مكان فيه الشرف أكثر فالمعصية فيه أقطع وأشنع لأن الشامة السوداء في البيضاء أظهر، ألا ترى إلى قولهم "حسنات الأبرار سيئات المقربين" والله أعلم.

ثم نذكر نبذًا من حكاياتٍ وأخبار، ليحصل بهذا التحقيق في القلب قرار.

فمنها قصة أصحاب الفيل وهي معلومة مشهورة، ويكفيك بمحمل قصتها ما أفادتك سورة الفيل.

ومنها عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال أقبل تُبَّعُ يريد الكعبة حتى إذا كان بكراع الغميم[3] بعث الله عليه ريحًا لا يكاد القائم يقوم فيها إلاّ بمشقة ويذهب القائم ليقعد فينصرع، وقامت عليهم ولَقُوا منها عناءً قال ودعا تُبّع حِبْرَيْن فسألهما: ما هذا الذي بُعِث عليَّ؟ قالوا: أتؤمّننا؟ قال: أنتم آمنون، قالا: فإنك تريد بيتًا يمنعه الله ممن أراده، قال: ومن يُذْهِب عني هذا؟ قالا: تجرّد في ثوبين تقول: لبيك لبيك ثم تدخل تطوف بذلك البيت ولا تُهِجْ أحدًا من أهله. قال فإن أجمعتَ على هذا ذهبتْ هذه الريح. قال: نعم، فتجرّد ثم لبَّي. قال ابن عباس -رضي الله عنهما -:فأدبرت الريح كقطع الليل المظلم. رواه البيهقي في

---

(١) القرآن: الأحزاب ٣٠.

(٢) القرآن: الأحزاب ٣١.

(٣) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة قريب من عسفان. ياقوت الحمري: معجم البلدان ٤: ٤٤٣.

شعب الإيمان [٢٤٧].

ومنها عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة زوج النبي ﷺ ورضي عنها — قالت: قال رسول الله ﷺ: (يغزو جيشٌ الكعبة فإذا كان ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم[1] قالت فقلت: يا رسول الله كيف تخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يُخْسَف بأولهم وآخرهم ثم يحشرون على نياتهم) متفق عليه، وهذا لفظ البخاري. وعن صفية -رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا ينتهي الناس عن غزو هذا البيت حتى يغزو جيش حتى إذا كانوا بالبيداء أو بيداء من الأرض خُسِف بأولهم وآخرهم ولم ينجُ أوسطهم. قيل: فإن كان فيهم من يكره ذلك؟ قال يبعثهم الله على ما في أنفسهم) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة.

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تنتهي البعوث عن غزو هذا البيت حتى يُخْسَف بجيش منهم) رواه النسائي والحاكم.

ومنها ما روي أن الحجاج بن يوسف نصب المنجنيق على أبي قبيس بالحجارة والنيران فاشتعلتْ أستار الكعبة بالنار فجاءت سحابة من نحو جدة يُسْمَع منها الرعد ويُرى البرق فأمطرتْ فما جاوز مطرها الكعبة والمطاف فأطفأت النار، وأرسل الله عليهم صاعقة فأحرقت منجنيقهم فتداركوه. قال [٢٤٨] عكرمة: وأحسبُ أنها أحرقت تحتهم أربعة رجال، فقال الحجاج: لا يهولنّكم هذا فإنها أرض صواعق، فأرسل الله صاعقة أخرى فأحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلا. وذلك سنة ثلاث وسبعين في أيام عبد الملك بن مراوان. وأورد الإمام الدينوري في المجالسة: عن إبراهيم بن جيب حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عمرو قال: إني لفوق أبي قبيس

(١) جملتان سقطتا من النسخة ب.

حين وُضع المنجنيق على ابن الزبير فنزلت صاعقة كأني أنظر إليها تدور كأنها خِمار أحمر فأحرقت أصحاب المنجيق نحوا من خمسين رجلا.

ومنها أن أبا طاهر سليمان بن الحسن القرمطي لما قلع الحجر الأسود وأصعد رجلا ليقلع الميزاب فتردَّى على رأسه ومات. ثم انصرف ومعه الحجر الأسود وعلّقه على الاسطوانة السابعة من جامع الكوفة لكونه يعتقد أن الحجّ ينتقل إليها. واشتراه منه المطيع لله أبو القاسم، وقيل أبو العباس، الفضل ابن المقتدر بثلاثين ألف دينار. وأعيد إلى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة [٣٣٩ هـ / ٩٥٠ -٩٥١ م] وبقي عندهم اثنين وعشرين سنة إلاّ شهرًا. ولما أخذه القرمطي هلك تحته أربعون جملا، وقيل: ثلاثمائة، وقيل: خمسمائة. ولما أُعيد إلى مكة حُمِل على قعود أعْجَف فسمن تحته.

ومنها عن عبد [٢٤٩] الأعلَى بن عبد الله بن عامر بن كريز أنه قدم مع جدّته أم عبد الله بن عامر معتمرة فدخلت عليها صفية بنت شيبة فأكرمتها وأجازتها، فقالت صفية: ما أدري ما أُكرِم به هذه المرأة؟ أما دنياها فعظيمة فنظرت حصاة مما كان نَفَرَ من الركن الأسود حين أصابه الحريق فجعلتها في حُقّ ثم قالت لها: انظري هذه الحصاة فإنها حصاة من الركن الأسود فاغسليها للمرضى فإني أرجو أن يجعل الله لهم فيها الشفاء، فخرجت في أصحابها. فلما خرجتْ من الحرم ونزلت في بعض المنازل صُرِع أصحابها فلم يبق منهم أحد إلاّ أخذته الحمَّي، فقامت وصلّتْ ودعتْ ربها ثم التفتت فقالت: ويحْكُم انظروا في رحالكم ما ذا أخرجتم من الحرم؟ فما الذي أصابكم إلاّ بذنب، قالوا: ما نعلم أنا أخرجْنا من الحرم شيئا، قال فقالت: لهم أنا صاحبة الذنب، انظروا أمثلكم حياة وحركة فقالوا لا نعلم منا أحدًا أمثل من عبد الأعلى، قالت: فشدُّوا له راحلة ففعلوا ثم دعته فقالت: خذ هذا الحقّ الذي فيه الحصاة فاذهب بها إلى صفية

بنت شيبة فقلْ لها: إن الله وضع في حرمه وأمنه أمرًا لم يكن لأحد أن يُخرِجه من حيث وضعه الله، فخرجنا بهذه الحصاة فأصابتنا فيها بليّة عظيمة فصرع أصحابنا كلهم فإياك أن تخرجيها من حرم الله. فقال عبد الأعلى: فما هو إن دخلت الحرم فجعلنا نُبْعَثُ [٢٥٠] رجلا رجلا.

ومنها ما يروى أن خمسة من جرْهم تواعدوا أن يسرقوا ما في خزانة الكعبة من الحلي فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله أعلاه أسفله وسقط منكّسًا فهلك وفرّ الأربعة وبعث[1] الله حية سوداء الرأس وما سوى ذلك أبيض فحرست البيت خمسمائة سنة لا يقربه أحد إلاّ أهلكته. فلم يزل كذلك حتى بنتْه قريش، رواهما الأزرقي. وفي البحر العميق: وقيل: إنه نزل فدخل بئر الكعبة ليأخذ المال فنزل حجر فسد رأسها.

ومنها عن مسعر عن علقمة بن مرثد قال: بينما رجل يطوف بالبيت إذ برق له ساعد امرأة فوضع ساعده على ساعدها يتلذذ به فالتصقت ساعداهما. فأتى بعض الشيوخ فقال: ارجع إلى المكان الذي فعلتَ فيه فعاهِدْ ربَّ البيت أن لا تعود، ففعل فخُلّي عنه.

ومنها عن أبي بشر عن أبي نجيج: أنّ يسافًا ونائلة، رجل وامرأة حجًّا من الشام قبلها وهما يطوفان فمُسِخَا حجريْن فلم يزالا بالمسجد الحرام حتى جاء الله بالإسلام فأُخرِجا.

ومنها عن أبي نجيج عن أبيه عن حويطب بن عبد العزي قال: كنا جلوسًا بفناء الكعبة إذ جاءت امرأة إلى البيت تعوذ من زوْجها فجاء زوجها فمدّ يده إليها فيبستْ يده، فأنا رأيته بعد في الإسلام وأنه أشلّ. أوردهن ابن الجوزي. وذكر في البحر العميق قال: إنه كان [٢٥١] في الجاهلية خلق أمثال لحم البُهْم يُدخل

---

(١) سقطت من النسخة ب ورقة كاملة، هنا نهايتها.

الخائف يده فلا يريبه[1] ذهب خائف يدخل يده فيها فاجتذبه رجل فشُلّتْ يمينه فأدرك الإسلام وإنه لأشلّ.

ومنها عن عبد العزيز بن أبي رواد: أن قوما انتهوا إلى ذي طوى ونزلوا بها فإذا ظبي قد دنا فأخذ رجل منهم بقائمة من قوائمه فقال له أصحابه: ويحك أرْسِلْه، قال: فجعل يضحك ويأبَى أن يُرسِله فبعر الظبي وبال، ثم أرسله فناموا في القائلة فانتبه بعضهم فإذا بحية منطوية على بطن الرجل الذي أخذ الظبي فقال له أصحابه: لا تتحرك وانظر ما على بطنك، فلم تزل الحية عنه حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الظبي.

ومنها عن مجاهد قال: دخل قوم مكة تجارًا من الشام في الجاهلية بعد قصي ابن كلاب فنزلوا ذا طوى تحت سمرات يستظلون بها فاختبزوا ملّة لهم ولم يكن معهم أدم، فقام رجل منهم إلى قوسه فوضع عليها سهما ثم رمى بها ظبية من ظباء الحرم، وهي حولهم ترعى، فقاموا إليها فسلخوها وطبخوها ليأتَدِموا بها. فبينما قِدْرهم على النار تغلي بلحمه وبعضهم يشوي إذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا ولم تحترق ثيابهم ولا أمتعتهم ولا السمرات التي كانوا تحتها. أخرجهما الأزرقي.[2] وقد تقدم أن نحو ذلك وقع في وادي [٢٥٢] محسر لرجل كان يصيد فيه.

ومنها ما رُوي أن بعض الناس نظروا في الطواف نظرًا مُحرّمًا فسالتْ عينه على خدّه. ومنها ما يُروى أن خمسين رجلا من بني عامر بن لؤي حلفوا في الجاهلية عند البيت على قسامة وحلفوا على باطل ثم خرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة فبيناهم قائلون إذ أقبلت الصخرة عليهم

---

(١) كذا وردت الجملة بالنسختين.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة ٢: ١٤٥ -١٤٦.

فخرجوا من تحتها يشتدّون فانفلقت خمسين فلقة فأدركتْ كلّ فلقةٍ رجلاً فقتلته.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - وذكر ما كان يُعاقَب به مَن حلفَ على ظلم فقال: إن الناس اليوم ليركبون ما هو أعظم من هذا ولا يعجّل لهم العقوبة مثل ما كانت لأولئك، فما ترون ذلك؟ فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين، قال: إن الله -عزّ وجلّ - عجّل في الجاهلية إذ لا دين حرمة حرمها وعظمها وشرفها، وعجّل العقوبة لمن استحلّ شيئا مما حَرّم لينتهوا عن الظلم مخافة تعجيل العقوبة. فلما بعث الله تعالى محمدًا ﷺ توعّدهم في ما انتهكوا مما حرم بالساعة فقال ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[1] فأخّر العقاب إلى يوم القيامة.

وعن طاووس —رحمه الله تعالى – قال: كان أهل الجاهلية لا يصيبون في الحرم شيئا إلاّ عجّل له، حتى لو عاذتْ به أمةٌ سوداء لم يعرض لها أحدٌ، ذكرهن [٢٥٣] في البحر العميق. والحكايات والآثار كثيرة ما أمللنا، ولو ذكرنا جميعها لأطلنا، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[2] ويكفي للاعتبار ما ذُكِر لمن كان له عقل وهو رشيد، اللّهم وفّقنا لما تحبّ.

---

(١) القرآن: القمر ٤٦.

(٢) القرآن: ق ٣٧.

الباب السابع

منافـــع مـــاء زمـــزم

الباب السابع

في منافع ماء زمزم الذي هو شراب الأبرار

وفي بيان ما فيه من الفوائد والأسرار

أما ذكرها في القران ففي قوله تعالى ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾[1] الآيتين. وفي الكشاف: رُويَ أن المشركين قالوا لليهود: نحن سقاة الحجيج وعُمَّار المسجد الحرام فنحن أفضل أم محمد وأصحابه؟ فقالت لهم اليهود: أنتم أفضل. وقيل: إن عليا قال للعباس: يا عمّ ألا تهاجرون إلاّ تلحقون برسول الله ﷺ؟ فقال: ألستُ في أفضل من الهجرة؟ أسقي حاجَّ بيت الله الحرام وأعمر المسجد الحرام. فلمّا نزلت قال العباس: ما أراني إلاّ تاركٌ سقايتنا. فقال ﷺ: (أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا) انتهى.

وعن ابن خيثم قال: قدم علينا وهب بن منبّه فاشتكى فجئنا نعوده فإذا عنده ماء زمزم، قال: فقلنا له لو استغذيت فإن هذا فيه غليظ، قال: ما أريد أن [٢٥٤] أشرب حتى أُخْرِجَ منها غيره. والذي نفس وهب بيده إنها لفي كتاب الله تعالى، زمزم لا تزفّ ولا تذم، وإنها لفي كتاب الله: برّة شراب الأبرار، وإنها لفي كتاب الله مضنونة، وإنها لفي كتاب الله طعام طعم وشفاء سقم. والذي نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب حتى يتضلّع إلاّ نزعت منه داء وأحدثت له شفاء. رواه أبو سعيد بن منصور والأزرقي.

ويروى أن في بعض كتب الله المنزلة زمزم لا تزف ولا تذم ولا يعمد إليها امرؤ يتضلع منها ريًّا ابتغاء بركتها إلا أخرجت منه مثل ما شرب من الداء، وأحدثت

---

(١) القرآن: التوبة ١٩ -٢٠.

له شفاء، والنظر إليها عبادة، والطهور منها يحط الخطايا، وما امتلأ جوف عبد من زمزم إلاّ ملأه الله علما وبرّا. أورده في البحر العميق.

وعن كعب أنه قال: لَزَمزم أنّا نجدها مضنونة ضنّ بها لكم، وأول من سقي ماؤها إسماعيل ﷺ طعام طعم وشفاء سقم، رواه الأزرقي. ومضنونة من أسمائها سُمّيت ما لذلك وإما لما قاله وهب بن منبّه لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين فلا يتضلّع منها منافق. وقيل: لأن عبد المطلب قيل له في المنام: احفرْ المضنونة ضَنَنْتُ بها على الناس لا عليك.

وأما تسميتها زمزم فقال الجوهري: زمزم بزمة الماء، وهو صوته، وقال [٢٥٥] المسعودي: لأن الفُرس كانت تحجّ إليها في الزمن الأول فتُزمْزِم عندها. والزمزمة صوت يخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء، وأنشد:

زمرمت الفرس على زمزم ذلك في سالفها الأقْدم

وذكر البرقي عن ابن عباس -رضي الله عنهما - أنها سُمّيتْ زمزم لأنها زمّتْ بالتراب لئلا يسيح الماء يمينا وشمالا ولو تُرِكتْ لساحَتْ على الأرض حتى تملأ كل شيء.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (ماء زمزم لما شُرِب له فإن شربْتَه تستشفي به شفاك الله، وإن شربته مستعيذا أعاذك الله، وإن شربْتَه ليقطع ظماءك قطعه). وكان ابن عباس -رضي الله عنهما - إذا شرب ماء زمزم قال: اللّهم إني أسألك علْما نافعًا ورزقًا واسعًا وشفاء من كل داء، رواه الحاكم. قال ابن العربي: وهذا موجود فيه إلى يوم القيامة يعني العلم والرزق والشفاء، لمن صحَّتْ نيته وسلمتْ طويّته ولم يكن به مكذّبا ولا يشربه مجربا فإن الله مع المتوكلين وهو يفضح المجّربين. ورواه الدارقطني وقال -بدل قوله وإن شربته مستعيذًا أعاذك، وإن شربته ليشبعك أشبعك الله - وزاد وهي عزمة

جبريل -عليه السلام - وسقيا الله إسماعيل -عليه الصلاة والسلام -، وكذلك رواه [٢٥٦] الديلمي.

وعن جابر -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ماء زمزم لما شرب له من شرب لمرض شفاه الله أو لجوع أشبعه الله أو لحاجة قضاها الله) رواه المستغفري[1] في الطب.

وعن صفية -رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم شفاء من كل داء» رواه الديلمي في الفردوس. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: (الحُمّى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم) رواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وابن حبان وانفرد البخاري بإخراجه وقال: فأبردوها بالماء أو بماء زمزم.

قال المحب الطبري: وربما طُلِب هذا الحديث في مَظَنّة فلا يوجد فيُظنّ أنه ليس فيه، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: كان أهل مكة لا يسابقهم أحد إلاّ سبقوه ولا يصارعهم أحد إلاّ صرعوه، حتى رغبوا عن ماء زمزم فأصابهم المرض في أرجلهم. رواه أبو ذر. وعن عبد الله بن المؤمّل عن ابن الزبير -رضي الله عنهما - عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: (ماء زمزم لما شرب له) أخرجه الأزرقي وابن ماجة والبيهقي، وقال: إن عبد الله بن المؤمل تفرّد به وهو ضعيف وضعّفه النووي في شرح المهذّب من هذا الوجه، لكن صحّ من طريق آخر، وهو حديث [٢٥٧] عبد الله بن المبارك أنه أتى ماء زمزم فاستسقى منه شربة ثم استقبل الكعبة فقال ابن أبي الموالي حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: (ماء زمزم لما شُرِبَ له وهذا أشربه لعطشِ يوم القيامة ثم شربَهُ) أخرجه الحافظ شرف

---

(١) هو جعفر بن محمد النسفي محدث مؤرخ توفي ٤٣٢ هـ / ١٠٤١ م. ابن العماد: شذرات الذهب ٣: ٢٤٩ -٢٥٠.

الدين الدمياطي وقال: إنّ على رسم الصحيح قوله (لما شرب له) معناه مَن شربه لحاجة نالها. وقد جربها العلماء الصالحون لحاجات أخروية ودنيوية فنالوها بحمد الله وفضله.

وفي البحر العميق نقلا عن مناسك العجمي: ينبغي لمن أراد شربه للمغفرة أن يقول عند شربه: اللّهم إني أشربه للمغفرة، اللّهم فاغفر لي. وإن أراد شربه للاستشفاء من مرض قال: اللّهم إني أشربه مستشفيا به اللّهم فاشفني، انتهى.

ولقي النبي ﷺ عمه العباس -رضي الله عنه - فقال (يا عمّ أشربتَ من ماء زمزم؟ قال: نعم، وكيف أشربه يا نبي الله؟ قال: تنزع لنفسك دلوًا فإن لم تقدر على نزعه أُعِنْتَ عليه ثم تكرع فيه وتقول: بسم الله والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات في آخره اللهم اجعل لي فيه علما نافعا ورزقًا واسعًا وشفاء من كل سقم) أورده المولى المحدث الكازروني. وعن عكرمة قال كان ابن عباس -رضي الله عنهما - إذا شرب من ماء زمزم قال: اللهم إني أسألك علمًا نافعا ورزقا واسعا [٢٥٨] وشفاء من كل داء. أخرجه ابن ماجة والدارقطني. وعن ابن جريج عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: إذا شربت ماء زمزم فاستقبل القبلة ثم قل: اللهم اجعله علمًا نافعًا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء. أخرجه سعيد بن منصور.

قال الكرماني في مناسكه: ويُستحبّ أن يستقبل البيت عند الشرب ويتنفس فيه مرات ويرفع بصره في كل مرة وينظر إلى البيت ويقول في كل مرة: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم يقول في الأخيرة بعد الصلاة: اللّهم إني أسألك رزقًا واسعًا وعلما نافعا وشفاء من كل داء وسقم يا أرحم الراحمين، ثم يمسح به وجهه ورأسه ويصبّ عليه إن تيسر، انتهى.

وظاهر هذه الأحاديث والأقوال أن الدعاء عقب الشرب ودعاء عبد الله بن المبارك كان قبل الشرب وحينئذ فالأولى أن يأتي أول غرض يشربه أوّلاً ثم يذكر

هذا الدعاء أو حاجته، والله أعلم.

وفي بعض الكتب أن واحدًا من العلماء قال: دخلتُ الطواف في ليلة ظلماء فأخذني من البول ما أشغلني فجعلتُ اعتصر حتى آذاني وخفتُ إن خرجت من المسجد أن أَطأَ بعض الأقذار وذلك أيام الحاج فذكرتُ قوله ﷺ: (ماء زمزم لما شرب له) فدخلت زمزم [٢٥٩] فتضلّعت منه فذهب عني إلى الصباح. أورده المولى سعيد الدين الكازروني في منسكه.

وعن الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى – أنه شربه للعلم فكان فيه غاية، وللرمي فكان يصيب العشره من العشرة والتسعة من العشرة. ومن ذلك أن رجلا شرب سويقًا فيه إبرة وهو لا يشعر فاعترضتْ في حلقة وصار لا يقدر أن يطبق فمه وكاد يموت، فأمره بعض الناس أن يشرب من ماء زمزم وأن يسأل الله فيه الشفاء فشرب منه شيئا بجهد وجلس عند اسطوانة في المسجد فغلبته عيناه فنام وانتَبَه من نومه وهي لا يحسّ من الإبرة شيئا وليس به بأس، ذكرهما الفاكهي.

وفي شفاء الغرام: أن رجلا من اليمن أصابه استسقاء وكان قد أيس من علاجه فأُخبر أن بمكة طبيبا حاذقا فرحل إليه فلما آتاه قال: إني لا أعالجك وأغلظ له في القول، فأيس منه، فسئل الطبيب عن ذلك فقال: إنه يموت بعد ثلاثة أيام فخشيت أن أباشر علاجه. فلما أيس منه أتى زمزم فنزع منها دلوًا وشربه فلما استقر في بطنه وجد كأنّ شيئا دار في بطْنِه وكأنه انقطع منه، فبادر إلى باب المسجد مخافة أن يلوّث المسجد فما وصل إلى باب المسجد إلاّ وحصل له إسهال عظيم ثم رجع وشرب فحصل له مثل ذلك ثم رجع وشرب فحصل له كذلك فرأى الثالثة قد ضمر بطنه، انتهى.[٢٦٠] رواية بالمعنى.

وفي صحيح البخاري إنه لما قدم أبو ذر ليسلم أقام ثلاثين بين ليلة ويوم ليس له طعام إلاّ زمزم فسمن حتى تكسّر عكن بطنه ولم يجد على بطنه سخفة الجوع.

وسخفة الجوع رقّته وهزاله، من السخف وهو رقة العيش، والسخف وهو رقة العقل، وقيل: هي الخفة التي تعتري الإنسان إذا جاع من السخف. وفي حديث أبي ذر أنه لما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال: (إنها مباركة إنها طعام طُعم) رواه مسلم وأبو داود وزاد: وشفاء سقم. قال المحدث الكازروني: طعام طعم أي طعام طاعمين كثير في الأكل لأن طُعْم جمع طَعوم وهو الكثير الأكل، انتهى.

وقالت أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ: ما اشتكى النبي ﷺ جوعًا قط ولا عطشًا كان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم فربما عرضنا عليه الغداء فيقول: أنا شبعان. وعن أبي الطفيل قال: سمعتُ ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول: كانت تسمى في الجاهلية شبّاعة -يعني زمزم- ويُزْعَمُ أنه نعم العون على العيال. وعن العباس بن عبد المطلب قال: تنافس في زمزم في الجاهلية حتى أن كان أهل العيال يغدون بعيالهم فيشربون منها فيكون صبوحًا وقد كنّا نعدّها عونًا على العيال.

[٢٦١] وعن رياح عن الأسود[1] قال: كنتُ مع أهلي في البادية فاتبعتُ بمكة فأُعْتِقتُ فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئا آكله، قال: فكنت أشرب من ماء زمزم فانطلقت حتى أتيتُ زمزم فبركتُ على ركبتي مخافة أن أستقي وأنا قائم فيرفعني الدلو من الجهد، فجعلت أنزع قليلا قليلاً حتى أخرجتُ الدلو فشربتُ فإذا بصريف اللبن بين ثناياي فقلت: لعلي ناعس فضربت بالماء على وجهي فانطلقت وأنا أجد قوة اللبن وشبعة. أخرجه الأزرقي. وفي بعض الكتب أن راعيا كان من العبّاد وكان إذا ظمأ وجد في زمزم لبنا وإذا أراد أن يتوضّأ وجد فيها ماء. أورده المحدث الكازروني في مناسكه.

---

(١) بالأصلين: رياع بن الأسود، وهو خطأ أصلحناه من أخبار مكة للأزرقي ٢: ٥٣. والنص منقول منه.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق) رواه الأزرقي. وعنه -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلّعون من زمزم) رواه البخاري في التاريخ. وعن النبي ﷺ قال: (لا يجتمع ماء زمزم ونار جهنم في جوف عبد أبدا) رواه المحبّ الطبري. ويروى: لمن شرب من أربعة أعين حرَّم الله جسده على النار: عين البقر بعكّا وعين فكوس بلبنان وعين سلوان ببيت المقدس وعين زمزم [٢٦٢] بمكة. ذكره المرجاني في بهجة النفوس.

وروي عن عبد الله بن عمرو أن زمزم عين من الجنة مِن قِبَل الركن، رواه القرطبي في التفسير. وفي مناسك ابن الحاج: العين التي تلي الركن من زمزم من عيون الجنة. وعن النبي ﷺ أنه قال (خمس من العِبَادَة: النظر إلى المصحف والنظر إلى الكعبة والنظر إلى الوالدين والنظر في زمزم -وهي محطّ الخطايا - والنظر إلى وجه العالم) رواه الفاكهي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: (خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم) أخرجه ابن حبان والطبري بسند رجاله ثقات. وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال: خير بئر في الأرض زمزم وشر بئر في الأرض برهوت يجتمع فيها أرواح الكفار. رواه عبد الرزاق.

وعن أبي الطفيل قال: سمعتُ عليا -رضي الله عنه - يقول: خير واديَيْن في الناس وادٍ بمكة ووادٍ في الهند الذي هبط فيه آدم -عليه الصلاة والسلام - ومنه يؤتى بهذا الطيب الذي بمكة. وشرّ واديَيْن في الناس وادٍ بالأحقاف وواد بحضرموت يقال له بَرَهوت وإليها يجتمع أرواح الكفار وهي بئر بَرَهوت، أخرجه الأزرقي. وروى الطبراني في الكبير عن النبي ﷺ قال: (خير ما على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم، وشر [٢٦٣] ما على وجه الأرض ماء

بوادي بَرَهوت بقرية حضرموت كرِجْلِ الجراد من الهوام تتدفق وتُمْسي لا بلال بها».

قال الطبري: وبرهوت بفتح الباب الموجردة والراء المهملة، بئر عميقة بحضرموت لا يُستطاع النزول إلى قعرها، ويقال: بُرْهوت بضم الباء والراء ساكنة فيها. وذكرها الأزرقي باللام فقال: بلْهوت[1]، والمشهور بالراء. وقيل: إن بئر بَرَهوت عين من عيون جهنم وأن جهنم في الأرض تسكن عليها الحبشة، انتهى.

وفي شفاء الغرام للفاسي: ذكر شيخنا الشيخ بدر الدين بن الصاحب المصري أنه قال: وَازنْتُ ماء زمزم بماء عيْن مكة فوجدتُ زمزم أثقل من العين بنحو الربع، ثم اعتبرتها بميزان الطب فوجدتُها تفضل مياه الأرض كلها طبًّا وشرعًا.

وعن أبي ذر -رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (فُرِج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرَج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة فأفرغها في صدري ثم أطبقه) رواه البخاري.

وذكر من خواص ماء زمزم أن ماءها يُقوّي القلب ويسكّن الروع ولذلك - والله أعلم - غسل قلب النبي ﷺ ليلة الإسراء حين شقّ صدره الكريم بماء زمزم ليقوى على رؤية ملكوت السماوات والأرض والجنة والنار.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ [٢٦٤] جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأتِ رسول الله ﷺ بشرابٍ من عندها، فقال: اسقني، فقال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه، فقال: اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون عليها فقال (اعملوا فإنكم على عمل صالح، ثم قال: لولا أن تُغْلَبوا لنزلتُ حتى أضع الحبل على هذه، وأشار إلى

(١) الأزرقي: أخبار مكة ٢: ٥٠.

عاتقه) أخرجه الشيخان.

قال الطبري: وفي قوله لنزلتُ، دليل على أنه كان راكبا. وقد اختلفت الروايات هل شرب رسول الله ﷺ قائما أو راكبا على بعير، فروى ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان قائمًا وحلف عكرمة أنه ما كان يومئذ إلاّ على بعير. أخرجه الشيخان. ويجوز أن يكون الآخر على ما حلف عليه عكرمة وهو أنه شرب وهو على الراحلة ويطلق عليه "قائم" ويكون ذلك مراد ابن عباس -رضي الله عنهما - فلا يكون بينهما تضادّ. وأن النبي ﷺ مكث بمكة قبل الوقوف أربعة أيام بلياليها من صبيحة يوم الأحد إلى صبيحة يوم الخميس. فلعل ابن عباس سقاه من زمزم وهو قائم في بعض تلك الأيام، فلا يكون بينهما تضادّ.

وفي رواية أنه قال العباس: إن هذا شراب قد معث ومرث، أفلا نسقيك لبنا وعسلا فقال (اسقونى مما [٢٦٥] تسقون المسلمين). وفي رواية قال (اسقوني من النبيذ، فقال العباس: هذا شراب قد مغث ومرث وخالطته الأيدي ووقع فيه الذباب، وفي البيت شراب هو أصفى منه، فقال: منه فاسقني، يقول ذلك ثلاث مرات، فسقاه، رواهما الأزرقي. وعن ابن حزم: أنّ ذلك كله كان يوم النحر. وقوله مَغَث ومَرَث أصل المغث المرس والدلك بالأصابع ثم استعير للضرب ليس بالشديد. والمرث هو المرس. والمعنى أنهم وسخوه لمّا خالطته أيديهم. والنبيذ كان في سقاية العباس نقيع زبيب. وفيه دلالة على أنه لا ينبغي أن يتقذر ما يجعل الناس أيديهم فيه.

وعن جابر أن رسول الله ﷺ رمل ثلاثة أطواف من الحجَر إلى الحجَر وصلّى ركعتين ثم عاد إلى الحجر ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها وصبّ على رأسه ثم رجع فاستلم الركن ثم خرج إلى الصفا فقال (أبدأ بما بدأ الله به) رواه أحمد. وفي حديث جابر الطويل: أن رسول الله ﷺ ركب فأفاض إلى البيت فصلى بمكة

الظهر، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال (لولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعتُ معكم دلوًا فشرب منه). وقال أبو علي بن السكن: الذي نزع له الدلو العباس بن عبد المطلب.

وعن رسول [٢٦٦] الله ﷺ أنه جاء إلى زمزم فنزعوا له دلوًا فشرب ثم مجّ في الدلو ثم صبوه في زمزم ثم قال (لولا أن تُغلبوا عليها لنزعتُ بيدي) رواه الطبراني وغيره. وفي رواية لأحمد أنهم لما نزعوا الدلو غسل منه وجهه ثم تمضمض ثم أعاده فيها. قال المحدّث الكازروني: وهذا شرف آخر لزمزم أنه سُؤْر رسول الله ﷺ وغسالة فمه الشريف ﷺ انتهى.

ومن شرفها أنه غُسِل بها بطْنَه الشريف وقلبه -كما مرّ - وفي ذلك دليل على فضيلتها على غيرها. قال بعضهم: لقائل أن يقول لِمَ لَمْ يغسل بماء الجنة الذي هو أطيب وأبرك؟ والجواب: إنه لو غُسل بماء الجنة دون ماء استقراره بالأرض لم يبق لأمته أثر بركته فلما غُسل بماء زمزم وهو ماء استقرّ من ماء السماء بالأرض. على ما قاله ابن عباس -رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1] فقال: كل ما في الأرض إنما هو مما ينزل من السماء. وقد جاء في الأثر: أن ما مِن مطرٍ ينزل إلاّ وفيه مزاج من الجنة وتكون البركة فيه بقدر المزاج. فعلى هذا فقد حصل ماء كله من الجنة أو بعضه من الجنة مع زيادة فوائد خمس: منها ما ذكرناه في إبقاء أثر بركته لأمتهِ، ومنها أنه خُصَّ مقره بهذه الأرض المباركة، ومنها أنه خُصَّ به [٢٦٧] الأصل المبارك وهو إسماعيل -عليه السلام -.

(١) القرآن: المؤمنون ١٨.

ومنها أنه خُصّ بما لم يُخَصَّ به غيره من المياه بأن جعل فيه لِهاجر أم إسماعيل ﷺ غذاء، فكان يغنيهما عن الطعام والشراب. ومنها أنّ ظهوره كان بواسطة الأمين جبريل -عليه السلام- فكان أصلاً مباركًا في مَقَرّ مباركٍ بواسطة فعل أمين مباركٍ فاختصّ به هذا السيد المبارك، فكان ذلك زيادة له في التشريف والتعظيم. والله تعالى يفضّل مَن يشاء من مخلوقاته حيوانًا كان أو جمادًا، انتهى.

وفي هذا الجواب تسليم بأن ماء الجنة أفضل منه. قلنا: لا نسلّم ذلك كيف وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ فضّل نساء الدنيا على نساء الجنة، كفضل الطهارة على......(1) فقالت عائشة -رضي الله عنها- ويِمَ ذلك؟ قال: بعبادتهن. فماء زمزم في محلّ يُقَام فيه العبادات بخلاف ماء الجنة بل نقول سائر مياه الأرض ما عدا المياه المغضوب عليها أفضل من مياه الجنة لذلك، ولا شك أن زمزم أفضل من مياه الأرض إما لشرف في ذاتِها أو لكونها في أرض فيها العبادات أكثر، فغُسل بمائها قلبه الشريف ﷺ. وأيضا فالمياه جميعها أو بعضها من الجنة أو أنها تعاد إليها كما ورد في الأخبار، فقد حصل لها فضْلان؛ كونها سكنت في محلّ العبادة. وينقل عن البلقيني أنه كان يفتي بأن زمزم أفضل من الكوثر، فلعله نَاظِرٌ لما ذكرناه. والأطيبية والبركة إنما تحصل بالفضل فيكون هذا أطيب وأبرك مع [٢٦٨] ما اشتمل عليه من الحكم التي ذكرها المحبّ، وعن ابن جريج أن النبي ﷺ نزع لنفسه دلوًا فشرب منه وصبّ على رأسه، رواه الواقدي. وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنتُ عند ابن عباس -رضي الله عنه- فجاءه رجل فقال: من أين جئت؟ فقال: من زمزم، قال: فشربتَ منها كما ينبغي، قال: فكيف؟ قال: إذا شربتَ منها

(1) كلمة غير مقروءة في الأصلين.

فاستقبل القبلة واذكر اسم الله تعالى وتنفّس ثلاثًا وتضلّع منها، فإذا فرغتَ فاحمد الله -عزّ وجلّ- فإن رسول الله ﷺ قال: (أن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلّعون من زمزم)، رواه ابن ماجة -وهذا لفظه- والدارقطني والحاكم في المستدرك وقال: إنه صحيح على شرط الشيخين.

قال الطبري: والتضلع: الامتلاء حتى تمتدّ الإضلاع. والمراد من التنفس ثلاثا أن يفصل فاه عن الإناء ثلاث مرات، يبتدئ كل مرة ببسم الله ويختم بالحمد لله، وهكذا جاء مفسرًا في بعض الطُّرُق، انتهى. وقد ورد النهي عن التنفس في الإناء. وحكى صاحب المحيط عن شيخ الإسلام جواهر زادة أنه لا يشرب قائما إلاّ في موضعين أحدهما فَضْلَ وضوئه والثاني عند زمزم. ذكره في كنز العبّاد.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنا مع النبي ﷺ في صفّة زمزم فأمر بدلو فنزعت له من البئر فوضعها على شقة البئر ثم وضع يده [٢٦٩] من تحت عَراقَيْ الدلو، ثم قال: بسم الله، ثم كرع فيها فأطال ثم أطال فرفع رأسه فقال: الحمد لله، ثم عاد فقال: بسم الله، ثم كرع فيها فأطال وهو دون الأول، ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله، ثم كرع فيها فقال: بسم الله فأطال وهو دون الثاني، ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله، ثم قال ﷺ: (علامة ما بيننا وبين المنافقين لم يشربوا منها قط حتى يتضلعوا) أخرجه الأزرقي.

والعراقي: جمع عرْقُوة الدلو وهي الخشبة المعترضة على فم الدلو، وهما عروتان كالصليب. وكَرِع الماء يكرع كرعًا إذا تناوله بفيه غير أن يشرب بكفّه ولا بإناء كما تشرب البهائم، وسمي بذلك لأنها تدخل فيه أكراعها. وعن ابن أبي حسين أنه قال كتب رسول الله ﷺ إلى سهيل بن عمرو (إن جاءك كتابي ليلاً فلا تصبحنّ وإن جاءك كتابي نهارًا فلا تمسيّن حتى تبعث إليّ بماء من زمزم) فاستعانت امرأته أثيلة الخزاعية -جدة أيوب بن عبد الله- فأدْلجْناهما

وجواريهما فلم يُصبحَا حتى قربتا مزادتيْن وملأتاهما وجعلتاهما في كُرَّيْن غوطيين وبعث بهما على بعير، أخرجه الأزرقي[1] وأبو موسى في تتمته وقال: الكرّ: جنس من الثياب الغلاظ. وفي رواية أن رسول الله ﷺ بعث إلى سهيل بن عمرو يستهديه من ماء زمزم فبعث إليه براويتيْن وجعل [٢٧٠] عليهما كُرًّا غوطيا، رواه الأزرقي.

وروى البيهقي عن ابن عباس -رضي الله عنهما - وجابر -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ استهدى سهيل بن عمرو ماء زمزم فبعث إليه بمزادتيْن. وعن عائشة -رضي الله عنها - أنها كانت تحمله وتُخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله في القِرَبِ وكان يصبُّه على المرضى أو يسقيهم منه، رواه الترمذي وقال: حسن غريب. وعن مكحول أن كعب الأحبار حمل منها اثنتي عشرة راوية إلى الشام.

وعن باباه[2] مولى العباس بن عبد المطلب قال: جاء كعب الأحبار بأدوات من ماء إلى زمزم ونحن ننزع عليها فنحيناه عنها فقال العباس: دعوه يُفْرغها فيها فاستقى منها أدوات وقال: إنها ليعتارفان يعني أيليا وزمزم. أخرجهن الأزرقي عن الواقدي. وفي شفاء الغرام: قال الشيخ مكي بن أبي طالب وفي ليلة النصف من شعبان تحلَى زمزم ويطيب ماؤها بقول أهل مكة إن عين سلوان تتصل بها تلك الليلة وتُبذل على أخذ الماء الأموال ويقع الزّحام فلا يصل إلى الماء إلاّ ذو جاه وشرف، قال: وعاينْت هذا ثلاث سنين، انتهى.

وعن عثمان بن ساج قال أخبرني مقاتل عن الضحاك بن مزاحم قال: بلغني أن التضلّع من ماء زمزم براءة من النفاق، وأن ماءها يُذهِب الصداع، والاطلاع فيها

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة ٢: ٥١.

(٢) ورد الاسم في الأصلين ناناه والإصلاح من أخبار مكة للأزرقي ٢: ٥٢.

يجلْو البصر. وإنه سيأتي عليها زمان [٢٧١] تكون أعذب من النيل والفرات. قال أبو محمد الخزاعي: وقد رأينا ذلك في سنة إحدى وثمانين ومائتين [٢٨١هـ / ٨٩٤ - ٨٩٥م] وذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة فسال واديها باسيال عظيمة في سنة سبع وسبعين وسنة ثمانين ومائتين وكثُر ماء زمزم وارتفع حتى قارب رأسَهَا فلم يكن بينه وبين شفتها العليا إلاّ سبع أذرع أو نحوها. وما رأيتُها تغطّ كذلك ولا سمعتُ مَن يذكر أنه رآها كذلك. وعذبتْ جداًّ حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التي يشربها أهلها. وكنتُ أنا وكثير من أهل مكة يختار الشرب منها لعذوبتها. وأنا رأيتها أعذب من مياه العيون، ولم أسمع أحدا من المشائخ يذكر أنه رآها بهذه العذوبة. ثم اطلعتُ بعد ذلك في سنة ثلاث وثمانين وما بعدها وكان الماء في الكثرة على حاله.

وعن عكرمة بن خالد قال: بينما أنا ليلة في جوف الليل عند زمزم جالس إذا نفر يطوفون. عليهم ثياب بيضٌ لم أر بياض ثيابهم بشيء قط، فلما فرغوا صلّوا قريبا مني فالتفت بعضهم فقال لأصحابه: اذهبوا بنا نشرب من شراب الأبرار، قال: فقاموا فدخلوا زمزم فقلتُ: والله لو دخلت على القوم فسألتهم، فقمت فدخلت فإذا ليس فيها أحد من البشر. وعن مقاتل عن الضحاك عن مزاحم أن الله يرفع [٢٧٢] المياه العذبة قبل يوم القيامة غير زمزم وتغور المياه غير زمزم وتلقي الأرض ما في بطنها من ذهب وفضةِ ويجيئُ الرجل بالجراب فيه الذهب والفضة فيقول: مَن يقبل مني؟ فيقول: لو أتيتني به أمس قبلته، رواهن الأزرقي.

ذكر بدء ظهور زمزم على ما ثبت في الأخبار والأحاديث مجملا وأسرارها:

أما ظهوره فقد نُقل أنه لما ترك إبراهيم –عليه السلام - هاجر أمّ إسماعيل – عليه السلام - وأنه بمكة كان معها شنّ فيه ماْء فلما فرغ ماؤها وكانت القصة على ما كانت، جاء جبريل فضرب برجله مكان البئر فظهر ماء فوق الأرض

فجمعتْ التراب عليه خشية أنْ يفوتَها الماء قبل أن تأتي بشنتها ولهذا لم تَجْرِ. وسكن الحرم قوم عصَوا الله فيه وتهاونوا بحرمة الكعبة فأخذ الله ماء زمزم منهم ونضب ماؤها وانقطع فلم يزل موضعه يدرس وتمرّ عليها السيول أعْصُرًا بعد أعْصُرٍ.

فلما أراد الله تعالى إظهاره أُتِيَ عبد المطلب في المنام فقيل له: احفر زمزم، فاستيقظ ولم يدْرِ موضعه وقال: اللهم بيّن لي، فأُتِيَ في المنام مرة أخرى فلما كانت المرة الثانية قيل له في المنام: احفر بين الفرث والدم في مبحث الغراب الأعصم في قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحمر. وفي رواية عن عليّ -رضي الله عنه - أنه أُتِيَ في المنام فقيل: احفر [٢٧٣] طيبة، فقال: وما طيبة؟ ثم ذهب عنه فرجع إلى مضجعه فنام فجاءه فقال: احفر برّة، قال: وما برّة؟ فلما كان الغد أخذ مضجعه فنام فجاءه فقال: احفر زمزم قال: وما زمزم؟ قال لا تنزف ولا تذم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعظم إلى آخره.

فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما سمي له من الآيات فنحرت بقرة بالحزورة فانفلتت مِن جازِرها بحشاشة نفسها -والحشاشة: بقية الروح - حتى غلبها الموت في المسجد الحرام في موضع زمزم فجزرت تلك البقرة في مكانها حتى احتمل لحمها فأقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث والدم، فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هنالك حتى وصل الماء.

ويقال: إن عبد المطلب لما حفرها بنى عليها حوضًا فطفق هو وابنه الحارث ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج فيكسره ناس مِن حسدة قريش بالليل فيصلح عبد المطلب حين يُصبح فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه فأُرِيَ في المنام، فقيل له: قل اللهم لا أُحلّها لمغتسل ولكنها هي للشارب حِلّ وبَلّ ثم

كفيتهم فقام عبد المطلب فنادى بالذي أرِي فلم يكن يُفسِد حوضه ذلك عليه أحد من قريش إلاّ رمي في جسده بداء، ثم تركوا حوضه وسِقايته.

وروي مثل هذه الكلمة عن العباس أنه رُئِيَ في المسجد الحرام وهو [٢٧٤] يطوف حول زمزم يقول: لا أحلها لمغتسل وهي لمتوضّئ وشاربٍ حِلّ وبَلّ. أي لمغتسل فيها، وذلك أنه وجد رجلاً من بني مخزوم وقد نزع ثيابه وقام يغتسل من حوضها عريان. وقوله: حلّ وبلّ يعني حلّ محلل وقيل: الحلّ الحلال والبلّ المباح بلغة حِمْير. وقيل: النهي عن الاغتسال في المسجد لا غير. قوله قبل: لا تنزف ولا تُذَمّ في رؤيا عبد المطلب وفي ما مرّ نقله عن بعض كتب الله برهان عظيم أنها لم تنزف من يوم ظهرت إلى يومنا قط.

وقد وقع فيها حبشي فنزحتْ من أجله فوجدها تفور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماءً عين من ناحية الحَجَر الأسود رواه الدارقطني ويقال: إن العين الثانية من جهة الصفا وأبى قُبيْس، والثالثة من جهة المرْوة. وقوله: لا تُذمّ أي تُعاب أو لا تلفي مذمومة من قولك أذممه إذا وجدته مذموما، وقيل: لا يوجد ماؤها قليلا، من قولهم بئر ذمة إذا كانت قليلة الماء وضعّفه السهيلي وقال: قوله: ولا تذم ليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمّها أحد ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ولتضلّع منها المنافق، فماؤها إذًا مذموم عندهم. وقد كان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق يذّمها ويسميها أم جعلان، واحتفر خارج [٢٧٥] المسجد باسم الوليد بن عبد الملك ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله تعالى وقلة حياء منه، وهو الذي كان يلعن ويفضح بلعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وكرم وجهه - على المنبر.

وقال السهيلي: وإنما ذكرنا هذا ليعلم أنها قد ذُمّت. ثم حمله على هذا المعنى الثاني وفيه نظر أيضا لغورها وانطماس أثرها ما بين إسماعيل إلى عبد

المطلب والظاهر أن يكون المراد لا تذم عاقبة شربها لأنه لا يؤذي ولا يخاف منها ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها بل هي بركة على كل حال، والله أعلم.

وأما أسرار زمزم فنذكر شيئا منها وفاءً لما وعدناه. أما سر كونها لا يتضلّع منها منافق فلأنه - والله أعلم - لما حصل إغاثة لمن كان ذا يقين صادق منع من الامتلاء منه مَن امتلأ باطنه بالشك والتردد. وأما سرّ كونها ظهرتْ غياثًا لأم إسماعيل فإنه إشارة إلى أن هذا البلد غياث للملهوفين لقضاء حوائجهم وغفران ذنوبهم، لأن الماء أصل الموجودات وقد وقع غياثًا فكذا الفرع، ويؤيده الحديث السابق (إنما جعل الله هذا البيت ملاذًا) وأما سرّ أنها أُريتُ لعبد المطلب بتلك العلامات. أما الفرث والدم فإن ماءها (طعام طعم وشفاء سقم) وقد تقوّت من مائها أبو ذرّ كما مرّ، فهي إذًا كما قال ﷺ [٢٧٦] في اللبن (إذا شرب أحدكم اللبن فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإنه ليس شيء يسدّ مسدّ الطعام والشراب إلاّ اللبن) وقد قال تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[1] فأظهرت هذه السقيا بين الفرث والدم وكان ذلك من دلائلها لمشاركتها باللبن.

وأما الغراب الأعصم فقيل: هو الذي في أحد جناحيْه بياض، وقيل: هو الذي في أحد رجليه بياض. وقد روى ابن أبي شيبة عن أبي أمامة حديثا وفيه (قيل: يا رسول الله ما الغراب الأعصم؟ قال الذي أحد رجليه بيضاء). والغراب في التأويل فاسق وهو أسود فدلّتْ نقرتُه عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشي بمعوله في أساس الكعبة يهدمها في آخر الزمان. فكان نقر الغراب في ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود في آخر الزمان بقبلة الرحمن.

(١) القرآن: النحل ٦٦.

وفي الصحيح في صفة الذي يخرب الكعبة أنه أفحج وهذا ينظر إليه كون الغراب أعصم إذا تفحّج تباعد بين الرجلين، كما أن العصم اختلاف فيهما والاختلاف تباعدٌ، وقد عُرِف بذي السويقتيْن كما نُعِت الغراب بصفة في ساقية. وأما قرية النمل ففيها من المشاكلة والمناسبة أيضا أن زمزم عين مكة التي يَرِدُها الحجيج والعمّار من [٢٧٧] كل جانب فيحملون إليها البُرَّ والشعير وغير ذلك وهي لا تُحرث لقول إبراهيم -عليه الصلاة والسلام - ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾.[1]

وقرية النمل كذلك لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب. وفي مكة قال الله تعالى ﴿ قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ ﴾[2] مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قريْتُ الماء في الحوض إذا جمعْتُه. والرؤيا تعبر على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى، وقد اجتمع اللفظ والمعنى في هذا التأويل. وأما قوله: مستقبلة الأنصاب الحُمْر فإشارة إلى عبادة الأوْثانِ بعد هدم البيت. وانظر لطيف ترتيبه، أشار أوّلاً إلى البئر ثم إلى خرابها وانقطاع الحجيج عنها مستقبلا هذه الأشياء الأنصاب الحُمْر وهي الأوثان. وهذا من علم التعبير لأنها كانت رؤيا ومن باب الترسم الصادق. كما روي أن سعيد ابن المسيب أخبر بحديث البئر في البستان وأن رسول الله ﷺ قعد على قَفّها ودلّى رجله ثم جاء أبو بكر فعل مثل ذلك ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك ثم جاء عثمان فانتبذ منهم ناحية. قال سعيد بن المسيب: فأوّل ذلك قبورهم اجتمعت قبور الثلاثة

(١) القرآن: إبراهيم ٣٧.

(٢) القرآن: النحل ١١٢.

[٢٧٨] وانفرد قبر عثمان. والله يقول ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ ﴾[١] فهذا من التوسّم والفراسة الصادقة. ومن أمعن النظر ظهرتْ له الحكم المتناسقة. والنظر الصحيح إلى الحق أقوم دليل ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾[٢] اللهم وفقنا لما تحبّ.

(١) القرآن: الحجر ٧٥.

(٢) القرآن: الأحزاب ٤.

الباب الثامن
فضيلة زيارة سيد الأنبياء
وشرف المدينة

الباب الثامن

في فضيلة زيارة سيد الأنبياء

وشرف المدينة التي هي أفضل بقعة تحت أديم السماء

وفضيلة البيت المقدس وفضيلة مسجد قبا

أما الآيات في فضل المدينة فمنها قوله تعالى ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾[1] الآية.

عن أبي -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (المسجد الذي أسّس على التقوى مسجدي هذا) رواه أحمد والحاكم ورواه مسلم والترمذي. عن أبي سعيد الخدري وفي الكشاف قيل: هو مسجد قبا أسسه رسول الله ﷺ و صلى فيه أيام مقامه بقُبَا وهو يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لأن الموازنة بين مسجديْ قُبا وضِرار أوقع. ولّما نزلت مشى رسول الله [٢٧٩] ﷺ ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فإذا الأنصار جلوس فقال(أمؤمنون أنتم؟ فسكت القوم، ثم أعادها فقال عمر: يا رسول الله إنهم المؤمنون وأنا معهم فقال ﷺ أترضون بالقضاء؟ قالوا: نعم، قال: أتصبرون على البلاء؟ قالوا: نعم، قال: أتشكرون في الرخاء؟ قالوا: نعم، قال: -عليه الصلاة والسلام - مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال: يا معشر الأنصار إن الله -عزّ

---

(١) القرآن: التوبة ١٠٨ -١٠٩.

وجلّ - قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط؟ قالوا: يا رسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء). وقيل: هو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه - انتهى.

وكونه مسجد النبي ﷺ هو قول جماعة من الصحابة والتابعين، منهم ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس -رضي الله عنهم -. وقال بالثاني ابن عباس -رضي الله عنهما -. ويمكن الجمع بينهما بأنهما أُسِّسا على التقوى. فقد روي عن عبد الله بن بريدة في قول الله -عزّ وجلّ - ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ ﴾[1] فقال: إنما هي أربعة مساجد لم يبْنِهنّ إلاّ نبيّ. الكعبة بناها إبراهيم -عليه الصلاة والسلام - وإسماعيل -عليه الصلاة والسلام - وبيت أريحا بيت المقدس بناه داود [٢٨٠] وسليمان -عليهما الصلاة والسلام - ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان أسسا على التقوى بناهما رسول الله ﷺ ومنها قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ ﴾[2] هي المدينة. وهي من أسمائها سُمّيتْ بذلك للاستقرار بها بسبب أمنها والدار من أسمائها مفردا ومضافا إلى الإيمان فيقال دار الإيمان وإلى الهجرة تارة فيقال دار الهجرة.

وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: (المدينة قبّة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام) رواه الطبراني في الأوسط. ومن أسمائها طيبة. عن جابر بن سمرة -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (إن الله سمّى المدينة طيبة) رواه الطبراني في الكبير. ومن أسمائها المدينة، عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (أمرت بقرية تأكل

---

(١) القرآن: النور ٣٦.

(٢) القرآن: الحشر ٩.

القُرَى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد) متفق عليه. قوله تأكل القرى يعنى أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر، فمنها فُتِحت القرى وغُنِمت أموالها وسباياها، أو أنّ أكلها وميرتها يكون من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها. واسم المدينة وإن وقع على كل بلدة فقد صار إطلاقه مختصًا بمدينة الرسول ﷺ والتمدّن هو التوطن. وكان اسمها في الجاهلية يثرب [٢٨١] من ثربت إذا أنّب واستقصى في اللّوم. وكان ﷺ يكره تسميتها بهذا الاسم وإنما كان يحب أن تكون محبوبة الورى مدينة لهم. روى أحمد وأبو يعلى برجال ثقاة عن البراء بن عازب مرفوعا (من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله –عز وجل – هي طيبه وهي طابة) وروى أحمد والجَنَدي عنه ﷺ: (مَن سمّى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة).

وقال عيسى بن دينار: من سمّاها يثرب فكفارته أن يقول المدينة عشر مرات وهو ناظر لما ذكرناه. ومن ثم دعا النبي ﷺ بقول: (اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ) الحديث. وتسميتها في القرآن يثرب حكاية من قول المنافقين. ومن أسمائها طابة عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله تعالى سمّى المدينة طابة) رواه مسلم. وروى المطري في تاريخه عن إبراهيم بن يحيى قال: للمدينة في التوراة أحد عشر اسمًا: المدينة وطيبة -بسكون الياء وفتح الطاء - وطابة والمسكينة وجابرة والمجبورة والمرحومة والهذراء والمحبة والمحبوبة. وأساميها كثيرة حتى أوصلها بعض المتأخرين ألف اسم لا حاجة لنا بذكرها.

أما ما ورد في المسجد الأقصى فقال تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا

مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾[1].

[٢٨٢] قال أبو العالية: من بركتها أنّ كلّ ماءٍ عذبٍ يَخرج مِن أصل صخرة بيت المقدس، ومنها قوله تعالى ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[2] روي عن قتادة قال: من صخرة بيت المقدس. وقال يزيد بن جابر: يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس فينفخ في الصُّور فيقول: أيها العظام النَّخِرة والجلود المتمزقة والأشعار المتقطعة إن الله تعالى أمركِ أن تجتمعي للحساب. وأما وصفها بالقرب فيحمل أنّ المراد به ما قال كعب ومقاتل: إنها أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، وقال ابن السايب باثني عشر ميلا. ومنها قوله تعالى ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾[3]. قال في التفسير: المراد به بيت المقدس. وسُمّيت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين.

وأما الأحاديث التي وردت في فضل المدينة فمنها عن معقل بن يسار مرفوعا (المدينة مهاجري ومضجعي من الأرض حُقَّ على أمتي أن يُكرموا جِيراني ما اجتنبوا الكبائر، فمن يفعل ذلك منهم سقاه الله من طينة الخبال) قلنا: يا أبا يسار ماطينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار. رواه الطبراني.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: (فتحت البلاد بالسيف وفُتِحت المدينة بالقرآن) رواه البزّار. وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله [٢٨٣] عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (إني حرّمتُ ما بين لابتَيْ المدينة أن يُقطع عضاها أو يُقتل صيدها. المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون. لا يدعها أحد رغبة إلاّ أبدل الله فيها مَن هو خيرٌ منه. ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلاّ كنتُ له شفيعا

(١) القرآن: الإسراء ١.
(٢) القرآن: ق ٤١.
(٣) القرآن: المائدة ٢١.

أو شهيدا يوم القيامة. ولا يريد أحدٌ بأهل المدينة سُوءًا إلاّ أذابه الله في النار ذَوْب الرصاص أو ذوب الملح في الماء) رواه أحمد ومسلم.

وعن علي -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (المدينة حرم ما بين عير إلى ثور. فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلاً. وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلا يوم القيامة ومن ادعى إلى غير أبيه وانتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي.

ورواه مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (المدينة حرام ما بين عائر ثور إلى لا يُختلى خلاها ولا يُنفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلاّ لمن أشاد بها ولا يحلّ لرجل أن يحمل السلاح لقتال ولا يصح أن تقطع منها شجرة إلاّ أن يعلف رجل بعيره)، رواه أبو داود.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: [٢٨٤] قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي حرم وحرمي المدينة) رواه أحمد. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين لابتَيْ المدينة حرام) رواه الشيخان والترمذي. وعن عائشة -رضي الله عنها - قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعَكَ أبو بكر وبلالٌ فجئتُ رسول الله ﷺ فأخبرتُه فقال: (اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشدّ حُبًّا وصَحِّحْها وبارك لنا في صاعِها ومُدّها وأنقل حماها فاجعلها بالجحفة) متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما - في رؤيا النبي ﷺ قال: (رأيتُ امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجتْ من المدينة حتى نزلت مهيعه فتأوّلتها أن وباء

المدينة نقل إلى مهيعة) وهي الجحفة، رواه البخاري. وعن أنس -رضي الله عنه - قال كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته وإن كان على دابة حرّكها من حبّها، رواه البخاري.

وعنه أن النبي ﷺ: طلع إلى أحُد فقال: (هذا جبل يحبّنا ونحبّه، اللهم إنّ إبراهيم حرّم مكة وإني أحرّم ما بين لابَتَيْها) متفق عليه. ومن محبة النبي ﷺ المدينة ما رواه جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله [٢٨٥] أوْحَى إليّ: أيّ هذه الثلاثة نزلتَ فهي دار هجرتك؛ المدينة والبحرين وقنسرين) رواه الترمذي فأختار النبي ﷺ منها المدينة.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: كان الناس إذا رأوْا أول الثمرة جاؤوا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه قال (اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مُدّنا، اللّهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه) ثم قال: يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك الثمر، رواه مسلم.

وعن علي -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (اللّهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة وأنا محمد عبدك ورسولك أدعو لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدّهم وصاعهم مثل ما باركتَ لأهل مكة مع البركة بركتين) رواه الترمذي.

وعن أنس -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم أجعل بالمدينة من البركة ضعفيْ ما جعلت بمكة) رواه أحمد والبخاري.

وعن سالم بن عبد الله قال: سمعت أبي يقول: سمعتُ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: اشتدّ الحرّ بالمدينة وغلا السعر فقال النبي ﷺ: (أصبروا أهل المدينة وأبشروا [٢٨٦] فإني باركتُ على صاعكم ومُدّكم كُلوا جميعا ولا

تفرقوا فإن طعام الرجل يكفي للاثنين. فمن صبَر على لأْوَائِلها وشدّتها كنتُ له شفيعًا وكنتُ له شهيدًا يوم القيامة. ومَن خرج عنها رغبة عما فيها أبدل الله - عزّ وجلّ - فيها من هو خير منه. ومَن بغاها أو كادها بسوءٍ أذَابَهُ الله كما يذوب الملح في الماء) رواه ابن الجوزي.

ومن البركة في طعام المدينة ما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن أكل سبع تمرات مما بين لابتَيْها حين يُصبح لم يضرّه ذلك اليوم سمّ حتى يمسي) وفي الصحيحين (من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضرّه ذلك اليوم سمّ ولا سحر)، وفي رواية مسلم (على الريق). ولمسلم أيضا (إنّ في عجوة العالية شفاء فإنها ترياق أول البكرة) وأخرج ابن الأثير في جامِعِه عن سعيد أنه ﷺ لما رجع من تبوك أثار الريح من تلقا غبارًا فغطى بعض مَن معه أنفه فكشف رسول الله ﷺ اللثام عن وجهه وقال (والذي نفسي بيده إن في غبارها شفاء من كل داء) قال سعد: وأراه ذكر الجذام والبرص.

وفي رواية رزين: فأماطَهُ عن وجهه فقال (أما علمتَ أنّ عجوة المدينة شفاء من كل السقم وغبارها شفاء من الجذام). وعن ثابت بن قيس بن شماس أن النبي ﷺ [٢٨٧] قال: (غبار المدينة شفاء من الجذام) رواه أبو نعيم في الطب. وفيها حفرة معروفة جرَّبَها العلماء وغيرهم للشفاء من الحمّى شُربًا وغسلا، لكن الشرب هو الوارد.

وعن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ كان جالسًا وقبرٌ يُحفر بالمدينة فاطلع رجل في القبر فقال بئسَ مضجع المؤمن، فقال رسول الله ﷺ: (بئسما قلتَ قال الرجل: لم أُردْ هذا إنما أردت القتل في سبيل الله) فقال رسول الله ﷺ: (لا مثل القتل في سبيل الله ما على الأرض بقعة أحبّ إليّ أن يكون قبري بها منها) ثلاث مرات، رواه مالك مرسلا.

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه - مما قال: إن أعرابيا بايع رسول الله ﷺ فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة فأتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أقلني بيعتي فأبى النبي ﷺ ثم جاء فقال أقلني بيعتي فأبى فخرج الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: (إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنضح طيبها) رواه أحمد والشيخان والترمذي.

وعن سفيان بن أبى زهير قال: قال رسول الله ﷺ: (يفتح اليمن فيأتي قوم يُنسبون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتَح الشام فيأتي قوم يُنسبون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. وتفتح العراق فيأتي قوم يُنسبون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) رواه مالك والبخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: [٢٨٨] قال رسول الله ﷺ: (إن رجالاً يستنفرون بعشائرهم يقولون الخير الخير والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفس محمد بيده لا يصبر على لأوَائها وشدتها أحد إلاّ كنتُ له شفيعًا أو شهيدا أو هما جميعا يوم القيامة. والذي نفس محمد بيده إنها تنفي خبث أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد والذي نفس محمد بيده لا يخرج منها أحد راغبًا عنها إلاّ أبدلها الله خيرًا منه) رواه البيهقي في الشعب. وعن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يصبر على لأْوَاءِ المدينة وشدّتها أحد من أمتي إلاّ كنتُ له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة) رواه مسلم والترمذي، ورواه أحمد ومسلم من طريق آخر عن أبي سعيد الخدري.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلمّ إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفسي بيده لا يخرج منها أحد رغبة عنها إلاّ أخلف الله فيها من هو خير منه. ألاَ إن المدينة

كالكِير يخرج الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شِرارها كما ينفي الكير خبث الحديد) رواه مسلم -رضي الله عنه -.

قال: قال رسول الله ﷺ: (آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة) رواه الترمذي. وعنه -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ: (إن الإيمان ليأرَزُ إلى المدينة [٢٨٩] كما تأرز الحية إلى جحرها) رواه الشيخان وابن ماجة.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: (إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ وهو يأرزُ بين المسجدين كما تأرزُ الحية في حجرها) رواه مسلم. وعن أبي بكرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل المدينة رُعْب الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان) رواه البخاري. وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس من بلد إلاّ سيطؤها الدجال إلاّ مكة والمدينة. وليس نقب من أنقابها إلاّ عليها الملائكة حافّين تحرسها فينزل بالسبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق) رواه الشيخان والنسائي.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي المسيح – أي الدجال - من قِبَل المشرق وهمّته المدينة حتى ينزل دبر أُحُد ثم تضرب الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك) رواه أحمد ومسلم. وعنه -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال) رواه مالك وأحمد والشيخان.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (من آذى أهل المدينة آذاه الله وعليه [٢٩٠] لعنه الله والملائكة والناس لا يقبل منه صرف ولا عدل) رواه الطبراني في الكبير.

وعن جابر -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (من أخاف أهل

المدينة أخافه الله» رواه ابن حبّان. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبيّ) رواه أحمد. وعن أبي هريرة عن سعد -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء) رواه أحمد ومسلم وابن ماجة.

وعن سعد -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يكيد أهل المدينة أحدٌ إلاّ انْمَاع كما ينماع الملح في الماء) رواه البخاري. وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الناس تبع لكم يا أهل المدينة في العلم) رواه ابن عساكره. وعن النبي ﷺ: قال (_أول مَن يشفع من أمتي يوم القيامة أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف) أخرجه أبو محمد بن عساكر.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها) رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب إسنادًا والبيهقي في الشُّعب.

ذِكْر زيارة النبي ﷺ [٢٩١] وفضل الصلاة في مسجد قبا :

روى الدارقطني والبيهقي في الشعب والدينوري في المجالسة وغيرهم عن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (من جاءني زائرًا لا تعمله حاجة إلاّ زيارتي كان حقّا عليَّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة) رواه جماعة منهم الحافظ أبو علي بن السكن في كتابه المسمى بالسنن الصحاح.

وعن رجل من آل الخطاب عن النبي ﷺ: (من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة). وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - مرفوعا (من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي). وعن أنس بن مالك -رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: (من زارني بالمدينة محتسبًا كنتُ له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامة).

وعنه -رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (من مات في أحد الحرمين بُعِثَ مِن الآمنين يوم القيامة ومن زارني محتسبا إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة) رواهن البيهقي في شُعب الإيمان. وأخرج الدينوري في المجالسة عن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ: (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات في أَحَد [٢٩٢] الحرمين بُعث يوم القيامة من الآمنين). وأورد الإمام الغزالي في الإحياء عن النبي ﷺ أنه قال: (من جاءني زائرًا لا يهمّه إلاّ زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا) وأخرج سعيد بن منصور والدارقطني أن رسول الله ﷺ قال: (مَن حج وزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي).

وعن علي -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (من لم يزرْ قبري فقد جفاني) ذكره أبو اليمن بن عساكر في كتابه تحفة الأبرار. وعن أنس -رضي الله عنه - أنه قال: لا عذْر لمن كان له سَعةُ من أُمَّتِه ولم يزرْه. أخرجه الحافظ أبو محمد بن عساكر بمعناه.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من عبد يسلّم عليَّ عند قبري إلاّ وكّل الله بها مَلَكًا يبلغني وكُفِي أمر آخرته ودنياه، وكنتُ له شهيدًا وشفيعا يوم القيامة) رواه البيهقي في شعب الإيمان. وعن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهم - أنه كان يأتي القبر فيسلّم على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما -. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (ما مِنْ أحدٍ يسلم عليَّ إلاّ ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه).

وعن [٢٩٣] حاتم بن وردان قال: كان عمر بن عبد العزيز يوجّه بالبريد قاصدًا إلى المدينة ليُقْرِئ عنه النبي ﷺ السلام. وعن يزيد بن أبي سعيد المقبري قال: قدمتُ على عمر بن عبد العزيز إذ كان خليفة بالشام فلما ودّعته قال: إنّ لي إليكِ حاجة، إذا أتيتَ المدينة سترى قبر النبي ﷺ فأقرئه مني السلام.

وعن ابن أبي فديك قال: سمعتُ بعض من أدركتُ يقول: بلغنا أنّ مَن وقف عند قبر رسول الله ﷺ فتلا هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾[1] ثم قال: صلى الله عليك يا محمد، حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة.

وعن كعب الأحبار: ما من فجر يطلع إلاّ نزل سبعون ألف ملك من الملائكة حتى يحفّوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلّون على النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرَجوا وهبط مثلهم وصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقّرونه.

وعن عبد الله بن أمامة عن أبيه قال: رأيت أنس بن مالك -رضي الله عنه - أتى قبر النبي ﷺ فوقف ورفع يديه حتى ظننْت أنه يفتتح الصلاة، فسلّم على النبي ﷺ [٢٩٤] ثم انصرف.

وعن سليمان بن سميح قال: رأيتُ النبي ﷺ في النوم فقلتُ: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفْقَهُ سلامهم؟ قال: نعم وأَرُدّ عليهم. وعن ابن حرب الهلالي قال: حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعلّقها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله ثم سلّم على أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما - ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا أستشفِعُ بك إلى ربك لأنه قال في محكم كتابه ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ

(١) القرآن: الأحزاب ٥٦.

تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.[١]

وقد جئتك بأبي وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا أستشفِعُ بك إلى ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع لي. ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول:

يا خير من دُفنتْ بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنتَ ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال: وفي غير هذه الرواية (فطاب من طيبه القيعان [٢٩٥] والأكم) رواهن البيهقي في شعب الإيمان. وأورد الإمام النووي –رحمه الله تعالى – في كتابه الإيضاح عن العتبي أنه قال: كنتُ جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعتُ الله يقول ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.[٢]

وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا إلى ربي ثم أنشأ وجعل يقول:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال: ثم انصرف فحملتني عيناي فرأيتُ النبي ﷺ في النوم فقال: يا عُتْبي الْحَقْ الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له.

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه – قال: قال رسول ﷺ: (إن من حين يخرج أحدكم من منزله إلى المسجد فَرِجْل تكتب حسنة ورجل تحط عنه خطيئة) رواه ابن المنذر وابن حبان في صحيحه. وعنه –رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من جاء مسجدي هذا لم يأته إلاّ لخير يتعلّمه أو يعلّمه فهو

(١) القرآن: النساء ٦٤.

(٢) القرآن: النساء ٦٤.

بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاءه بغير [٢٩٦] ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره) رواه ابن ماجة بهذا اللفظ ورواه الطبراني عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن دخل مسجدي هذا ليتعلم خيرًا أو ليعلمه» ورواه ابن حبان في صحيحه بمعنى رواية الطبراني.

وعنه ﷺ قال: (مَن خرج على طُهْر لا يريد إلاّ الصلاة في مسجدي حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة) رواه الزبير بن بكار. وروى البيهقي في شعب الإيمان عن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله ﷺ: (من خرج حتى يأتي هذا المسجد - يعني مسجد قبا - فيصلّي فيه كان عدل عمرة) وزاد في رواية (ومن خرج على طهر لا يريد إلاّ مسجدي هذا -يريد مسجد المدينة - ليصلي فيه كان بمنزلة حجة).

وعن النبي ﷺ أنه قال: (من صلى في مسجدي أربعين صلاة كتبتْ له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق) رواه أحمد. وعن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله ﷺ: (رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان في ما سواها من البلدان، وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة في ما سواها من البلدان) رواه الطبراني والضياء. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ [٢٩٧] (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في ما سواه من المساجد إلاّ المسجد الحرام) رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة. ورواه أحمد والنسائي وابن ماجة من طريق آخر عن ابن عمر -رضي الله عنهما -. ورواه مسلم عن ميمونة أيضا وأحمد عن جبير بن مطعم وسعد والأرقم.

وعن الأرقم - وكان بَدْريًا - قال: جئت رسول الله ﷺ أودعه وأردتُ الخروج إلى بيت المقدس وقال (وما يخرجك إليه، أفي تجارة؟ قلت: لا ولكن أصلّي فيه، فقال رسول الله ﷺ صلاة هنا خير من ألف صلاة). ثم رواه الطبراني برجال ثقاة

وابن الجوزي. وقد مرّ أن الصلاة في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة فتكون الصلاة بالمدينة بخمسمائة مرة مائة ألف صلاة وذلك مائة مرة مائة ألف يوم. وقد فضّل الصلاة في مكة على المدينة بمائة ألف كما مرّ نقله وتصحيحه عن عمر -رضي الله عنه - وذلك ثواب لا يُحصَى وفضل الله أوسع من ذلك وأوفى.

ثم اعلمْ أن تفضيل الصلاة في المسجد الحرام وتفضيله على المدينة وبه قال الشافعي وأبو حنيفة -رحمهما الله تعالى - مستدلَّيْنِ بذلك وبأن الله تعالى ذكر المسجد الحرام في القرآن في عدد من المواضع على سبيل التعظيم صريحا ولم يذكر مسجد المدينة [٢٩٨] كذلك. وقال مالك -رحمه الله تعالى -: المدينة أفضل لما رُوي أنّ النبي ﷺ لما خرج من مكة متوجّهًا إلى المدينة قال إلهي إن أهل مكة أخرجوني مِن أحبّ البقاع إليّ فأنْزِلْني أحبّ البقاع إليك) وقد أنزله بالمدينة، ومحبوب الله أفضل مِن محبوب النبي ﷺ ولهذا اختار المقام فيها إلى أن ماتَ ودفن ثمّةَ ﷺ.

وعن ابن شهاب مرسلا قال: قال رسول الله ﷺ: (ما وضعتُ قبلة مسجدي هذا حتى فرج لي ما بيني وبين الكعبة) رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة. وروى أبو عمرو عن عبيد بن وديعة عن الشموس بنت النعمان بن عامر بن مجمع الأنصارية (أنّ رسول الله ﷺ حين بني مسجده كان جبريل يؤم له الكعبة ويقيم له المسجد) واستشكل ابن الأثير قوله الكعبة بأن القبلة كانت إلى بيت المقدس ثم حُولت إلى الكعبة بعد ذلك. وأجاب عنه الحافظ ابن حجر بأنه أطلق الكعبة وأراد القبلة أو الكعبة على الحقيقة وإذا بين له جهتها كان إذا استدبرها استقبل بيت المقدس وتكون النكتة فيه أنه سيحول إلى الكعبة فلا يحتاج إلى تقويم آخر، انتهى.

أقول هذا الاعتراض واردٌ على المشهور أن النبي ﷺ كان يستقبل بيت المقدس حين هاجر وهو الذي تدل عليه الأحاديث الكثيرة الشهيرة وأن آية [٢٩٩]

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] نزلتْ في تحويل الكعبة لكن ذهب قوم إلى أنه ﷺ كان يصلّى إلى الكعبة بعد فرض الصلاة ثم حُوّلَتْ إلى بيت المقدس فقال أهل مكة ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾[2] فنزلت الآية. وهذا القول يقتضي أن التحويل وقع في المدينة لأن سورة البقرة مدنية. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (لو بُنِي مسجدي هذا إلى صنعاء كان مسجدي) رواه الزبير بن بكار.

وعن عبد الله بن زيد المازني قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) رواه أحمد والشيخان والنسائي. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (منبري هذا على ترعة من ترع الجنة) رواه أحمد. والترعة: الباب، وقيل الروضة، وقيل: الترعة إذا كانت مرتفعة وإذا كانت منخفضة فهي روضة، وقيل: الدرجة، وفسرها سهل بن سعد الصحابي راوي الحديث بالباب فالأخْذُ به أولى.

وعن أُسَيد بن ظهير الأنصاري -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الصلاة في مسجد قبا كعمرة) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم. وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ يزور قُبا راكبًا وماشيًا. وفي أفراد مسلم عن ابن عمر أنه كان [٣٠٠] يأتي قُبا في كل سبت ويقول: رأيتُ رسول الله ﷺ يأتيه كل سبت. وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه -رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال (من توضأ فأسْبغ الوضوء وجاء مسجد قبا فصلّى فيه ركعتين كان له أجر عمرة). وروى أبو غزية قال: كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - يأتي قبا يوم الاثنين ويوم الخميس. فجاء يومًا فلم

---

(١) القرآن: البقرة ١٤٢.

(٢) القرآن: البقرة ١٤٢.

يجد أحدًا من أهله فقال: والذي نفسي بيده لقد رأيتُ رسول الله ﷺ وأبا بكر في أصحابه تنقل حجارته على بطوننا يؤسسه رسول الله ﷺ بيده وجبريل -عليه السلام- يؤم به البيت، ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل. وروت عائشة بنت سعد عن أبيها قال: والله لأن أصلي في مسجد قبا ركعتين أحبّ إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين. ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل. رواهن ابن الجوزي. وعن عبد الله بن دينار قال: لم يكن ابن عمر يصل إلى أن يأتي مسجد قبا فيصلي لأن النبي ﷺ كان يأتيه كل سبت. أخرجه مسلم في الصحيح من حديث سفيان.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ كان يأتي قبا ماشيا وراكبا. أخرجاه [1] في الصحيح مِن حديث عبيد الله بن عمر وزاد فيه عبد الله بن نمير [٣٠١] عن عبيد الله بن عمر -فيصلي ركعتين- أخرجهما البيهقي في شعب الإيمان.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: (إن مكة بلد عظمها الله تعالى وعظّم حرمته منذ خلق الله مكة وحَفّها بالملائكة قبل أن يخلق شيئا من الأرض كلها بألف عام، ثم وصلها بالمدينة ووصل المدينة ببيت المقدس، ثم خلق الله الأرض كلها بألف عام خلقًا واحدًا). رواه الخطيب الواسطي. ولا ينافيه حديث أبي هريرة في مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في ما سواه إلاّ المسجد الحرام. فإني آخر الأنبياء وأن مسجدي آخر المساجد) يعني آخر مساجد الأنبياء لأنه المراد أنه آخر المساجد في جعله مسجدًا مع كونه خلقه قبل المسجد الأقصى.

وعن علي -رضي الله عنه- قال: كانت الأرض ماءً فبعث الله ريحا

---

(١) جملة سقطت من النسخة ب.

فمسحت الماء مسحًا فظهرت على الماء زبدة فقسّمها الله أربع قطع، فخلق من القطعة الأولى مكة والثانية المدينة والثالثة بيت المقدس والرابعة مسجد الكوفة. أخرجه ابن المرجى المقدسي وأبو بكر الواسطي في فضائل بيت المقدس.

وروى ابن مندة بسنده أن كعبا قال: بنى سليمان بن داود بيت المقدس على أساس قديم كما بني إبراهيم الكعبة على أساس قديم. وعن نوف البكالي قال: إن في كتاب الله -عز وجل- المنزل أنّ الله تعالى يقول لبيت المقدس فيك ستّ خصال: فيك مقامي وحسابي ومحشري [٣٠٢] وجنتي وناري وميزاني. أخرجه الخطيب الواسطي. وفي المسالك لابن فضل الله عن أبي ذر قال: قيل يا رسول الله صلاة في بيت المقدس أفضل أم صلاة في مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلّى ولنعم المحْشَر هو أرض المحشر والمنشر. وليأتين زمان وسبطة قوس مِن حيث يُرى بيت المقدس أفضل وخير من الدنيا جميعها). وعن ميمونة قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن بيت المقدس قال: (نِعْم المسكن بيت المقدس، ومن صلّى فيه صلاة كانت بألف صلاة في ما سواه، قال: فمن لم يطق ذلك فليهْدِ إليه زيتا).

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى ببيت المقدس خمس صلوات نافلة كل صلاة أربع ركعات يقرأ في الخمس صلوات عشرة آلاف مرة (قل هو الله أحد) فقد اشترى نفسه من الله ليس للنار عليه سلطان) أخرجه أبو بكر بن محمد بن أحمد الواسطي الخطيب في فضائل بيت المقدس. وصح عن النبي ﷺ أن موسى النبي -عليه الصلاة والسلام- لما احتضر قال: يا رب اذْنني من الأرض المقدسة رميةً بحجر. وروى ابن مندة بسنده عن أنس ابن مالك -رضي الله عنه- قال: إن الجنة لتحنّ شوقا إلى بيت المقدس وبيت المقدس من جنة الفردوس، يعني الصخرة. [٣٠٣] وروى حديث ميمونة في إهداء

الزيت، رواه البيهقي في شُعب الإيمان أخْصر من ذلك ولفظه (من لم يأت بيت المقدس يصلّي فيه فليبعث بزيت يسرج فيه) رواه مرفوعا.

والأحاديث في فضائل بيت المقدس المقدسة جمّة متكاثرة، وإنما ذكرنا شيئا منها وَفاءً لما وعدنا. ومما ورد فيه ما رواه أبو المعالي الشرف بن المرجى المقدسي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (من حج وصلى في مسجد المدينة والمسجد الأقصى في عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

وذكر ابن الميلق الشاذلي في الوجوه المسْفِرة، أن من أسباب المغفرة الصلاة في المساجد الأربعة كما في الحديث الذي أخرجه النسائي وابن ماجة وأحمد عن عاصم بن سفيان الثقفي. وفيه أن عاصما قال: يا أبا أيوب فاتنا الغزو العام وقد أُخْبِرْنا أنه مَن صلّى في المساجد الأربعة غفر له ذنبه، قال: والمراد بالمساجد الأربعة المساجد التي لم يبْنها إلاّ نبي وهي المسجد الحرام ومسجد المدينة والأقصى ومسجد قبا فإن النبي ﷺ أسسه قبل مسجد المدينة حين قدم إلى الهجرة انتهى.

وروى الخطيب في فضائل بيت المقدس عن كعب قال: من أتى بيت المقدس فصلّى عن يمين الصخرة وشمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدّق بما قلّ أو كثر استُجيب دعاؤه وكشف الله حزنه وخرج من ذنوبه مثل يوم ولدته [٣٠٤] أمه إن سأل الله الشهادة أعطاه إياها. وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول (إن سليمان بن داود -عليهما السلام- سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن يكون قد أعطاه الثالث. سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيّما رجل خرج من بيته لا يريد إلاّ الصلاة في هذا المسجد يعني مسجد بيت المقدس أن يخرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون قد أعطاه الله إياه) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وفضل الله أوسع من ذلك، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] والله أيضا ﴿ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2] ويفتح له أبواب الفضل والسعادة، بالسعادة إن شاء الله تعالى عاقبتنا وعلى الإيمان من فضله خاتمتنا. وهذا آخر الأبواب الثمان التي ألّفناها في بعض فضائل هذا البيت الشريف والأركان وفي فضيلة مسجد قبا الذي أسسه بيده حبيب الرحمن، وفضيلة المسجد الأقصى الذي نطق بشرفه القرآن، وفي شرف مدينة الرسول سيد الأنس والجان. وقد انتجزَ الوعد في ما حرَّرْناه، وحصل المقصود مما بينّاه وقرّرناه، واستوفينا الشرط [٣٠٥] الذي شرطناه، وأرجو أن يكون في كل باب منه للمريد مرادًا مقنعًا وفي كل حديث منه مثيرًا إلى بغيته ومنزعًا، ولقد ذكرتُ فيها من الفوائد واللطائف مستغربا مستبدعًا، وأجريت فيها من موارد التحقيق منبعًا، لم يورد له قبل في معظم التاليف مشْرَعًا، وإلى الله أتضرع لحصول المقاصد والآمال، وأستغفر وأستعفي منه إن تخلّل في تضاعيفها من تزيّنٍ وتصنّع في المقال، وأسأل من فضله وجُوده أن ينفعنا ببركة تأليفه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم. والحمد لله أولاً وآخرًا. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ظاهرا وباطنا خيْر صَحْبٍ وآل.

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة في يوم السبت المبارك رابع عشر شهر شوال سنة ١٠٠٥ [٣١ ماي ١٥٩٧ م] من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، آمين[3].

---

(١) القرآن: يونس ٢٦.

(٢) القرآن: البقرة ٢٦١.

(٣) هذه الفقرة وردت في النسخة أ وقد كتبها الناسخ، وبالهامش بخطه أيضا تعليق نصه: بلغ مقابلة حسب الطاقة من مسودة المؤلف رحمه الله تعالى.. أما ناسخ المخطوطة ب فلم يضع خاتمة لنسخته.

ثبت المصادر والمراجع

- ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد.

أسد الغابة، في معرفة الصحابة.

طبعة مصورة - دار إحياء التراث العربي. بيروت (٥ أجزاء) د ت.

- الأزرقي: محمد بن عبد الله المكي (أبو الوليد).

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار.

تحقيق رشدي الصالح ملحس. ط. دار الثقافة بمكة المكرمة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- البصري: الحسن.

رسالة إلى أهل مكة، وعنوانها أيضًا: فضائل مكة والسكن بها.

ط. بتحقيق سائمي العاني. مكتبة الفلاح. بيروت. د ت.

- البغدادي: إسماعيل باشا.

إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون.

طبع إسطنبول ١٩٥١م. مجلدان.

- حاجي خليفة.

كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون.

نشر محمد شرف الدين. ط. إسطنبول ١٩٤١ – ١٩٤٣ م. مجلدان.

- الدياريكري: الحسين بن محمد.

الخميس، في أحوال أنفس نفيس.

ط. المكتبة الوهبية بالقاهرة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م. طبعة حديثة مصور عنها بلبنان. مؤسسة شعبان د ت.

- الزركلي: خير الدين.

الأعلام.

ط٤. دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٠م. ٨ أجزاء.

- السخاوي: محمد بن عبد الرحمن.

الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع.

نشر مكتبة حسام الدين المقدسي القاهرة ١٣٥٣هـ. مصورة مكتبة الحياة ببيروت.

- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر.

بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

- ابن الضياء المكي الحنفي: محمد بن أحمد (أبو البقاء).

البحر العميق، في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت العتيق.

طبع مكة / د ت.

- الطبري (الجمال).

التشويق، إلى حج البيت العتيق.

تحقيق د/ عبد الستار أبو غدّة ط. القاهرة ١٤١٣هـ.

- الطبري (المحب).

القري، لقاصد أم القرى.

طبعة مصر سنة ١٣٩٠ هـ تحقيق الشيخ مصطفى السقاء.

- ابن ظهير المحزومي (أبو بكر).

شفاء الغليل، ودواء العليل، في حج بيت الرب العظيم الجليل.

مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى برقم ١٧٢٧.

- العجيمي: حسن بن علي المكي.

خبايا الزوايا.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٤١٠ تاريخ.

- ابن علان: محمد علان.

طيف الطائف، في فضل الطائف.

نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ١٢٠ تاريخ دهلوي.

- ابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن علي.

شذرات الذهب، في أخبار من ذهب.

طبع دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٨٩م (مصورة) ٨ أجزاء.

- الفاسي: محمد بن أحمد المكي.

شفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام.

ط. القاهرة ١٩٥٦ بتحقيق عمر عبد السلام تدمري. جزآن.

- الفاسي: محمد بن أحمد المكي.

العقد الثمين، في تاريخ البلد الأمين.

تحقيق فؤاد السيد ومحمود الطناحي ومن معهما. ط. القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م. ٨ أجزاء.

- الفاكهي: محمد بنإسحاق.

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه.

تحقيق الشيخ عبد الملك بن دهيش. ط. دار خضر. بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- كحالة: عمر رضا.

معجم المؤلفين.

مطبعة الترقي. دمشق ١٩٥٧ – ١٩٦١م. ١٤ جزءًا.

- المحبي: محمد أمين بن فضل الله.

خلاصة الأثر، في أعيان القرن الحادي عشر.

طبعة مصورة. دار صادر بيروت د ت. ٤ أجزاء.

- مخلوف: محمد بن محمد المنستيري.

شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية.

المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٩ – ١٣٥٢هـ.

- المرجاني: عبد الله بن عبد الملك البكري التونسي.

بهجة النفوس والأسرار، في تاريخ دار هجرة المختار.

نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ١٣ تاريخ دهلوي.

- مرداد: عبد الله بن أحمد المكي.

المختصر، من نشر النور والزهر، في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر.

اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي. ط. جدة – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي.

لسان العرب.

ط. دار صادر ١٩٩٧م. لبنان (٧ مجلدات).

- الهيلة: محمد الحبيب.

التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر.

ط. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. لندن ١٩٩٤م.

- ياقوت الحموي: شهاب الدين.

معجم البلدان.

طبع دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. ٥ أجزاء.

المحتـــــوى